شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد الثاني والخمسون، السنة الخامسة، شهر رمضان ١٤٣٥ - تمّوز ٢٠١٤

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - السودان: ٢٠ جنيه

المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار

- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

03/725246 - 01/544955

ص.ب: 25/5141

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — قد أفلحَ مَنْ زكّاها ..... الشّيخ حسين كوراني ٦

تحقيق — إضاءات على مكتبات النّجف الأشرف ..... إعداد: أحمد الحسيني ٨

مراقبات — من هَدْي "الصحيفة السجّادية" ..... إعداد: "شعائر" ١٣

أحسن الحديث — في مناهج تفسير القرآن الكريم ..... إعداد: "شعائر" ١٨

موجز تفسير سورة "الذّاريات" ..... إعداد: سليمان بيضون ٢٠

أيام الله — مناسبات شهر رمضان ..... إعداد: صافي رزق ٢٢

وقال الرسول — أشبهُ النّاس برسول الله أحسنُهم خُلُقاً ..... إعداد: محمّد ناصر ٢٤

حدود الله — يوم الشّكّ، قول الفلكيّ، الصّوم في السّفر ..... إعداد: "شعائر" ٢٥

يزكّيهم — ملامح من عظَمة القرآن ..... الشّيخ بهجت قدّس سرّه ٢٦

الملف — أدبُ العبادة يومَ العيد ٢٧

استهلال ..... قنوت صلاة العيد ٢٨

هذا الملف ..... عن العبادة في أجواء العيد ٢٩

صلاةُ العيد، وأدعية وأذكار ..... الشّيخ المفيد قدس سره ٣٠

ما يُستحَبّ فِعلُه ليلةَ الفطر، ويومَه ..... الشّيخ الطّوسي قدس سره ٣٥

الحديث مع الله تعالى، ومع وليّه المهديّ عليه السلام ..... السيّد ابن طاوس قدس سره ٤١

لولا دعاؤكم — قنوت الإمام الحسن عليه السلام ..... رواية السّيّد ابن طاوس قدس سره ٤٣

صاحب الأمر — من سيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ..... الشّيخ جعفر السّبحانيّ ٤٤

أعلام

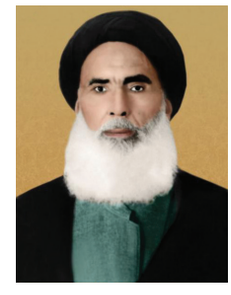

آية الله السّيّد عبد الحسين شرف الدّين قدس سره

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	صلوات ليالي شهر رمضان	رواية الشّهيد الأوّل قدس سره	٤٦
يذكرون	"..لم يتكلّم فيه إلّا بالدّعاء"	الحرّ العامليّ قدس سره	٤٧
حوارات	الشّهيد مُطَهَّري مُجيباً عن تساؤلات مركزيّة	إعداد: أسرة التّحرير	٤٨
فكر ونظر	"النّصّ المعصوم". منجم الحقيقة	الشّيخ حسين كوراني	٥٢
	مع الخطبة النّبويّة في استقبال شهر رمضان	الشّيخ حبيب الكاظميّ	٥٤
أعلام	آية الله السّيّد عبد الحسين شرف الدّين قدس سره	إعداد: "شعائر"	٥٧
كلمة سواء	معنى "الصّراط المستقيم"	الشّيخ المفيد قدّس سرّه	٦١
وصايا	من وصايا الإمام الباقر عليه السلام	رواية الشّيخ الكلينيّ	٦٢
مرابطة	"مسرحيّة الموصل الدّاعشيّة"	العميد د. أمين حطيط	٦٤
وثائق	"كتَبَهُ عليٌّ بنُ أبي طالب عليه السلام"	من ذخائر "العتبة الرّضويّة المقدّسة"	٦٦
دوائر ثقافية			٦٧
موقف	أقسام الإمساك في الصّيام	السّيّد حيدر الآمليّ قدس سره	٦٨
فرائد	البدن. أعظم أغلال الرّوح	إعداد: "شعائر"	٦٩
قراءة في كتاب	"أميركا والإبادات الثّقافيّة"	قراءة: سلام ياسين	٧٠
بصائر	شهادة أمير المؤمنين عليه السلام	تنسيق: "شعائر"	٧٢
مصطلحات	الورَع	إعداد: "شعائر"	٧٤
مصطلحات	الاستعمار	رفيق جويجاتي	٧٥
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	٧٦
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة	٧٩
أيّها العزيز	ظهور الأعمال عند الاحتضار	الإمام الخميني قدّس سرّه	٨٢

بسملة

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا

■ الشيخ حسين كوراني

شهرُ الله ربيعُ القرآن. القرآنُ تزكيةٌ وتعليم. ﴿.. وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ..﴾ آل عمران:١٦٤.

شهرُ الله، إذاً، شهرُ النّاس، وربيعُ التّزكية والتّعليم.

التّزكيةُ أخصُّ من التّربية وأدقّ. قد يُربّى الحيوان إلّا أنّه لا يَتزكّى.

العلمُ المقترنُ بالتّزكية سعةٌ وحكمة ﴿..وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ البقرة:٢٦٨-٢٦٩.

العلمُ المفارقُ للتّزكية، ضلالٌ: ﴿..فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ طه:١٢٣.

والعلمُ المفارقُ للتّزكية ضيقٌ وضَنكٌ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام:١٢٥.

* ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ طه:١٢٤-١٢٦.

تتجاوزُ العلاقةُ بين التّزكية والعلم حدودَ التّلازم، فتبلغ التّماهي.

التّزكيةُ طلبُ العلم للعَمل به، والمرابطة على ثَغْر القلب في هَدْي حكومة العقل لسَدِّ الثّغرات وصَدِّ العاديات.

قال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: «**لا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلاً إلّا بمَعْرِفة، ولا مَعْرِفةَ إلّا بعَمَل، فَمَنْ عَرَفَ دَلَّتْهُ المَعْرِفةُ عَلَى العَمَل، ومَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلا مَعْرِفةَ له، أَلا إنَّ الإيمانَ بَعْضُه مِنْ بَعْض**».

***

تَقَدُّمُ التّزكيةِ على التّعليم – من وجهة نظرِ الإسلام – رُتْبِيٌّ. لا يُمكِنُ الفَصلُ بينَهما والهدفُ التّزكية. للتّزكية يُطلَبُ العلمُ، وبه تَتبلور، وبها تَتجَوهرُ حقيقتُه.

يتّضحُ بما لا مزيدَ عليه أمران:

الأوّل: أنّ التّزكيةَ الأخصُّ من التّربية بمفهومها الإسلامي، تُغايرُ التّربيةَ بمفهومها السّائد والذي يُقصَدُ عادةً عندما يُقال، مثلاً: «وزارة التّربية والتّعليم». أو «المَناهج التّربويّة».

الثّاني: أنّ العلمَ بمفهومه الإسلاميّ يُغايرُ «العلمَ» بمفهومه السّائد.

تُمسكُ التّزكيةُ بتَلابيب التّعليم ونَاصيَته، لا فرقَ في ذلك بين الفَرد والجَماعة، ولا بينَ تطبيقِ المَعرفةِ المنجَزة، أو عمليّة إدراك غَير المُنجَز منها.

بديهيٌّ جدّاً أن يؤدّي مَسْخُ التّزكية – بما يُقال له تربية – أو إخراجُها من دائرة الاهتمام، إلى تَقزيم بشريّة الإنسان ومَسْخها لصالح الآلة والوسيلة. تلك هي الأزمةُ المَعرفيّةُ العُضال التي تواجهُ البشريّةَ اليوم على أعتاب الألفيّة الثّالثة. إنّها أزمةُ تَزكيَة.

ليست القيمةُ في عالَمنا إلّا للمواصلاتِ والاتّصالاتِ ووسائلِ الرّاحة، بما يشملُ أحدثَ مبتكَراتِ الدّمار الشّامل! لما تؤمِّنُه من «راحة» للسّيّد الأميركيّ، مثلاً، الذي يُصَنِّعُ الآلاتِ الأضخم.

يتمُّ ذلك بالمُطْلَق على حسابِ قيمة الإنسان وكرامته ومحوَريّته.

لم تَعُد إنسانيّةُ الإنسان هدفًا، ولم تَعُد الفكرةُ مطلباً إلّا إذا كانت تسبحُ في فضاءِ المَردود الرِّبْحِيّ والشّهوات.. ولم يَعد الالتزامُ بالفكرة القيمة مثارَ اهتمام، الأمر الذي يُلغي مبدأَ الاستقامةِ في السّلوك، ليَحلّ بدلاً منه إشباعُ الغرائز والتّفلّتُ من كلّ الضّوابط.

يعني ذلك ببساطة استبدالَ الإنسانيّةِ بالحيوانيّة. ﴿..بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان:٤٤.

***

مآلُ ما سبقَ أنّ الثّقافةَ الإسلاميّةَ ثقافةُ التّزكية، والثّقافةَ المادّيّةَ «ثقافةُ» الغريزة، والحيوان، والآلة. أمثلُها طريقةً هو ثقافةُ وَهْم التّربية. ثقافتان مُتنافرتان محالٌ أن تَلتقيا.

للنّاس في ثَقافاتهم ما يَشاؤون. ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ..﴾ الإسراء:٨٤. بيتُ القصيدِ هنا أُعجوبةُ الأرَضين السّبع وسماواتها. أن يبلغَ نفوذُ «ثقافة» الغابِ المادّيّة في غالبِ دوائر الثّقافة المُنتمية إلى الإسلام – ولو بِنِسَبٍ مختلفة – إلى حدِّ إنكارِ أصلِ وجودِ المناهجِ التّربويّة في الثّقافة الإسلاميّة!!

تُمْعِنُ النَّظَرَ، بعدَ أن لا يكاد يَنقضي منك العَجَبُ، فتُوقِنُ بأمرَين هما سببُ هذا الخَلْط والخَبط: أنّ هؤلاء لا يُفرّقونَ بين التّزكيةِ والتّربية. أنّهم يبحثونَ في النّصّ الدّينيّ عن تلبيةِ ما فَهموه من مصطَلح التّربية في ضوء مَسْخِ الغَزوِ الثّقافيّ لأجيالنا المُتتالية.

يبحثون عن بناء الشّخصيّة المُوقنة بأنّ الدّنيا كلُّ شيء والغيبَ غائبٌ لا بدَّ من عدمِ إنكارِه. لا يَجدونَ في النّصّ الشّرعي ما يُلبّي هذا «الهَمَّ التّربويّ الحَضاريّ»!!

لم يبلغوا رُشْدَ اليقينِ الثّقافيّ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ﴿..وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾!

***

حَتْمٌ علينا أن نقاربَ هذه الحقيقةَ الصُّراح بموضوعيّة. بتَمامِ المسؤوليّةِ بين يدَي الله تعالى. لا يُخْرِجَنّ أحدٌ منّا نفسَه من حدّ التّقصير وشوْبٍ من المَسْخِ الثّقافيّ والتّغريب.

مقياسُ مبلغِ هذا الشَّوبِ خطورةً أو تَضاؤلاً، موقفُنا من المنهَج التّربويّ الإسلاميّ الأصيلِ المَبنيِّ بإحكام معصوم على الرّؤيةِ التّوحيديّة والأعمالِ العباديّة. على النّظريّة والتّطبيق في مسارِ ﴿..يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ..﴾ آل عمران:١٩١، ومضمارِ ﴿..وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾ المطفّفين:٢٦ ... ﴿..أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا..﴾ هود:٧.

مقياسُ هذا الموقف «حُسْنُ التّأسّي». أن لا نفصلَ بين تزكيةِ المحمّديِّ وبين ما بلَّغَه سيّدُ النّبيّين للأجيال في صراطِ التّزكية. المنهجُ الذي التزمَه هو صلّى الله عليه وآله، وأهلُ بيته عليهم السّلام، والصّحابةُ الأبرار، والتّابعون الذين أحسَنوا التّأسّي والاتّباع.

من مفرداتِ مقياسِ «حُسن التّأسي» أمران: أن نجدَ مدرسةً إسلاميّةً تحاولُ تطبيقَ هذا المنهجِ النّبويّ في التّزكية. وأن نجدَ فينا مَن يقتنعُ بضرورةِ تأسيسِ جامعة (**مصباح المُتهَجّد**) أو (**إقبال الأعمال**) أو (**مفاتيح الجنان**).

كنوزٌ مَخبوءَة

إضاءات على المجهول من مكتبات النّجف الأشرف

صيانة المخطوطات في «مكتبة الرّوضة الحيدريّة المقدّسة»

إعداد: أحمد الحسينيّ

هذا التّحقيق، منتخَبٌ من دراسةٍ موسّعة أعدّها الأستاذ جعفر الخليلي عن تاريخ المكتبات العامّة والخاصّة في مدينة النّجف الأشرف، قدّم فيها، إلى ذلك، تعريفاً وافياً بأهمّها؛ وفي طليعتها (المكتبة الحيدريّة)، أو (مكتبة الخزانة العلويّة) التّابعة لمقام أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

ونظراً لأهميّة المعلومات الواردة في هذه الدّراسة، ونُدرتها، فقد آثرنا الاقتصارَ في هذا التّحقيق على إيراد ما كتبَه عن كيفيّة نشوء المكتبات النّجفيّة، على أن نوفّق لاحقاً، إن شاء الله، للتّعريف بأهمّ هذه المكتبات الّتي أدّت، وما تزال، دوراً علميّاً وحضاريّاً على مستوى العالم كلّه، إنطلاقاً من أعرق الحواضر الشّيعيّة على الإطلاق.

يُشار إلى أنّ الدّراسة التي أعدّها الأستاذ الخليلي نُشرت في المجلّد السّابع من (موسوعة العتبات المقدّسة).

ذهب بعضُ المؤرّخين إلى أنّ تاريخ النّجف العلميّ يبدأ مع تمصيرِها، أي منذ القرن الثّاني الهجريّ أو بعده بقليل، مستدلّاً على ذلك بانتقال النّشاط العلميّ من الكوفة إلى النّجف بَدو تمصير الأخيرة، وبوجود خزانة للكُتب في النّجف كان ممَّن عنِي بها عضد الدّولة البويهيّ (ت: سنة ٣٧٢ للهجرة)، وبظهور إجازات علميّة بالاجتهاد يرجع تأريخها إلى القرن الرّابع.

يقول المؤرّخ الشّيخ عليّ الشّرقي في كتابه (الأحلام): «ففي القرن الثّاني للهجرة بدأت العمارة والتّشييد لمدينة النّجف تدريجيّاً، فانتقلت المدرسة من الكوفة إليها، وبقيت الكوفة تصبّ في بحر النّجف، ومن بداية القرن الثّالث للهجرة ظهرت شخصيّات علميّة في النّجف، مثل شرف الدّين بن عليّ النّجفي، وأحمد بن عبدالله الغَرويّ، وابن شهريار..».

أمّا الأمر الّذي لا شُبهةَ فيه، فهو أنّ ذروة النّشاط العلميّ في النّجف الأشرف بدأ في منتصف القرن الخامس الهجريّ، عقبَ هجرة الشّيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسيّ، المعروف بـ (شيخ الطّائفة)، فقد كان الشّيخ الطّوسيّ «انفرد بزعامة الشّيعة في بغداد بعد وفاة الشّريف السّيّد المرتضى، وكان للشّيخ الطّوسيّ مكانة مرموقة في الأوساط العلميّة، وكان له كرسيٌّ للبحث والدّرس، وكانت دارُه في الكرخ مأوى الرّواد والمُتتبّعين من رجال العلم والتّأليف، وقد بلغ من العَظَمة والرِّفعة العلميّة أنْ صارت عدّةُ تلاميذه الّذين يحضرون بحثَه، وكلّهم من المجتهدين، نحو ثلاثمائة مجتهد».

(حياة الشّيخ الطّوسيّ، للشّيخ أغا بزرك، المقدّمة)

إحدى قاعات مكتبة الروضة الحيدرية

كُتب بغداد نواة مكتبات النّجف

حين حدوث الفتنة بين الشّيعة والسّنّة، واستفحال أمرها في أيّام طغرل بك، أوّل ملوك السلجوقيّين الّذي ورد بغداد سنة ٤٤٧ هجريّة، والّذي شنّ على الشّيعة حملةً شعواء، هاجر الشّيخ الطّوسيّ إلى النّجف بعد أن نُهب بيته وأُحرقت كُتبه.

قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٩ هجريّة: «وفي صفر من هذه السّنة كُبست دار أبي جعفر الطّوسيّ متكلّم الشّيعة بالكَرْخ، وأُخذ ما وُجد من دفاتره وكرسيٍّ كان يجلس عليه للكلام، وأُخرج إلى الكرخ وأُضيف إليه ثلاثة سناجيق [رايات] بيض كان الزّوّار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة، فأُحرق الجميع». (المصدر السّابق)

وكانت للشّيعة ببغداد مكتبةٌ أنشأها أبو نصر، سابور بن أردشير (المتوفّى عام ٤١٦ للهجرة) وزير بهاء الدّولة البويهيّ (من ملوك الدّولة البويهيّة، تولّى نحو عام ٣٨٠ للهجرة، وتوفّي عام ٤٠٣ للهجرة)، سنة ٣٨١ للهجرة في محلّة عُرفت بـ«بين السّورَيْن» في الكرخ، وكانت هذه المكتبة أهمّ المكتبات على الإطلاق بالنّظر لما كانت تحتوي عليه من كتُبٍ قيّمة منفردة، فقد جمع لها هذا الوزير الكُتبَ من مختلف الجهات والأماكن: من العراق، وفارس، والهند، والصّين، والرّوم على ما ذكر محمّد كردعليّ.

(خطط الشّام: ج ٦، ص ١٨٥، أخرجه الشّيخ أغا بزرك)

وقد جاء في (المنتظم) لابن الجوزيّ: أنّ محتويات هذه المكتبة لم تقلّ عن عشرة آلاف مجلّد، وكان فيها مائة مصحف بخطوط ابن مقلة (يُضرب بحُسن خطّه المثل. توفّي عام ٣٢٨ للهجرة)، وقد ضمّت نوادر الكتب وأعلاقها [جمع عِلق، وهو النّفيس]، ومن ذلك نسخة من ديوان عديّ بن زيد، إلى مئات من الكتب الّتي انفردت بها هذه المكتبة السّابوريّة الّتي قد تُسمّى (بدار العلم) أيضاً.

جانب من متحف للنفائس والمصاحف النادرة في النجف الأشرف

وكانت هذه الدّار مَوْئلاً للعلماء والباحثين، يتردّدون إليها للدّرس والمناظرة والمباحثة، ومن أشهر روّادها كان الشّاعر الفيلسوف أبو العلاء المعرّي، فقد طالما ذكرها وذكر بعض القائمين على أمرها، وآثَر الإقامة بها يوم كان ببغداد.

(رسائل أبي العلاء المعري: ص ٣٤، أخرجه كوركيس عواد)

وكان جماعة من العلماء يهدون مؤلّفاتهم لهذه الخزانة، وكان أكثرها بخطوط المؤلّفين أنفسهم، قال ياقوت الحمويّ: «وبها خزانة الكتب الّتي أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدّولة بن عضد الدّولة، ولم يكن في الدّنيا أحسن كتباً منها، كانت كلّها بخطوط الأئمّة المعتبرة وأُصولهم المحرّرة».

(معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٤٢)

وكان يشرف على هذه المكتبة ويتعهّدها عددٌ من كبار الرّجال وأئمّة العصر، وقد أورد التّاريخ اسم الشّريف المرتضى ضمنَ المعنيّين بهذه المكتبة، وقد أكثر المؤرّخون من ذِكر هذه المكتبة، وما تحتوي عليه من نفائس المخطوطات، الّتي مثّلت أكبر مجموعة

من مختلف الثّقافات، وقد أمر طغرل بك بإحراقها (حياة الشّيخ الطّوسيّ: ص ٥)، فضاعت بذلك ثروة لا تعوَّض من العالم الإسلاميّ، والعالم العربيّ، والعالم الشّيعيّ خاصة، فكان لا بدّ، إذاً، من أن تتّجه الفكرة بعد انتقال الشّيخ الطّوسيّ إلى النّجف واتّخاذها مركزاً علمياً، إلى التّعويض عن تلك الخسارة الجسيمة الّتي سبّبها إحراق المكتبة السّابوريّة، فكان هذا مبدأ انتعاش المكتبة المعروفة باسم (المكتبة العلويّة)، أو (المكتبة الحيدريّة)، أو (مكتبة الصّحن الشّريف) في النّجف، وهي المكتبة الّتي قيل إنّ تاريخ تأسيسها يرجع إلى القرن الثالث، أو ما بعده على الظّنّ القريب.

وبانتقال الشّيخ الطّوسيّ إلى النّجف الأشرف، انتقل النّتاجُ الفكريّ من جميع المدن الإسلاميّة الشّيعيّة لغرض التَّلْمذة على منبر النّجف، وهاجر الجمعُ الغفير من سائر الأقطار الشّيعيّة، «بالأدب ومواعين الأدب»، على حدّ تعبير الشّيخ عليّ الشّرقيّ، فأوجدوا في النّجف حركةً فكريّةً تمتاز عن الحركة الفكريّة في أُمّهات المدن العراقيّة، وكانت المكتبات، وما بدأت تجمع من الكُتب النّادرة، من أعظم مظاهر الثّقافة ومميّزات النّجف، حتّى نَدَر أنّ يكون هنالك عالم دينيّ من دون أنّ تكون له مكتبة خاصّة، تحتوي على نوادر الكتب الخطّيّة الفريدة، قليلها وكثيرها.

حركة الكُتُب والمخطوطات في النّجف

يقول الباحث في التّاريخ الإسلاميّ الدّكتور صالح أحمد العلي: «..بدأت العناية الشّعبيّة والرّسميّة في حفظ التّراث ومَنْعِه من التّسرّب، وقامت محاولات مُتعدّدة لجمع المخطوطات وصيانتها في مكتبات عامّة موحدّة يُتاح للرّاغبين فيها القراءة والبحث، وأظهرُ تلك المحاولات هي الّتي قام بها نفرٌ من (الغيورين) والعلماء في النّجف والبصرة لهذا الغرض».

(المستدرك على الكشّاف، عبدالله الجبوري، ص ١٢)

ولقد بلغ من شأن الكتاب وحتّى الكتاب العاديّ، أنّ يتقبّله تاجر الأقمشة والبقّال، وغيرهما، رهينةً عن مبلغ ربّما تجاوز ثمنُه أضعافاً مضاعفة، وكثيرون أولئك الّذين رهنوا مكتباتهم كلّها أو بعضها في الأجيال الماضية للخروج من ضائقةٍ ماليّةٍ كبرى. وانحصرت الثّروة الكبيرة – إن جاز التّعبير – عند هذه الطّبقة من أهل العلم والبحث، فراجت تجارتُها، وراح يطوف تجّار الكتب في أغلب الأقطار الإسلاميّة كالهند، وإيران، يجمعون الكتب النّادرة الفريدة وغير الفريدة من المخطوطات القديمة، فيأتون بها إلى النّجف ويزفّون البشارة إلى هواة الكتب، والعلماء، والأُدباء، بما احتوى عليه تَطوافهم من نفائس الكتب ونوادرها، قبل وصول الصّناديق، أو قبل فَتْحِها، فيستعدّ الشّرّاؤون للشّراء، قبل وصول البضاعة بأيّام. ومن الّذين عُرفوا بمثل هذه التّجارة في الحقبة الأخيرة كان آل الدّشتيّ، وآل زاهد، وآل العامليّ، وآل الشّيخ صادق الكتبيّ.

وقد التزم الوراثُ، حين يموت المُورِّثُ من أصحاب الكتب والخزائن، بالمحافظة على المخلّفات من هذه الكتب، ورعايتها، فلا يفرّطون فيها إذا كان الوارثون من أهل العلم والمعرفة، ما لم تكن هنالك حالة اضطراريّة تُرغمهم على اقتسام هذه الكتب، أو بيعها. فإذا ما اضطرّوا لبيع كتبهم نزلوا بها إلى سوق (المزاد)، وهي سوق خاصّة بالكتب، تُقام كلّ خميس وجمعة من كلّ أُسبوع، وهما اليومان اللّذان تتوقّف فيهما الدّراسة في النّجف، فينتهز باعةُ الكتب هذه الفرصة، وينزلون بالكتب الّتي يُعهَد إليهم ببيعها إلى السّوق، وتبدأ المزايدة من قبل الأساتذة وشيوخ العلم، والهواة، والطّلّاب، ولا تزال هذه السّوق قائمةً حتّى اليوم.

خبراء الكُتُب

عرفت النّجف في عصرها الأخير جماعةً من العلماء عدّوا حُججاً في معرفة الكتب النّادرة من المخطوطات وقيمتِها، وقد كسب هؤلاء من الشّهرة ما استدعى أنّ يذكرهم التّاريخُ المعاصر كخبراء بالكتب وبمؤلّفيها، منهم الشّيخ عليّ كاشف الغطاء، والشّيخ محمّد السّماويّ، والسّيّد جعفر بحر العلوم، والشّيخ عبد الحسين الحلّيّ، والشّيخ أغا بزرك، والشّيخ محمّد رضا فرج الله.

ففي يوم (المزاد) تتّجه الأنظار كلّها إلى الخبراء الّذين يعرفون قيمة الكتب النّادرة والمخطوطات، وخطّاطيها، فينافسونهم في شراء الكتب الّتي يحاول هؤلاء الخبراء شراءها، لذلك كثيراً ما اضطرّ هؤلاء الخبراء للاستعانة بالبعض لشراء الكتب الّتي يعيّنونها لهم، وهم يجلسون عن كثبٍ منهم خوفاً من منافسة الجَهَلة، التّي قد تسبّب ارتفاعَ ثمن الكتاب أكثر من ثمنه المُتعارف.

يقول جرجي زيدان: «وفي النّجف عادةٌ قديمة لا توجد في سواها من بلاد العراق، وهي أنّه في كلّ نهار خميس وجمعة، تقوم

سوقٌ تُعرَض فيها الكتب، وتُباع في المزايدة، فمنها ما يُباع بثمنٍ بخسٍ وهو ثمين، ومنها ما يُباع بثمنٍ غالٍ وهو لا يساوي فلساً، وما ذلك إلّا من جهل البعض ودراية البعض الآخر وذكائهم في مشترى المصنّفات».

(تأريخ آداب اللّغة العربيّة: ج ٤، ص ١٢٩)

إحدى قاعات «مكتبة العلّامة الأميني»، (صاحب الغدير)، في النجف الأشرف

وكثيراً ما تُعرَض في سوق (المزاد) هذا رُزَمٌ من أوراق وكُتب وكراريس مشدودٌ بعضُها إلى بعض، فينزّلها من (يدلّل) بالكتب وينادي عليها في ميدان البيع باسم (الصّفقة)، وينادي عليها بصوت عالٍ قائلاً: «إنّها صفقةٌ لا تُباع إلّا جملةً واحدةً على كلّ عيبٍ شرعيّ»، وكثيراً ما يعثر المشترون في هذه (الصّفقات) على نفائس لا تثمَّن من المواثيق التّاريخيّة، والكتب المفقودة، والنّصوص الضّائعة.

ولم يكن الانتقال في العصور السّابقة من بلدٍ إلى آخر، خصوصاً إذا كانت المسافة شاسعة، بالأمر الهيّن اليسير، لذلك فإنّ الكثير ممّن أنهى دراستَه، وراهقَ الاجتهاد، وأراد العودةَ إلى بلده، أنزلَ كتبَه إلى سوق المزاد، وباعها، أو أنّه أوقفها على طلّاب العلم والمعاهد، فصار الكتاب الّذي يدخل النّجف لا يخرج منها إلّا نادراً وفي حالاتٍ استثنائيّة، فتوسّعت مكتباتُ النّجف وصارت المخطوطات النّادرة، سواء من المصاحف الفنّيّة، أو الكتب التّاريخيّة، أو الدّينيّة، والأدبيّة، والكراريس، في زيادةٍ مستمرّة جعلت مكتبات البيوت، والمكتبات العامّة، تزخر بها وتنمو يوماً بعد يوم.

قال جرجي زيدان مقارناً بين مكتبات بغداد والنّجف: «مكتبات بغداد هي أُمّ المكتبات، إلّا أنّ كُتب النّجف أقدمُ خطّاً وأندرُ وجوداً، وأتقن كتابةً، وموضوعاتها مختلفة». (المصدر السّابق)

توقير الكتاب

يقول الشّيخ عليّ الشّرقيّ: «ومن النّوادر أنّ شيخاً من شيوخ الأدب يظهر أنّه كان رقيق الدِّين، عرض عليَّ شراء كُتُبٍ مخطوطة، كانت عليها شارةُ التّحبيس، فقلتُ له: كيف تبيع الوقفَ

نماذج من عشرات الدوريات صدرت في النجف الأشرف بين عامَي ١٩١٠ و١٩٦٨م

المحبّس؟ فقال: إنّي لا أرى الملكيّة في الكتاب، لأنّ المؤلّف يريد بثّ المعرفة وإشاعة أفكاره، وما ملكيّة الكتاب إلّا استيعابه قراءةً فقط، وعليه فالكتاب لا يُمَلَّك، أمّا الثّمن المبذول فهو عوض عن قراءته فقط، ولمّا كانت القاعدة الفقهيّة القائلة (لا وقف إلّا في ملك)، فمن الغلط أن يقال هذا الكتاب وَقْف».

وقريبٌ من هذا الرّأي ما ذهب إليه جماعةٌ من ذوي الفضل إيثاراً وسبيلاً للمنفعة في كُتبهم لكلّ مَن يريد الاستفادة بقراءتها، قائلين: «إنّ غلّةَ الكتاب قراءته، وزكاةُ تلك الغلّة إعارتُه». ويعاكس هذا الرّأي مَن يوصدُ بابَ مكتبته في وجوه الطلّاب، شحّةً وضنّةً، وكثيرٌ أولئك الّذين يقبضون على الكُتب قبضةَ الشّحيح.

ويقول الشّرقيّ: «اتّفق لي وأنا صبيٌّ أنْ أَلِجَ، على ضَنينٍ بالكُتب، مكتبتَه الّتي صُفَّت فيها الكُتبُ النّفيسةُ وراء أبواب الزّجاج، وكانت المكتبة مفروشةً بالطّنافس، والسّجّاد الإيرانيّ الممتاز، فوجدتُ صاحب المكتبة جالساً على طرّاحة في زاوية تلك المكتبة، وهو كفيفُ البصر، وإلى جانبه قارئٌ يتلو عليه ما يريد تلاوتَه، وبينا أنا أُطارحه الحديث رفعتُ يدي، فاصطدمتْ بباب الخزانة، وعندما سمع نقرها اضطرب انزعاجاً، واستفهم بارتباكٍ، ولم تهدأ روعتُه حتّى عرف أنّها الصّدفة ولم يحدث شيء..!!».

ويتابع الشّرقيّ حديثه، فيقول: «ويدور الزّمن، ويموت ذلك الجَمّاعةُ للكُتب، ويهمّ وارثُه بحمل ما في المكتبة إلى معرض الكتب للبيع، فيستعين بي وبرفيقٍ لي لنعرّفه بالمهمّ من تلك

النّفائس، وتثمينها. وعند دخولي المكتبة دُهشتُ حين وجدتها شعثاء، موحشة، قد فارقتْ رَونقَها، وكان التّرابُ فراشَها والغبرةُ تعلو خزاناتها، ومُدَّ لنا حصيرٌ جلسنا فوقَه، وكان رفيقي لا يعلم بالّذي يُخالجني، وبينا نحن منهمكون باستعراض بعض الكتب المبثوثة في تلك المزبلة لا المكتبة، إذا برجَّةٍ تهزّ الغرفة، فحوَّلتُ بصري ووجدتُ أحدَ الوَرَثة قد وضع سلّماً خشبيّاً وصعد عليه واضعاً يده وراء النّضدة من الكتب، يدفعها لتطيحَ على الأرض، لأنّه تَعِبَ من تناولها كتاباً كتاباً، فتذكّرت ذلك الكفيفَ وفَزَّتَه من نقرة الباب، وكيف أربكَتْهُ، وقلت: مَن لي به ليسمعَ ويشاهدَ ما فعلَه هذا العابثُ البَطِر». (الأحلام: ص ٦١ - ٦٢)

لذلك فليس اليوم أثر، ولا بعضُ أثرٍ للمكتبات الخاصّة، فكم بالأَولى أن تزول من الوجود، بعد زمنٍ قصيرٍ، حين يكون الوارثون لها مضطرّين لبيعها، أو مهمِلين لرعايتها، وعلى هذا فما كان من المكتبات في القرون الأخيرة كالرّابع عشر والثّالث عشر مثلاً، هو غير ما كان في القرن الثّاني عشر والحادي عشر، وما قبل ذلك.

وما كان يملكه آل (الملالي)، مثلاً، من نفائس المخطوطات في أوائل القرن الثالث عشر، هو اليوم من ممتلكات طوائف كثيرة من أهل العلم في النّجف، وهو يؤلّفُ جزءاً من مكتباتٍ لم يكن لها أيُّ وجودٍ قبلَ هذا القرن، وهذا ما جعلَ من الصّعب على المؤرِّخين أن يعرضوا لتأريخ هذا العدد الهائل من المكتبات الّتي كانت تنشأ في جيلٍ وتزول في جيلٍ آخَر، لقلّة المراجع الّتي يعوِّل عليها المؤرّخ.

آية الله المرعشي يسجَن بسبب كتاب

لآية الله السّيّد شهاب الدّين المرعشيّ النّجفيّ قدس سره خدمات جليلة في حماية التّراث العلميّ الإسلاميّ وحِفْظِه، فقد نذر حياتَه منذ شبابه لحيازة نفائس الكُتب والمخطوطات وصيانتها من التّلف والضّياع، وكابدَ في سبيل ذلك أنواع المحَن والصّعوبات، حتّى انتهى الأمرُ إلى تشييده إحدى أهمّ المكتبات العالميّة في مدينة قمّ المقدّسة، وهي المعروفة اليوم باسم (مكتبة السّيّد المرعشيّ).

أخبر السّيّد المرعشيّ قدس سره بعضَ طلّابه عن حادثةٍ جرت معه أيّام شبابه، سنة ١٩٢١ ميلاديّة، عند دراسته في النّجف الأشرف، فقال:

«خرجتُ، ذات يوم، من مدرسة القوّام الواقعة في محلّة المشراق، متوجّهاً إلى السّوق المتّصلة بالباب العلويّ الشّريف، فرأيتُ امرأةً تبيع بيض الدّجاج، دنوتُ منها لشراء البيض، وإذا بكتابٍ بين أغراضها بانَ جزءٌ منه، فتصفّحتُه، فإذا هو كتاب: (رياض الصّالحين) للعلّامة عبد الله أفنديّ، الّذي لا يوجَد عنه أيّ نسخةٍ أخرى. فسألتها: بِكَم تبيعينه؟ قالت: بخمس روبيّات، فقلت لها: اشتريتُه منك بمائة روبيّة، فوافقت.

في هذه الأثناء حضر رجلٌ دلاّلٌ للكتب اسمُه (فلان)، يشتري الكُتب القديمة لصالح مكتبة لندن، بأسعارٍ زهيدة، ويسلّمُها للحاكم الإنكليزيّ في النّجف الأشرف، فتناول الكتاب من يدي عنوةً، وقال للمرأة: أنا أشتريه منكِ بأكثر ممّا دفع هذا، وأخذ يزايد في سعره. عندها، حوّلتُ وجهي إلى جهة الحرم الشّريف، وخاطبتُ أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: سيّدي! أنت لا تَرضى أن يخرج هذا الكتاب من يدي، وأنا أريد أن أخدمَكم به..

بعد قليل، قالت المرأة للدّلاّل: لن أبيعَك الكتاب، فإنّه لهذا السّيّد.

جمعتُ المبلغ من هنا وهناك وأعطيتُه للمرأة، ومضيتُ به. فما مرّت ساعةٌ إلّا والدّلاّل مع الشّرطة قد هجموا على المدرسة واعتقلوني وساقوني إلى الحاكم الإنكليزيّ، فأخذ يتكلّم بلغته مزمجراً، متّهماً إيّاي بالسّرقة، ثمّ أَمر بسجني، فسُجنت تلك اللّيلة، وأنا أتوسّل إلى الله أن يحفظَ ذلك الكتاب الّذي أخفيتُه. وفي اليوم الثّاني، بعث المرجع الأعلى (شيخ الشّريعة) جماعةً إلى الحاكم، وانتهت المباحثات بإخراجي من السّجن، شرطَ تسليم الكتاب بعد شهر إلى الحاكم الإنكليزيّ.

فطلبتُ من الطَّلَبة نَسْخَ الكتاب، وقبل انتهاء المدّة، تمَّ نَسْخُه، فحملتُ الكتاب إلى شيخ الشّريعة، وقلت له: أنت مرجع المسلمين الحاليّ، وهذا الكتاب لا يوجد منه سوى ما نسخناه، ويريد الحاكم الإنكليزيّ أخْذَ الكتاب الأصليّ، فلمّا رأى الكتاب، قام ثمّ جلس، ثمّ قام وجلس، وقال: هذا هو الكتاب؟ قلت نعم. فكبّر الله تعالى وهلّل، وأخذه منّي حتّى يحينَ انقضاء المدّة، لكنّ الحاكم الإنكليزيّ قُتل بهجومٍ شعبيٍّ قبل موعد تسليم الكتاب، فبقي الكتاب بحوزة شيخ الشّريعة، وبعد وفاته انتقلَ إلى وَرثته».

أمّا النّسخة الّتي كانت بحوزة السّيّد المرعشيّ النّجفيّ، فقد استُنسخ عنها ١٢ نسخة، إحداها كانت عند السّيّد عبد الحسين شرف الدّين، وأخرى عند السّيّد حسن الصّدر.

مراقبات شهر رمضان المبارك

واجباتُ المؤمن في شهر الله تعالى، كما يحدّدها الإمام زين العابدين عليه السلام

إعداد: «شعائر»

* «الْحَمْدُ لله الَّذي هَدَانَا لحَمْده، وجَعَلَنَا منْ أَهْله لنَكُونَ لإحْسَانه منَ الشَّاكرينَ، ولِيَجْزِيَنَا عَلَى ذَلكَ جَزَاءَ الْمُحْسنينَ. والْحَمْدُ لله الَّذي حَبَانَا بدينه، واخْتَصَّنَا بملَّته، وسَبَّلَنَا في سُبُل إحْسَانه لنَسْلُكَهَا بمَنِّه ورِضْوَانه، حَمْداً يَتَقَبَّلُه منَّا، ويَرْضَى به عَنَّا».

للإمام عليّ بن الحسين، زين العابدين عليهما السلام عدّة أدعية حول شهر رمضان المبارك، اثنان منها مذكوران في الصّحيفة السّجاديّة، الأوّل منهما (رقم ٤٤) في استقبال الشّهر، والثّاني (رقم ٤٥) في وداعه، والفقرات الّتي تقدّمت هي مفتتَح الدّعاء الأوّل.

*** هذا المقال، شرح فقراتٍ من هذا الدّعاء الجليل، تظهيراً لأهمّ العناوين الواجب استحضارُها ونحن في ضيافة الرّحمن، اخترناها بتصرّف بسيط من كتاب (مناهل الرّجاء - أعمال شهر رمضان المبارك) للشّيخ حسين كوراني.**

*** يَلي الشّرح كلامٌ موجز حول أبرز أيّام شهر رمضان المبارك.**

الحمدُ لله الذي بلّغنا شهرَ الصّيام والقيام، ونسأله سبحانه أن لا يجعل حظّنا منه الجوعَ والعطش. ما هكذا الظّنُّ به ولا المعروفُ من فضله، وقد أُمرنا أن نُردّد في رجب «**عَادَتُكَ الإحْسَانُ إلَى الْمُسِيئِينَ**». وفي شعبان: «**إلَهي لَوْ أَرَدْتَ هَوَانِي لَمْ تَهْدِنِي**».

أرادَنا اللهُ عزّ وجلّ أن نصلَ في شهر رمضان المبارك إلى حيث لا يُمكنُنا أن نصلَ بدون ضيافة الرّحمن، في شهر الرّحمن.

من حبِّه لنا عزّ وجلّ أنّه أقامَ هذه المحطّات الزّمنيّة المميّزة، وفي طليعتها شهرُ رمضان المبارك، وبسطَ سبحانَه موائدَ الرّحمة في هذا الشّهر الكريم، ودعانا إلى الاستزادة من الثّواب، وأن نجِدَّ السّيرَ في طريق الحصول على رضوانه تقدّست أسماؤه.

***

الدّعاء الرّابع والأربعون من أدعية الصّحيفة السّجّاديّة هو بمنزلة شرحٍ لخطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان المبارك.

بعد الفقرات المتقدّمة من الدّعاء، يُبيّن الإمام زين العابدين عليه السلام أهمّيّة الشّهر المبارك، فيقول:

«**والْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَه شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَامِ، وشَهْرَ الإسْلَامِ، وشَهْرَ الطَّهُورِ، وشَهْرَ التَّمْحِيصِ، وشَهْرَ الْقِيَامِ الَّذِي أُنْزِلَ فِيه الْقُرْآنُ، هُدىً لِلنَّاسِ، وبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى والْفُرْقانِ**».

تُرى أين تكمن فضيلة شهر رمضان المبارك؟ هل السّبب في فضيلته وأهميّته الصّومُ فيه؟ أم أنّ عظَمته تنبع من شيء آخر، والصّيام فيه من أجل تلك الفضيلة؟ يقول عليه السّلام:

«**فَأَبَانَ فَضِيلَتَه عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ بِمَا جَعَلَ لَه مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمَفْرُوضَةِ، والْفَضَائِلِ الْمَشْهُورَةِ، فَحَرَّمَ فِيه مَا أَحَلَّ فِي غَيْرِه إعْظَاماً، وحَجَرَ فِيه الْمَطَاعِمَ والْمَشَارِبَ إكْرَاماً**».

فالصّيامُ ليس إذاً سببَ فضيلة هذا الشّهر المبارك، وإنّما كان الصّيامُ فيه لمكانته قبلَ الصّيام، وهذه المكانة سببُها نزولُ القرآن الكريم في هذا الشّهر كما صرّح بذلك بعض العلماء، وكما يُفهَم من قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ..﴾ البقرة:١٨٥.

وهكذا نفهم استطراداً - ولو في حدودنا - ما معنى أنّ شهر رمضان ربيعُ القرآن، ونفهم أهمّيّة الحثّ على تلاوته في هذا الشّهر، فإنّه شهر القرآن الكريم، وليس عَجَباً أن يكون ثواب الآية الواحدة فيه ثواب ختمةٍ من كتاب الله المجيد.

فما هي واجباتُنا في شهر الله تعالى كما يحدِّدها الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الدّعاء؟

أوّلاً: معرفةُ حُرْمَةِ الشّهر

يحثُّنا الإمام زين العابدين عليه صلوات الرّحمن على أنْ نعرف حُرمة شهر رمضان المبارك، فيقول عليه السّلام:

«أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وأَلْهِمْنَا مَعْرِفَةَ فَضْلِه، وإِجْلَالَ حُرْمَتِه، والتَّحَفُّظَ مِمَّا حَظَرْتَ فِيه».

إنّ مجرّد المعرفة لا يكفي، بل المطلوب أن تقود هذه المعرفة إلى العمل الّذي ينشأ بدوره من إجلال هذا الشّهر، ويتمثّل بالتّحفّظ فيه ممّا حَظَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ علينا، ومَنَعنا منه. ينبغي أن نشعر بوضوحٍ أنّ المعصية في هذا الشّهر أشدُّ خطورة من غيره من الشّهور، فلسنا في ضيافة الرّحمن تقدّست أسماؤه في وقتٍ كغيره، وليس الفارق بينه وبين غيره عاديّاً.

ثانياً: الصّوم الحقيقيّ

يؤكِّد الإمام زين العابدين عليه السلام على أن يكون صَومنا صوماً حقيقيّاً:

«وأَعِنَّا عَلَى صِيَامِه بِكَفِّ الْجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِيكَ، واسْتِعْمَالِهَا فِيه بِمَا يُرْضِيكَ».

الكفُّ عن المعاصي مطلوبٌ وهو شرطٌ لقبولِ الصّوم، إلّا أنّ ذلك ليس نهايةَ المطاف، بل المطلوب أيضاً أن ننتقل من الكفّ السّلبيّ إلى استعمال الجوارح إيجاباً بِما يُرضي الله تعالى. من هنا لم يقتصر الإمام عليه السّلام على قوله: «وأَعِنَّا عَلَى صِيَامِه بِكَفِّ الْجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِيكَ»، وإنّما أضاف: «واسْتِعْمَالِهَا فِيه بِمَا يُرْضِيكَ».

كيف يتحقَّق ذلك؟

يُبيّن لنا عليه السّلام في الجواب على هذا السُّؤال ستّة واجباتٍ، ثمّ يحدّد لنا عنواناً عامّاً شاملاً لأبواب البِرّ.

أمّا الواجبات السّتّة فهي:

١- «حَتَّى لَا نُصْغِيَ بِأَسْمَاعِنَا إِلَى لَغْوٍ»: واللّغو كلّ ما فيه ضَرر أو ليس فيه نفع. لا بدَّ أن يصومَ السّمعُ في شهر الله تعالى، وصوم الأُذُن في عدم إصغائها للحرام، وأكثر من ذلك في عدم إصغائها للّهو.

٢- «ولَا نُسْرِعَ بِأَبْصَارِنَا إِلَى لَهْوٍ»: والمُراد أن لا نَنظر إلى شيءٍ عَبَثِيٍّ، سواءً كان حراماً أو حلالاً، وصومُ العين في اهتمامها بما يُقرِّب من الله عزَّ وجلَّ، فضلاً عن الاهتمام بترك النَّظرة الحرام.

٣- «وحَتَّى لَا نَبْسُطَ أَيْدِيَنَا إِلَى مَحْظُورٍ»: لليَدِ حصّتُها من الصّوم، فينبغي أن لا تمتدّ بأذًى، ولا بسائر ما يُسخط اللهَ عزَّ وجلَّ.

٤- «ولَا نَخْطُوَ بِأَقْدَامِنَا إِلَى مَحْجُورٍ»: القَدم أيضاً لها نصيبُها من الصّوم، فكيف يكون الشّخص صائماً ويمشي إلى مجلسِ حرام؟

٥- «وحَتَّى لَا تَعِيَ بُطُونُنَا إِلَّا مَا أَحْلَلْتَ»: وهو تأكيدٌ على التّدقيق في المأكل والمشرب. فَفي طليعة أولويات الاهتمام بشهر رمضان، التّدقيق في المَكسب والدَّخل المالي عموماً، حذراً من أن يكتشف الصّائم متأخّراً أنّه كان في ضيافة الله تعالى كاللّصّ الذي يُشارك في ضيافة مَن سرق منه.

٦- «ولَا تَنْطِقَ أَلْسِنَتُنَا إِلَّا بِمَا مَثَّلْتَ»: أي لا نقول إلّا الحقّ. ينبغي أن يكون الصّائم حذِراً فلا يحرّك لسانه في ما يُسخط اللهَ عزَّ وجلَّ، بل أكثر من ذلك ينبغي أن يكون حَذِراً فلا يحرّكه إلّا بما يُدنيه من الله تقدّست أسماؤه.

هكذا نجد أنفسنا أمام أمورٍ أساسيّة ينبغي أن يطولَ اهتمامُنا بها في شهر الله تعالى. لا يُمكن للصّائم أن يُطلقَ العنان لجوارحه، فإنّ ذلك ينافي نيّة الصُّوم، بل ينافي الهدف منه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والتّقوى وإنْ كان مَصبُّها القلب «**تَقوى القُلوب**»، إلّا أنّ الجوارحَ تعبِّر عمّا في القلب وتَحكيه بأفصح لغةٍ، فتُثبت صحّةَ النّيّة أو عدمها.

ثالثاً: العمل الصّالح بإخلاص

وأمّا العنوان العامّ الّذي يحدِّده لنا الإمام زين العابدين عليه السلام، فهو ما عبّر عنه بقوله:

«ولَا نَتَكَلَّفَ إِلَّا مَا يُدْنِي مِنْ ثَوَابِكَ، ولَا نَتَعَاطَى إِلَّا الَّذِي يَقِي مِنْ عِقَابِكَ، ثُمَّ خَلِّصْ ذَلِكَ كُلَّه مِنْ رِئَاءِ الْمُرَائِينَ، وسُمْعَةِ الْمُسْمِعِينَ، لَا نُشْرِكُ فِيه أَحَداً دُونَكَ، ولَا نَبْتَغِي فِيه مُرَاداً سِوَاكَ».

إنّه عليه السّلام يُنبّهنا إلى أنّ النّيّة السّيّئة تُفسد العمل الصّالح وتجعله عملاً سيئاً، فلا بدّ من التّنبّه إلى أنْ لا يغزو الرّياء قلوبَنا، فتفسد نوايانا ونقع في أسرِ حُبّ السُّمعة، ونخرج بذلك من عبادة الحقّ تعالى إلى عبادة النّاس.

إنّ العاقل المصدِّق بما أخبر به الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله، هو مَن يضع خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله - وهذا الدّعاءُ من الصّحيفة السّجادية، هو كالشّرح لتلك الخطبة - أمام عينيَ القلب، ويلتزم بها مَنهجاً عملياً فيُكثر من تلاوة القرآن، والصّلاة على النّبيّ وآله، والاستغفار، وطول السّجود، وإكرام اليتيم، وسائر ما ورد الحثُّ عليه في الخطبة النّبويّة، يبتغي بذلك ما يُطهّره من الآثام، ويُقرّبه من الله تعالى.

رابعاً: آداب الصّلاة

وفي مجال كيفيّة الصّلاة، يُبيِّن عليه السّلام أن تكون: «عَلَى مَا سَنَّه عَبْدُكَ ورَسُولُكَ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْه وآلِه، فِي رُكُوعِهَا وسُجُودِهَا وجَمِيعِ فَوَاضِلِهَا عَلَى أَتَمِّ الطَّهُورِ وأَسْبَغِه، وأَبْيَنِ الْخُشُوعِ وأَبْلَغِه».

ما المانع أن نجرّبَ الصّلاةَ أحياناً مع سائر المستحبّات، بدءاً من مستحبّات الوضوء وانتهاءً بالتّعقيبات بعد الصّلاة؟

أوَليسَ من الطّبيعيّ أن يكون شهرُ الله تعالى موسماً لصلاةٍ من نوعٍ آخَر؟ أوَيُعقَل أن ينقضيَ عن أحدِنا شهرُ رمضان وهو في دوّامة عملٍ مستمرّة، لا يعرف كيف يبدأ بصلاته، ولا كيف ينتهي منها.

خامساً: صِلَةُ الرّحم

«أَللّهُمّ وَفِّقْنَا فِيه لأَنْ: نَصِلَ أَرْحَامَنَا بِالْبِرِّ والصِّلَةِ..»:

صِلَةُ الرّحم أسمى من أن تدور مدار الظّاهر، ومنه التّزاورُ والمال، فقد يوجد ذلك كلّه، وتكون القطيعةُ قائمةً بأقبح مظاهرها الكريهة!

إنّ المحوَر هو الاعتراف بأنّ هذا الرّحِم إنسانٌ له كرامته، أراد الله تعالى حفظَها وبذل الجهد في صَوْنها والدّفاع عنها، ولأجل ذلك شرّع سبحانه فقهَ كرامة الإنسان.

سادساً: الجيران

«... وأَنْ نَتَعَاهَدَ جِيرَانَنَا بِالإِفْضَالِ والْعَطِيَّةِ..»:

حيث إنّ الهدف من حُسن العلاقة بالجار ينبعُ من مشكاة العلائق الإنسانيّة نفسِها، كما أرادها الله تعالى، فإنّ المحوَر فيها أيضاً هو حالةُ القلب والمشاعر، وليس تقديمُ تَعاهُد الجار بالإفضال على تَعاهده بالعطيّة إلّا إلفاتاً إلى ذلك، كما أنّ تعاهدَه بالعطيّة إنّما كان «قيمةً» لأنّه يكشفُ عن الحالة القائمة بين الطّرفَين.

من أهمّ أعمال شهر رمضان

ما يلي، لائحة بأهمّ أعمال شهر رمضان المبارك كما وردت في خطبة الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله، في استقبال شهر الرّحمن، وهذه الخطبة مرويّة عن أمير المؤمنين عليه السّلام.

.. فَاسْأَلُوا اللهَ رَبَّكُمْ بِنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ، وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ:

١- أَنْ يُوَفِّقَكُمْ لِصِيَامِهِ، وَتِلاوَةِ كِتَابِهِ. «مَنْ تَلا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ».

٢- تَصَدَّقُوا عَلَى فُقَرَائِكُمْ وَمَسَاكِينِكُمْ.

٣- وَقِّرُوا كِبَارَكُمْ.

٤- ارْحَمُوا صِغَارَكُمْ.

٥- صِلُوا أَرْحَامَكُمْ. «وَمَنْ وَصَلَ فِيهِ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ قَطَعَ فِيهِ رَحِمَهُ قَطَعَ اللهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ».

٦- احْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ.

٧ و٨- غُضُّوا عَمَّا لا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ أَبْصَارَكُمْ، وَعَمَّا لا يَحِلُّ الاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ أَسْمَاعَكُمْ.

٩- تَحَنَّنُوا عَلَى أَيْتَامِ النَّاسِ يُتَحَنَّنْ عَلَى أَيْتَامِكُمْ. «وَمَنْ أَكْرَمَ فِيهِ يَتِيماً، أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ».

١٠- تُوبُوا إِلَى اللهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ.

١١- ارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلاتِكُمْ.

١٢- إِنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرْهُونَةٌ بِأَعْمَالِكُمْ، فَفُكُّوهَا بِاسْتِغْفَارِكُمْ...

١٣- وَظُهُورَكُمْ ثَقِيلَةٌ مِنْ أَوْزَارِكُمْ، فَخَفِّفُوا عَنْهَا بِطُولِ سُجُودِكُمْ.

١٤- مَنْ فَطَّرَ مِنْكُمْ صَائِماً مُؤْمِناً فِي هَذَا الشَّهْرِ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عِتْقُ رَقَبَةٍ، وَمَغْفِرَةٌ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ.

١٥- مَنْ حَسَّنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلُقَهُ، كَانَ لَهُ جَوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الأَقْدَامُ.

١٦- مَنْ خَفَّفَ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، خَفَّفَ اللهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ.

١٧- مَنْ كَفَّ فِيهِ شَرَّهُ، كَفَّ اللهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ.

١٨- مَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِصَلاةٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ.

١٩- مَنْ أَدَّى فِيهِ فَرْضاً كَانَ لَهُ ثَوَابُ مَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ.

٢٠- مَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلاةِ عَلَيَّ، ثَقَّلَ اللهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخِفُّ الْمَوَازِينُ....

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليُّ بن أبي طالب عليه السّلام: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَفْضَلُ الأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ! أَفْضَلُ الأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ: الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

سابعاً: تخليصُ المال من التّبعات

«... وأَنْ نُخَلِّصَ أَمْوَالَنَا مِنَ التَّبِعَاتِ، وأَنْ نُطَهِّرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَوَاتِ»:

تحدّث السّيد على خان الشّيرازيّ صاحب (رياض السّالكين) حول المُراد بتخليص الأموال من التّبعات، فبيَّن أنّ المُراد بالتّبعات كلُّ ما يَجب على الإنسان إنفاقُه من المال، وكلُّ ما يستحبّ إنفاقه، فلم يُنفقه، ولحقَه بسبب ذلك تبعةٌ وترتّبت عليه مسؤوليّة.

فالمُراد بالتّبعات: المسؤوليّات المترتّبة نتيجةَ تَرْك الإنفاق الواجب كالخُمس، والإنفاق المستحبّ كالصّدقة وما شابه، ثمّ أورد في (رياض السّالكين) عدّة رواياتٍ تبيّن أنّ على الإنسان أن ينفقَ من ماله غير الخمس والزّكاة.

ثامناً: تطهيرُ القلب من العداوات

يؤكّد الإمام زين العابدين عليه السلام في الفقرة الآتية من الدّعاء على الحقائق التّالية:

١ - «وأَنْ نُرَاجِعَ مَنْ هَاجَرَنَا»:

أي أن يحرص الصّائم على مَدِّ جسور التّفاهم بينه وبين مَن بادر إلى هجرانه ومقاطعته، ليُثبت بذلك أنّه قد تفاعل مع ضيافة الرّحمن، وتخلّص من قسوة القلب الّتي تحملُه على تقبُّل هجران مسلمٍ له دون أن يحرّك ساكناً. تصلُ رقّة قلب المسلم، ويصل تأثيرُ الصّوم فيه إلى حدّ أنّه يبادر إلى إصلاح ذات البَين مع مَن بادر إلى قطيعته. ومن هنا نفهم واجبَنا تجاه من بادرْنا نحنُ إلى قطيعتهم.

٢ - «وأَنْ نُنْصِفَ مَنْ ظَلَمَنَا»:

مطلوبٌ أن يحرص كلٌّ منّا على العدْل حتّى مع مَن ظَلَمه، وأوّل ما يتطلّبه ذلك أن لا يُبقي جوّه النّفسيّ مشحوناً بالتّوتّر والتّشنُّج والغَيظ والحقد، فإنّ ذلك أرضيّة خصبة لردّات الفعل غير المتوازنة، فيندفع إلى ظلم مَن ظَلَمه، بدل أن يكون حريصاً على إنصافه.

٣- «وأَنْ نُسَالِمَ مَنْ عَادَانَا، حَاشَا مَنْ عُودِيَ فِيكَ ولَكَ، فَإِنَّه الْعَدُوُّ الَّذِي لَا نُوَالِيه، والْحِزْبُ الَّذِي لَا نُصَافِيه»:

قد يَهجر شخصٌ شخصاً دون أن يكون جوُّه النّفسيّ جوّ معاداةٍ، فهو لا يريد القطيعة النّهائيّة، فإذا راجعَه عادت اللُّحمة، ويبدو أنّه المراد بما تقدّم من قوله عليه السّلام: «وأَنْ نُرَاجِعَ مَنْ هَاجَرَنَا». وقد يَهجره معادياً لا تنفع معه المحاولات لمعاودة اللُّحمة، وهنا يأتي دور المُسالمة لهذا المعادي، أي أن لا نكون حرباً عليه، فلا نقول فيه إلّا خيراً ولا نغتابه، فضلاً عن العمل للإيقاع به.

نعم، يُستثنى من ذلك مَن هو مِن الكافرين والمنافقين، ولذلك قال عليه السّلام: «حَاشَا مَنْ عُودِيَ فِيكَ ولَكَ، فَإِنَّه الْعَدُوُّ الَّذِي لَا نُوَالِيه، والْحِزْبُ الَّذِي لَا نُصَافِيه»، أي ما عدا مَن عاديناه في الله ولله تعالى، فهو العدوّ دائماً وأبداً، ما دام مُقيماً على الباطل.

تاسعاً: التّقرّب إلى الله تعالى بالأعمال الزّاكية

* «وأَنْ نَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ فِيه مِنَ الأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ بِمَا تُطَهِّرُنَا بِه مِنَ الذُّنُوبِ، وتَعْصِمُنَا فِيه مِمَّا نَسْتَأْنِفُ مِنَ الْعُيُوبِ»

يؤكّد الإمام زين العابدين عليه السّلام أن تَصل عبادتُنا في شهر رمضان حدّاً تُطهّرنا معه من ذنوبنا السّالفة، وأن تكون طاعاتنا في هذا الشّهر، بالإضافة إلى تطهيرنا ممّا سلف، عصمةً لنا بعد شهر رمضان المبارك.

* «وأَعِنَّا فِي نَهَارِه عَلَى صِيَامِه، وفِي لَيْلِه عَلَى الصَّلَاةِ والتَّضَرُّعِ إِلَيْكَ، والْخُشُوعِ لَكَ والذِّلَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى لَا يَشْهَدَ نَهَارُه عَلَيْنَا بِغَفْلَةٍ، ولَا لَيْلُه بِتَفْرِيطٍ. أَللَّهُمَّ واجْعَلْنَا فِي سَائِرِ الشُّهُورِ والأَيَّامِ وَمَا نَسْتَأْنِفُ مِنَ السِّنِيْنَ وَالأَعْوَامِ، كَذلِكَ، أَبَدَاً مَا عَمَّرْتَنَا، فَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ..».

وأنت ترى بكلِّ جلاءٍ أنّ المحوَر في كلّ فقرات هذا الدّعاء المبارك، أن لا نتعامل مع شهر رمضان كَغيره من الشّهور، بل نتفرّغ فيه للعبادة ونشحنَه بها، ولا شكّ أنّ إدراك هذه الحقيقة يحمل على التّخطيط المُسبق لِما يُمكِّن من ذلك، وسنكتشف لدى المحاولة الجادّة أنّ باستطاعتنا التّحلُّل من الكثير من انشغالاتنا أو تأجيلها، كما سنكتشف أنّ المشكلة ليست في عدم توفُّر الوقت، بل في إعطاء الأولويّة لِما لا يستحقُّ ذلك.

ولادة الإمام الحَسن المجتبى عليه السّلام

واسطةُ العقد من شهر رمضان المبارك ذكرى ولادة الإمام الحسن صلواتُ الله وسلامُه عليه، في السّنة الثّانية من الهجرة. فإلى المولى صاحب العصر والزّمان أرواحنا فداه، نرفعُ آيات التّهاني. [انظر: باب «صاحب الأمر» من هذا العدد]

ليالي القدر

من غرائب الغفلة، أنّنا نعرف أنّ ليلة القدر ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ القدر:٤، ونعرف أنّ إمام زماننا، بل إمام كلّ زمان يُطلَق عليه اسمُ «**صاحب الأمر**»، ولا نربط بين المعلومتين اللّتين هما وجهان لحقيقةٍ واحدة، فالأمرُ الذي ينزل هو نفسُه الأمر الذي يُعتبَر إمامُ الزمّان صاحبه بإذن الله تعالى. والرّوايات المصرّحة بذلك كثيرة، منها: عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام: «لَيْسَ شَيْءٌ يَخْرُجُ مِن عِنْدِ اللهِ عزّ وَجَلّ حَتّى يَبْدَأَ بِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، ثُمَّ بِعَلِيٍّ عَلَيه السّلام، ثمّ بِوَاحِدٍ وَاحِدٍ، لِكَيلَا يَكُونَ آخِرُنَا أعلمَ مِن أوّلِنَا».

وفي طليعة ليالي القدر، ليلةُ الجُهَنيّ، وهي اللّيلة الثّالثة والعشرون، وقد حظِيَتْ من رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام بعنايةٍ لم تحظَ بها أيّ ليلةٍ على الإطلاق.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان «.. يُوقِظُ أَهْلَهُ لَيْلَةَ ثَلاث وَعِشْرين، وَكَانَ يَرُشُّ وُجُوهَ النّيامِ بِالمَاءِ فِي تِلكَ اللّيلَةِ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ عَلَيها السّلام، لَا تدَعُ أَحداً مِن أَهْلِهَا يَنامُ تِلكَ اللّيلة، وَتُداوِيهِم بِقِلّةِ الطّعَامِ، وَتَتَأَهَّبُ لَهَا مِنَ النّهَارِ، وَتَقولُ: مَحْرُومٌ مَن حُرِمَ خَيْرَهَا».

شهادة أمير المؤمنين عليه السّلام

بين التّاسع عشر والحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك، يومان تتفطّر فيهما قلوب المؤمنين أسًى ولوعةً، لشهادة سيّد الوصيّين عليٍّ عليه السلام.

مصابٌ طالما أبكى المصطفى صلى الله عليه وآله. كيف أكون مقتدياً برسول الله إذا لم يُبكِني دماً؟ بل هل يُمكن لأحدٍ أن يدّعي الإسلام إذا لم يخفق قلبُه بحبّ أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام؟

وهل يُدرك أحدٌ ليلة القدر إذا لم يُدْمِ قلبَه مصابُ شهيدها؟ [انظر: باب «بصائر» من هذا العدد]

العشر الأواخر

للّيالي العشر الأخيرة من شهر رمضان شخصيّة مميّزة ينبغي تقديمُ احترامٍ خاصٍّ لها يتجلّى بالاهتمام بها بما يتناسب مع كونها غايةَ الغاية ونقطةَ النهاية من القمّة التي بدأ السّير نحوها من أوّل ليلة من شهر رجب، ويتناسب أيضاً مع كونها قاعدةَ الانطلاق النّموذجيّة نحو مدارج الكمال الإنسانيّ، والتّحليق في آفاق القُرب التي لا تقع الجنّة إلّا محطّةً في طريقها: ﴿..وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة:٧٢.

وقد تناقلت الأجيالُ اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله بأعمالٍ خاصّةٍ في هذه العَشر الخاتمة للشّهر، تكشف بمجموعها عن شخصيّتها المميّزة، كما أكّد الأئمّة من عترته الذين هم استمرارٌ له صلّى الله عليه وعليهم على أعمال خاصّة بها أيضاً، منها: ١- مجاورة سيّد الشهداء عليه السلام. ٢- الغُسل وأدعية خاصّة في كلّ ليلة. ٣- الاعتكاف.

من العطايا الربّانيّة الجَليلة، أن يخرج الصّائمُ من شهر رمضان، وقد طهُرَ قلبُه من العداوات.

العاقل هو مَن يلتزم خطبةَ رسول الله صلّى الله عليه وآله مَنهجاً عمليّاً طيلة شهر رمضان، والدّعاء الرّابع والأربعون من الصّحيفة السّجّاديّة هو كالشّرح لتلك الخطبة.

صِلَةُ الرَّحِم، وتَعاهُد الجيران، امتثالٌ للسُنّة الإلهيّة في تكريم بني آدم.

تفسيرُ القرآن الكريم

لمحة موجَزة في أصوله، وأبرز مناهجِه

إعداد: «شعائر»

«القرآنُ الكريم واضحٌ ومُيسّر للفهم، وكلّ مَن كان أصفى فطرةً وأكثر فِكراً وتدبّراً، فإنّه يحظى بفهمٍ أكبر، ويكون القرآن شفاءً ومصحّحاً للآراء والأفكار الّتي يحملها.

ولكن تبقى الحقائق المعنويّة وراء ستار الظّواهر، فاستلزمَ حَلُّها والكشفُ عن معانيها إلى فقه ودراسة، وتدبّرٍ، وإمعانِ نظر. هذا مضافاً إلى غرائب اللّغة الّتي جاءت في الكتاب المجيد على أفصحها وأبلغها، ما استوجب تفسيراً وكشفاً لما غمضَ من معانيها».

المقال التّالي في أصول تفسير القرآن الكريم وطرائقه، اختصرناه عن كتاب (دروس قرآنيّة)، من إعداد «مركز نون للتّأليف والتّرجمة»، في بيروت.

قد يتمكّن أيّ إنسان من فهم ظواهر الألفاظ القرآنيّة، ولكنّه لن يصل إلى فهم مقاصده الأصليّة ومراميه الكلّيّة، إلّا من باب تزكية النّفس وتطهيرها من الأدران الخُلقيّة، فما دام الإنسانُ أسيرَ أهوائه وغرائزه، فإنّه لا يستطيع أن يدرك القرآن الّذي هو نور.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره، في كلامٍ له عن القرآن الكريم:

«الّذين يقفون خلف حُجُبٍ عديدة لا يُمكنهم أن يدركوا النّور.. ما دام الإنسانُ لم يخرج من حجاب نفسه المُظلم جدّاً، وطالما أنّه مُبتلى بالأهواء النّفسيّة، وبالعُجب، وبالأمور الّتي أَوْجَدَها في باطن نفسه، وتلك الظّلمات الّتي **بعضُها فوق بعض**، فإنّه لا يكون مؤهّلاً لانعكاس هذا النّور الإلهيّ [أي نور القرآن] في قلبه».

***

لا بدّ للمفسّر في استكشاف مُراد الله تعالى في القرآن الكريم، من التزام أحد ثلاثة أمور، هي أصولُ التّفسير ومداركه:

١) اتّباعُ ظواهر الكتاب العزيز:

المُراد من ظاهر القرآن ما يفهمه العارفُ باللّغة العربيّة الفصيحة، من اللّفظ، ولم يقم على خلافه قرينة عقليّة أو نقليّة مُعتبرة، فالقرآن نزل بلسان يسيرٍ واضحٍ ومفهوم، وخاطبَ النّاسَ بالطّريقة المألوفة: ﴿..وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟..﴾ الحشر:٧.

٢) ما حكم به العقل الفطريّ الصّحيح:

الآيات القرآنيّة الّتي ينافي ظهورها الابتدائيّ أحكام العقل القطعيّة لا بدّ من حملها على معنىً يتلاءم مع تلك الأحكام، فالعقل يقطع بِوُجود الإله بعد التّفكّر والتّدبّر وعدم جواز الجسميّة له، فقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الفجر:٢٢، وإن كان ظاهراً ابتداءً في كون الجائي هو الرّبّ نفسه، المستلزم للجسميّة المُمْتَنِعَة في حقّه تعالى، إلّا أنّ حكم العقل القطعيّ باستحالة ذلك - لاستلزامه حاجة الخالق إلى جسمٍ، ما يجعله مُحتاجاً كمخلوقاته - يوجب عدم انعقاد ظهورٍ له بهذا المعنى، وهو اتّصافُ الرّبّ بالمجيء المادّيّ، وعليه فالمقصود بالمَجيء معنى آخر، كحضور صفة من صفات الله تعالى.

٣) ما ثبت عن المعصوم، من النّبيّ صلى الله عليه وآله، أو الإمام عليه السلام:

أمّا الإمام فلأنّه أحد الثّقلَيْن اللّذين أمَرَنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسّك بهما. والأئمّة كما قال الصّادق عليه السلام: «**وُلاةُ أَمْرِ اللهِ، وَخَزَنَةُ عِلْمِ اللهِ، وَعَيْبَةُ وَحْيِ اللهِ**».

كما أنّ في القرآن قواعد كُلّيّة ومفاهيم عامّة لا نفهم جزئيّاتها وتفاصيلها وحدودها إلّا من خلال الرّسول صلى الله عليه وآله، والعترة عليهم السلام، وهذا ما يعبَّر عنه بالتّبيين. قال تعالى: ﴿..وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ..﴾ النّحل:٤٤.

وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ..﴾ البقرة:١١٠. فيأتي بيان النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**صَلُّوا كَما رَأَيْتُموني أُصَلّي**».

والمفسِّر عندما يريد كشفَ مراد الله تعالى، يتسلّح بهذه الأمور الثّلاثة ويعتمد عليها، فلا يجوز الاعتماد على الظُّنون والاستحسان، ولا على شيءٍ لم يثبت أنّه حجّة من طريق العقل، أو من طريق الشّرع، للنّهي عن اتّباع الظّنّ، وحرمة إسناد شيءٍ إلى الله بغير إذنه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ..﴾ الإسراء:٣٦. والرّوايات النّاهية عن التّفسير بالرّأي مستفيضةٌ من الطّرفَين.

طرائق التّفسير

قد ظهرت طرائقُ مُتعدّدةٌ في تفسير القرآن الكريم عند المسلمين عامّة، نتيجة التّحوّلات الفكريّة الّتي شهدتها الأجيال اللّاحقة، ابتداءاً من القرن الثّاني الهجريّ فصاعداً؛ كالتّفسير بالمأثور، والتّفسير الفلسفيّ، والتّفسير الصّوفيّ، والتّفسير الكلاميّ، والتّفسير البيانيّ، والتّفسير اللُّغويّ، والتّفسير التّاريخيّ، والتّفسير العلميّ. ونحن ذاكرون لكم بعضاً من هذه الطّرائق:

١- تفسير القرآن بالقرآن:

وهو يتمّ من خلال مقابلة الآية بالآية، فما أُجمِل منها في مكان يتمّ تفسيره في مكانٍ آخر.

ورد عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «..**وَإِنَّ القُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ لِيُكَذِّبَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَلَكِنْ نَزَلَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً**».

والقرآن كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**يَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلى بَعْضٍ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ**».

كما أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام، كانوا يستعملون هذا الأسلوب في استدلالاتهم واحتجاجاتهم من قبيل ما ذكر في (الكافي) عن عليّ بن يقطين، قال: «سأل المهديّ (العبّاسيّ) أبا الحسن [الإمام الكاظم] عليه السلام عن الخمر، هل هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ؟ فإنّ النّاس إنّما يعرفون النّهيَ عنها ولا يعرفون تحريمها؟

فقال له أبو الحسن عليه السلام: **بَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ**.

فقال: في أيّ موضع هي مُحرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ، يا أبا الحسن؟

فقال عليه السّلام: **قَوْلُ اللهِ تَعالى**: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ**..﴾ الأعراف:٣٣.

إلى أن قال عليه السّلام: **فَأَمَّا الإِثْمُ فَإِنَّها الخَمْرُ بِعَيْنِها، وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالى في مَوْضِعٍ آخَرَ**: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا**..﴾ البقرة:٢١٩. **فَأَمّا الإِثْمُ في كِتابِ اللهِ، فَهِيَ الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ، وَإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما كَما قالَ تَعالى**».

ومن التّفاسير الّتي اتّبعت هذا الأسلوب، (الميزان في تفسير القرآن) للعلّامة الطّباطبائيّ.

٢- التّفسير الرّوائيّ:

وهو التّفسير بالأحاديث الواردة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، والأئمّة عليهم السلام. والأحاديث هذه تبلغ الآلاف من طريق الشّيعة، وفيها مقدارٌ كبيرٌ من الأحاديث الّتي يُمكن الاعتمادُ عليها.

وينبغي الالتفاتُ إلى أنّه ربّما تشير الرّوايات إلى المصداق الأكمل في تفسير الآية، وهذا لا يمنع من تفسير الآية بطريقة أخرى توافق ظاهرها. وقد ثبت أنّ **المَوْرِدَ لا يُخصِّصُ الوارِدَ**، إلّا أن تقوم قرينةٌ قطعيّة على أنّ آيةً مُعيّنةً قد انحصرت في مَوْرِدِها كما في آية: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ**..﴾ المائدة:٥٥. ومن التّفاسير الّتي اتّبعت هذه المنهجيّة كتاب (نور الثّقلَيْن).

٣- التّفسير اللّغويّ:

وهو تفسير مُفردات القرآن واشتقاقاتها وأصولها، كتفسير (مجمع البيان) للشّيخ الطّبرسيّ، و(مجمع البحرين) للشّيخ الطّريحيّ.

هذا، وقد تباينت توجّهات المُفسّرين واختلفت الجهات الّتي احتجّوا بها، كالجهة البلاغيّة، والفقهيّة، والكلاميّة، والفلسفيّة، والأخلاقيّة.

لا بدّ من حمل الآيات القرآنيّة على معنًى يتلاءم مع أحكام العقل القطعيّة، كبُطلان التّجسيم والتّشبيه.

تفسيرُ القرآنِ بالقرآن، يستندُ إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه نزلَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً.

موجز في تفسير سورة «الذّاريات»

معرفةُ اللّه..معرفةُ الإمامِ المُفتَرَضِ الطّاعة

إعداد : سليمان بيضون

*** سورة (الذّاريات) هي السُّورة الحادية والخَمسون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة (الأحقاف).**

*** آياتُها ستّون، وهي مكّيّة، مَن قرأها في يومه أو ليلته يُصلِح اللّهُ تعالى له معيشتَه، ويأتيه برزقٍ واسع، ويُنوّر له قبرَه.**

*** سُمِّيتْ بسورة (الذّاريات) لابتدائها بقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾.**

جاء في بعض التّفاسير أربعة شروحٍ لكلمة «الذّاريات» الواردة في مفتتَح السّورة:

الأوّل: أنّ الذّاريات هي الرّياح تذرو التّرابَ وغيره، كما قال تعالى: ﴿..تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ..﴾ الكهف:٤٥. الثّاني: هي الكواكب، مِن ذرا يَذرو، إذا أسرع. الثّالث: هي الملائكة. الرّابع: ربّ الذّاريات، أي أُقسم بربّ الذّاريات. والأوّلُ الصّحيح، وهو المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام.

محتوى سورة (الذّاريات)

أولاً: تبدأ السّورة وتنتهي بالحديث عن المعاد، وإنكار المشركين له. ويمتاز الكلام على المعاد في السّورة – عن نظائره في مواضع أُخَر من الكتاب المجيد – من حيث إنّه يوم الجزاء، وأنّ الذي وعدَهم به هو اللّهُ ربهّم، الذي وَعْده صدقٌ، لا ريبَ فيه.

ولمّا بلغ الكلامُ موضعَ الاستدلال على المعاد، احتجّت السّورةُ بأدلّة التّوحيد من آيات الأرض، والسّماء، والأنفُس، وما عاقبَ اللّهُ به الأممَ السّالفة إثر تكذيبهم رُسُلَه، وجاء هذا الاستدلال لأجل إثبات التّوحيد، ومن ثمّ إثبات يوم الجزاء الّذي أخبرت عنه الدّعوة النّبويّة، فيندفع بذلك إنكارُ المُشركين للمعاد، وقد أرادوه مدخلاً إلى إبطال عقيدة التّوحيد، ورسالة الرّسول صلّى الله عليه وآله، من حيث صيرورة الإيمان بها لَغواً لا أثرَ له.

(العلّامة الطّباطبائي، تفسير الميزان، بتصرّف)

ثانياً: تدور مباحث سورة (الذّاريات) – إجمالاً – حول خمسة محاور:

١– المعاد: وقد استوعب القسم الأكبر من السّورة، وكذا مفتتَحها والختام.

٢– مسألة توحيد الله، وآياته تعالى في نظام الخَلق والوجود، وهي – بطبيعة الحال – مكمّلةٌ لمبحث المعاد.

٣– ضيف النّبيّ إبراهيم، عليه السلام، من الملائكة، وما أُمروا به من تدمير مُدُن قوم لوط عليه السلام.

٤– إشاراتٌ قصيرة إلى قصّة النّبيّ موسى عليه السلام، وبعض الأمم السّالفة: مثل عاد، وثَمود، وقوم نوح. وبهذا، فالسّورة تُحذّر مُشركي العرب بذِكر مآلِ مَن تقدّمهم من المُكذّبين برسالة التّوحيد.

٥– الإشارة إلى أنّ الغاية من خلْقِ الإنس والجنّ هي عبادةُ الله تعالى، وأنّ تكليف النّبيّ الأعظم هو التّذكير بآيات الله تعالى ومواعيده سبحانه.

(الشّيخ مكارم الشّيرازيّ، تفسير الأمثل، بتصرّف)

ثوابُ تلاوتها

١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الذّارياتِ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ عَشْرَ حَسَناتٍ، بِعَدَدِ كُلِّ ريحٍ هَبَّتْ وَجَرَتْ في الدُّنْيا**».

(الشّيخ الطّبرسي، مجمع البيان)

٢) عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (الذّاريات) في يَومِهِ أو لَيْلَتِهِ، أَصْلَحَ اللهُ لَهُ مَعيشَتَهُ، وَأَتاهُ بِرِزْقٍ واسِعٍ، ونَوَّرَ لَه قَبْرَهُ بِسِراجٍ يُزْهِرُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ**».

(الشّيخ الصّدوق، ثواب الأعمال)

تفسيرُ آياتٍ منها

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ الآيات: ١-٤.

* عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام سُئلَ «..عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ فقالَ: الرّيح، وعن ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ فقالَ: هِيَ السَّحَابُ، وعن ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ فقالَ: هِيَ السُّفُنُ، وعن ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ فقالَ: المَلائِكَةُ، وَهُوَ قَسَمٌ كُلُّهُ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ الآيتان: ٨-٩.

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ أُفِكَ عَنِ الوِلايَةِ، أُفِكَ عَنِ الجَنَّةِ». أي أنّ اختلافَ القول هو في أمر الولاية. ومعنى «أُفِكَ» هو أنّه صُرِفَ عن الشّيء، ومُنِعَ منه.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الآيتان:١٧-١٨.

١) عن الإمام الباقر عليه السلام: «كانَ القَوْمُ يَنامونَ، وَلَكِنْ كُلَّما انْقَلَبَ أَحَدُهُمْ قالَ: الحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر».

٢) عن الإمام الصّادق عليه السلام: «كانوا يَسْتَغْفِرونَ في الوِتْرِ سَبْعينَ مَرَّةً، في السَّحَرِ».

قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الآية:٢٢.

١) سُئل أمير المؤمنين عليه السلام: أليس اللهُ عزّ وجلّ في كلّ مكان؟ قال: بَلَى. قال السّائل: فَلِمَ يرفعُ [الدّاعي] يدَيه إلى السّماء؟ قال عليه السّلام: «أَوما تَقْرَأُ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾؟ فَمِنْ أَيْنَ يُطْلَبُ الرِّزقُ إِلّا مِنْ مَوْضِعِ الرِّزْقِ؟ وَمَوْضِعُ الرِّزْقِ وَما وَعَدَ اللهُ السَّماءُ».

٢) عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «أَرْزاقُ الخَلائِقِ في السَّماءِ الرّابِعَةِ، تَنْزِلُ بِقَدَرٍ وَتُبْسَطُ بِقَدَرٍ».

٣) قيل للإمام الصّادق عليه السلام: ما الفرقُ بين أن ترفعوا أيديكم [حالَ الدّعاء] إلى السّماء وبينَ أن تخفضوها نحو الأرض؟ قال: «ذَلِكَ في عِلْمِهِ وَإِحاطَتِهِ وَقُدْرَتِهِ سَواءٌ، وَلَكِنَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، أَمَرَ أَوْلِياءَهُ وَعِبادَهُ بِرَفْعِ أَيْديهِمْ إِلى السَّماءِ نَحْوَ العَرْشِ، لِأَنَّهُ جَعَلَهُ مَعْدِنَ الرِّزْقِ».

قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ الآية:٥٠.

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «حُجّوا إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

والحَجُّ هو القَصدُ والقُدوم. قيل: أي فِرُّوا من عقابِه إلى الإيمانِ والتّوحيدِ ومُلازمةِ الطّاعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الآية:٥٦.

* عن الإمام الصّادق عليه السلام: «خَرَجَ الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلى أَصْحابِهِ، فَقالَ: أَيُّها النّاسُ، إِنَّ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ ذِكْرُهُ، مَا خَلَقَ العِبادَ إِلّا لِيَعْرِفوهُ، فَإِذا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ، فَإِذا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبادَتِهِ عَنْ عِبادَةِ مَنْ سِواهُ.

فقالَ له رجلٌ: يا ابنَ رسول الله، بأبي أنتَ وأُمّي، فمَا معرفةُ الله؟ قال: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمانٍ إِمامَهُمُ الّذي تَجِبُ عَلَيْهِمْ طاعَتُهُ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الآية:٥٨.

* عن الإمام الصّادق عليه السلام: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، عليه السلام، كَثِيراً مَا يَقُولُ: اِعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ، وإِنِ اشْتَدَّ جَهْدُهُ وَعَظُمَتْ حِيلَتُهُ وكَثُرَتْ مُكَابَدَتُهُ، أَنْ يَسْبِقَ مَا سُمِّيَ لَه فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ. ولَمْ يَحُلْ مِنَ الْعَبْدِ، فِي ضَعْفِهِ وقِلَّةِ حِيلَتِهِ، أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَه فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّه لَنْ يَزْدَادَ امْرُؤٌ نَقِيراً بِحِذْقِه، ولَمْ يَنْتَقِصِ امْرُؤٌ نَقِيراً لِحُمْقِهِ...».

(الشّيخ الحويزيّ، تفسير نور الثّقلين)

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾،

عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية:

«كانَ القَوْمُ يَنامونَ، وَلَكِنْ كُلَّما انْقَلَبَ أَحَدُهُمْ قالَ: الحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر».

شهرُ رمضان المبارك

تعريفٌ موجَز بأبرز مناسباته

إعداد: صافي رزق

تُقدِّم «شعائر» مُقتطفات من أمّهات المصادر ترتبطُ بأبرزِ مناسبات شهر رمضان، كمَدخلٍ إلى حُسنِ التَّفاعل مع أيّامه المُباركة، مع الحِرْصِ على عنايةٍ خاصَّةٍ بالمناسبات المُرتبطة بالمعصومين عليهم السّلام.

❖ شهادة أمير المؤمنين عليه السّلام ❖ ولادة الإمام الحسن المجتَبى عليه السّلام

❖ ولاية العهد للإمام الرّضا عليه السّلام ❖ وفاة المولى أبي طالب عليه السّلام ❖ وفاة السّيّدة خديجة عليها السّلام

شهادةُ أمير المؤمنين عليه السلام (٢١ شهر رمضان)

«تواترت الرّوايات في نَعي أمير المؤمنين عليه السلام نفسَه قبل وفاته، والخَبر عن الحادث في قتله، وأنّه يخرجُ من الدّنيا شهيداً بضربةٍ في رأسه يخضبُ دمُها لحيتَه، فكان الأمر في ذلك كما قال. فمن اللّفظ الذي رواه الرّواةُ في ذلك:

* قولُه عليه السّلام: (**واللهِ لتُخضَبَنّ هذه من هذه**)، ووضعَ يدَه على رأسه ولحيته.

* وقوله عليه السّلام: (**أَتاكم شهرُ رمضان، وهو سيِّدُ الشُّهور، وأوّلُ السَّنَة، وفيه تدورُ رَحَى السّلطان، ألا وإنّكم حاجّو العامِ صفّاً واحداً، وآيةُ ذلكَ أنّي لَسْتُ فِيْكُم**)، فكان أصحابُه يقولون: إنّه يَنعى إلينا نفسَه، فضُرب عليه السّلام في ليلة تسع عشرة، ومضى في ليلة إحدى وعشرين من ذلك الشّهر.

* ومنها ما رواه الثّقات عنه: إنّه كان يُفطر في هذا الشّهر ليلةً عند الحسن عليه السلام وليلةً عند الحسين عليه السلام وليلةً عندَ عبد الله بن جعفر، لا يزيدُ على ثلاث لُقَم، فقال له أحدُ ولدَيه – الحسن أو الحسين عليهما السلام – في ذلك، فقال: (**يا بُنَيّ، يَأتِي أمرُ اللهِ وَأَنا خَميصٌ، إنّما هي ليلةٌ أو لَيلتَان**)، فَأُصِيبَ من اللّيل». (الإرشاد، الشّيخ المفيد)

ولادة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام (١٥ شهر رمضان)

«ما كان الحسنُ عليه السلام ببَادئ هذه الخطّة [الصّلح] ولا بخاتِمها، بل أخذَها في ما أخذَه من إرثه، وتركَها مع ما تركَه من ميراثه. فهو كغيره من أئمّة هذا البيت، يسترشدُ الرّسالة في إقدامه وفي إحجامه. امتُحن بهذه الخطّة فرضَخ لها صابراً محتسباً، وخرج منها ظافراً طاهراً، لم تنجّسه الجاهليّة بأنجاسها، ولم تُلبسه من مُدْلَهِمّاتِ ثيابها.

أخذ هذه الخطّة من صلح (الحديبية) في ما أُثر من سياسة جدّه صلى الله عليه وآله وله فيه أسوةٌ حسنةٌ، إذ أَنكرَ عليه بعضُ الخاصّة من أصحابه، كما أنكرَ على الحسن عليه السلام صلحَ (ساباط) بعضُ الخاصّة من أوليائه، فلم يَهِن بذلك عزمُه، ولا ضاقَ به ذَرعُه.

وقد ترك هذه الخطّة نموذجاً صاغَ به الأئمّة التّسعة – بعد سيِّدَي شباب أهل الجنّة – سياستَهم الحكيمة، في توجيهها الهادئ الرّصين، كلّما اعْصَوصبَ الشّرّ. فهي إذاً جزءٌ من سياستِهم الهاشميّةِ الدّائرة أبداً على نُصرةِ الحقّ، لا على الانتصار للذّات في ما تأخذُ أو تَدَع». (مقدّمة كتاب صُلح الحَسن عليه السلام، السّيّد شرف الدين)

ولاية العهد للإمام الرّضا عليه السلام (٦ شهر رمضان)

«عن الرّيان بن الصّلت قال: دخلتُ على عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، فقلتُ له: يا ابنَ رسول الله، إنّ النّاس يقولون: إنّك قبلتَ ولاية العهد مع إظهارك الزّهدَ في الدّنيا! فقال عليه السّلام: **قد علمَ اللهُ كراهتي لذلك، فلمّا خُيِّرتُ بين قَبول ذلك وبين القَتلِ اخترتُ القَبولَ على القتل. وَيْحَهم! أما عَلِموا أنّ يوسفَ عليه السّلام كان نبيّاً رسولاً، فلمّا دفَعته الضّرورةُ إلى تولّي خزائنِ العزيز، قالَ له: ﴿..اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾** يوسف:٥٥، **ودفعَتني الضّرورةُ إلى قبولِ ذلك على إكراهٍ وإجبار بعد الإشرافِ على الهلاك، على أنّي ما دخلتُ في هذا الأمر إلّا دخولَ خارجٍ منه، فإلى الله المُشتكى وهو المُستعان**».

(عيون أخبار الرّضا عليه السّلام، الشّيخ الصّدوق)

وفاة المولى أبي طالب عليه السلام (١٣ شهر رمضان)

«عن الإمام الصّادق عليه السلام: **كان** [أمير المؤمنين عليه السلام] **ذاتَ يوم جالساً بالرّحبة والنّاس حولَه مجتمعون، فقام إليه رجلٌ فقال**: يا أميرَ المؤمنين، إنّك بالمكان الّذي أنزلكَ اللهُ به، وأبوك يُعذَّبُ بالنّار! **فقال له**: مَه! **فضَّ اللهُ فاك، والّذي بعثَ محمّداً بالحقّ نبيّاً، لو شفعَ أبي في كلِّ مُذنبٍ على وجهِ الأرض لشفّعَه اللهُ فيهم، أبي يُعذَّب بالنّار وابنُه قسيمُ النّار؟!**

ثمّ قال: **والّذي بعثَ محمّداً بالحقّ نبيّاً، إنّ نورَ أبي طالب يومَ القيامة ليُطفئُ أنوارَ الخَلْقِ إلّا خمسةَ أنوار: نور محمّدٍ صلّى الله عليه وآله، ونُوري، ونور فاطمة، ونورَي الحسن والحسين، ومَن ولدَه من الأئمّة، لأنّ نورَه من نورنا الّذي خلقَه اللهُ من قبل خلْق آدمَ بألفَي عامٍ**».

(الأمالي، الشّيخ الطّوسي)

وفاة السّيّدة خديجة عليها السلام (١٠ شهر رمضان)

وردَ في كتاب (البُشرى في مناقب السّيّدة خديجة الكُبرى رضيَ اللهُ عنها) للسّيّد محمّد بن عَلوي المالكي الحَسني، وهو من علماء المسجد الحرام: «..ومن فضائلها أنّ النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان لا يَنسى أبداً ودَّها، ويحفظُ في أهلِها عهدَها، فيبعثُ لهم بما يأتيه من الهدايا، ولا يَتركُهم إذا قسَّمَ بين أصحابِه العَطايا.

وقد يذبحُ الشّاةَ بنفسِه ثمّ يقطع أعضاءَها، ويخصّ بها أصدقاءَها وأقرباءَها. فإذا غارتِ السّيّدة عائشة ولم يتحمّل ذلك قلبُها، قال لها صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **(لَقَد رُزِقْتُ حُبَّهَا، فَأَنا أُحِبُّ مَن يُحِبُّها)**.

ومن فضائلها المرويّة عن أئمّة المحدّثين الكبار، في كثيرٍ من كُتب السُّنن والسِّيَر والآثار، أنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان يُكثِرُ من ذِكرها، وينشرُ بين الجَميع طيبَ خبرِها وحُسنَ بِرِّها، ويُثني عليها أحسنَ الثّناء، ويستغفرُ لها الله ويُكثِرُ لها من الدّعاء، ويتحدّثُ عمّا لها من الشَّرف والفَضل والكَمال، ويسترسلُ في ذلك الحديث دونَ مَلَلٍ ولو طَال..».

مناسبات شهر رمضان

٦ شهر رمضان/ ٢٠١ هجريّة

ولاية العهد للإمام الرّضا عليه السلام. (قيل في الأوّل منه)

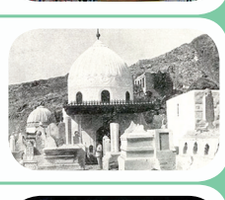

١٠ شهر رمضان/ ٣ قبل الهجرة

وفاة أمّ المؤمنين السّيّدة خديجة عليها السلام. (عام الحزن)

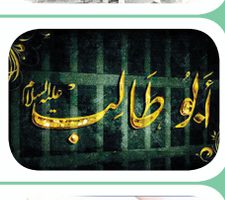

١٣ شهر رمضان/ ٣ قبل الهجرة

وفاة المولى أبي طالب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله. (عام الحزن)

١٥ شهر رمضان/ ٢ هجريّة

ولادة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السّلام.

١٧ شهر رمضان/ ٢ هجريّة

معركة بدر الكبرى.

١٩ شهر رمضان/ ٤٠ هجريّة

ليلة جرح أمير المؤمنين عليه السّلام.

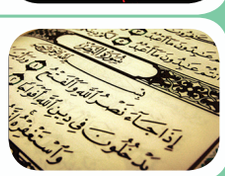

٢٠ شهر رمضان/ ٨ هجريّة

فتح مكّة، وتحطيم الأصنام.

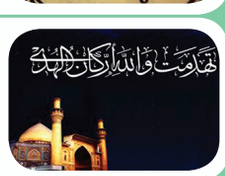

٢١ شهر رمضان/ ٤٠ هجريّة

شهادة أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السّلام.

ليلة ٢٣ من شهر رمضان

ليلة القدر الكبرى (ليلة الجُهنيّ).

ليلة العيد

من أبرز ليالي الإحياء.

من أخلاق المؤمن

أشبهُ النّاس برسول اللّٰه، أحسنُهم خُلُقاً...

إعداد: محمد ناصر

مجموعةٌ من الأحاديث الشّريفة في صفاتِ المؤمن وخِصاله، مختارة من كتاب (روضة المتّقين) للعلّامة المجلسيّ الأوّل، يليها تفسيرٌ لعبارتَين، وردَتا في حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله، من كتاب (شرح أصول الكافي) للفقيه الشّيخ محمّد صالح المازندرانيّ.

رسول الله صلّى الله عليه وآله:

١) في [الحديث] القويّ، عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَليه وآله: مَنْ عَرَفَ اللهَ وعَظَّمَه مَنَعَ فَاه مِنَ الْكَلَامِ، وبَطْنَه مِنَ الطَّعَامِ، وعَفَا نَفْسَه بِالصِّيَامِ والْقِيَامِ. قَالُوا: بِآبَائِنَا وأُمَّهَاتِنَا يَا رَسُولَ اللهِ، هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءُ اللهِ؟ قَالَ: إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ سَكَتُوا فَكَانَ سُكُوتُهُمْ ذِكْراً، ونَظَرُوا فَكَانَ نَظَرُهُمْ عِبْرَةً، ونَطَقُوا فَكَانَ نُطْقُهُمْ حِكْمَةً، ومَشَوْا فَكَانَ مَشْيُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ بَرَكَةً، لَوْلَا الآجَالُ الَّتِي قَدْ كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَقِرَّ (لَمْ تَسْتَقِرّ) أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، خَوْفاً مِنَ الْعَذَابِ وشَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ». [انظر: «قال العلماء» من هذه الصفحة]

٢) وفي الحسن كالصّحيح، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الصّادق عليه السلام: «قَالَ النَّبِيُّ صلّى اللهُ عَليه وآله: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَشْبَهِكُمْ بِي؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً، وأَلْيَنُكُمْ كَنَفاً، وأَبَرُّكُمْ بِقَرَابَتِه، وأَشَدُّكُمْ حُبّاً لِإِخْوَانِه فِي دِينِه، وأَصْبَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ، وأَكْظَمُكُمْ لِلْغَيْظِ، وأَحْسَنُكُمْ عَفْواً، وأَشَدُّكُمْ مِنْ نَفْسِه إِنْصَافاً فِي الرِّضَا والْغَضَبِ».

الإمام زين العابدين عليه السّلام:

١) في الصّحيح، عنه عليه السّلام: «مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الإِنْفَاقُ عَلَى قَدْرِ الإِقْتَارِ، والتَّوَسُّعُ عَلَى قَدْرِ التَّوَسُّعِ، وإِنْصَافُ النَّاسِ، وابْتِدَاؤُه إِيَّاهُمْ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِم».

٢) وفي الصّحيح، عَنْ أَبي عبد الله الصّادق عليه السّلام: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السّلام يَقُولُ: إِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِكَمَالِ دِينِ الْمُسْلِمِ تَرْكُه الْكَلَامَ فِي مَا لَا يَعْنِيه، وقِلَّةُ مِرَائِه، وحِلْمُه، وصَبْرُه، وحُسْنُ خُلُقِه».

الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام:

١) في القويّ كالصّحيح، عنه عليه السّلام: «.. شِيعَتُنَا مَنْ لَا يَعْدُو صَوْتُه سَمْعَه، ولَا شَحْنَاؤُه بَدَنَه "..." شِيعَتُنَا مَنْ لَا يَهِرُّ هَرِيرَ الْكَلْبِ، ولَا يَطْمَعُ طَمَعَ الْغُرَابِ، ولَا يَسْأَلُ عَدُوَّنَا وإِنْ مَاتَ جُوعاً ...».

٢) وفي المُوثّق كالصّحيح، عنه عليه السّلام: «مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُم، ووَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ، كَانَ مِمَّنْ حَرُمَتْ غِيبَتُه، وكَمُلَتْ مُرُوءَتُه، وظَهَرَ عَدْلُه، ووَجَبَتْ أُخُوَّتُه».

قال العلماء

* قولُ رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ونَطَقُوا فَكَانَ نُطْقُهُمْ حِكْمَةً..». أي نطقوا بما ينفعُ في الآخرة من العلوم والمعارف والعقائد الصّحيحة والأخلاقِ الحسَنة والأعمال الصّالحة، وهدايةِ الخَلْق إليها وحثِّهم عليها، وذلك لكمالِ اعتدالِهم في القوّة العقليّة.

* قوله صلّى الله عليه وآله: «ومَشَوْا فَكَانَ مَشْيُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ بَرَكَةً..». صار مَشيُهم بركةً لأنّ قَصْدَهم رفعُ الحوائج عن النّاس، وطلبُ المنافع لهم، ودفعُ المضارّ عنهم، مع أنّ وجودَهم سببٌ لسعة أرزاقِهم ورَفْعِ البلاءِ عنهم.

(المازندرانيّ، شرح أصول الكافي)

من فتاوى الفُقهاء

يومُ الشّكّ، قَول الفلكيّ، الصَّوم في السَّفر

إعداد: «شعائر»

الإمام الخمينيّ قدّس سرّه

مسألة: لا يقعُ في شهر رمضان صومُ غيره واجباً كان أو ندباً، سواءً كان مكلّفاً بصومِه أم لا، كالمسافر ونحوه، بل مع الجهل بكونه رمضاناً، أو نسيانه، لو نوى فيه صومَ غيره يقع عن رمضان "...".

مسألة: الأقوى أنّه لا محلّ للنيّة شرعاً في الواجب المُعيَّن، رمضاناً كان أو غيره، بل المعيار حصول الصّوم عن عزمٍ وقصدٍ باقٍ في النّفس ولو ذهل عنه بنومٍ أو غيره، ولا فرق في حدوث هذا العزم بين كونه مقارناً لطلوع الفجر أو قبلَه، ولا بين حدوثه في ليلة اليوم الّذي يريد صومَه أو قبلها، فلو عزمَ على صوم الغد من اليوم الماضي ونام على هذا العزم إلى آخر النّهار، صحّ على الأصحّ "...".

مسألة: يومُ الشّكّ في أنّه من شعبان أو رمضان يُبنى على أنّه من شعبان، فلا يجب صومُه، ولو صامَه بنيّة أنّه من شعبان ندباً أجزأَه عن رمضان لو بانَ أنّه منه، وكذا لو صامَه بنيّة أنّه منه [أي من شعبان] قضاءً أو نذراً أجزأَه لو صادفَه، بل لو صامَه على أنّه إنْ كان من شهر رمضان كان واجباً، وإلّا كان مندوباً، لا يبعد الصّحّة ولو على وجه التّرديد في النّيّة في المقام، نعم لو صامَه بنيّة أنّه من رمضان، لم يقَع لا له، ولا لغيره. [أي لو صام يوم الشّكّ بنيّة أنّه من شهر رمضان، لم يُعَدّ صومُه من رمضان، ولا من غيره، لأنّه بنيّتِه هذه، خالف ما ورد في بداية المسألة من بناء يوم الشّكّ على أنّه من شعبان]

مسألة: لو كان في يوم الشّكّ بانياً على الإفطار، ثمّ ظهر في أثناء النّهار أنّه من شهر رمضان، فإنْ تناول المفطر أو ظهر الحال بعد الزّوال، وإن لم يتناوله، يجب عليه إمساك بقيّة النّهار تأدّباً وقضاء ذلك اليوم، وإن كان قبل الزّوال ولم يتناول مفطراً يجدّد النّيّة، وأجزأَ عنه.

مسألة: لو صام يوم الشّكّ بنيّة أنّه من شعبان ثمّ تناول المفطر نسياناً وتبيّن بعد ذلك أنّه من رمضان أجزأ عنه، نعم لو أفسدَ صومَه برياءٍ ونحوه، لم يُجزه منه، حتّى لو تبيّن كونه منه [من رمضان] قبل الزّوال وجدّد النّيّة.

(تحرير الوسيلة)

وليّ أمر المسلمين الإمام الخامنئيّ دام ظلّه

س: هل يجوز لي اتّباع آراء علماء الفلك في بداية وآخر شهر رمضان؟ علماً بأنّني على يقين بصحّة بياناتهم ودقّتها، وأكبر مثال على ذلك تعبُّدنا في أوقات الصّلوات اليوميّة بها.

ج: لو علم المكلّف ولو من قول الفلكيّ بوجود الهلال وقابليّته للرّؤية وَجَب عليه ترتيب الأثر، لكن أنّى له حصول مثل هذا العلم مع ما يراه من خطأ الفلكيّين في حساباتهم؛ وتحديد أوقات الصّلوات يختلف عن رؤية الهلال.

س: إذا قصد شخصٌ أن يصل إلى محلّ إقامته قبل الزّوال، وفي الطّريق تعرّض إلى حادثٍ منعَه من الوصول في الوقت المحدّد، فهل هناك إشكال في صيامه؟ وهل تجب عليه الكفّارة أم يقضي صيام ذلك اليوم فقط؟

ج: لا يصحّ منه صومه في السّفر، بل يجب عليه فقط قضاء صيام ذلك اليوم الّذي لم يصل فيه إلى محلّ إقامته، ولا كفّارة عليه.

س: متى ينطبق على الشّخص أنّه كثير السّفر؟ وإذا انطبق عليه هذا العنوان فهل يصلّي تماماً ويصوم أينما ذهب؟ أم يختصّ ذلك بالعمل فقط؟

ج: عنوان كثير السّفر ليس له حكم، وإنّما إتمام الصّلاة وصحّة الصوم في السّفر يكون لمن شغله السّفر كالسّائق، والرّائد، والملّاح، ونحوهم، أو يكون ممّن شغله في السّفر كالموظّف، أو العامل، يسافر إلى مسافة شرعيّة للعمل، فهؤلاء يتمُّون صلاتهم ويصومون في الإياب وفي الذّهاب، وفي بَلَدَي المبدأ والمقصد.

س: إذا كان شخص عمله في مدينة أخرى، وهو يسافر إلى تلك المدينة ويبقى هناك مدّة خمسة أيّام، فما هو تكليفه بالنّسبة إلى الصّلاة والصّوم؟

ج: إذا كان يسافر سفراً شغليّاً مرّة – على الأقلّ – كلّ عشرة أيّام فيصلّي تماماً ويصوم في السّفر الثّالث ما لم يبقَ في مكانٍ واحدٍ عشرة أيّام، وإلّا فيصلّي في السّفر الأوّل بعدها قصراً ولا يصحّ منه الصّوم، وفي الثّاني وما بعده يتمّ ويصوم.

(من الموقع الإلكتروني لمكتب الإمام الخامنئي دام ظلّه)

ملامحُ من عظَمةِ القرآن

موجودٌ ربوبيّ من عالَم النّور، ظهرَ في عالم المادّة

شيخ الفقهاء العارفين الشّيخ بهجت قدس سره

مختاراتٌ من ترجمةٍ خاصّة بـ«شعائر» لكتاب (جرعة وصال) المطبوع بإجازةِ مكتب شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الرّاحل الشّيخ بهجت، ويَتضمّن الكتابُ توجيهاتٍ مركزيّة مختصرة جرى اختيارُها بعنايةٍ من كلماته رضوان الله تعالى عليه.

* القرآن يـُوصِلُ الإنسان إلى **أقصى غايات الكمال الإنسانيّ**. إنّنا لا نُقدّر القرآن وعِدلَه الّذين هم أهل البيت عليهم السلام حقّ قدرهما.

* إدامةُ النّظر في **القرآن**، هو **علاجٌ لوَجعِ العين**.

* سببُ عجْزِنا عن الاستفادة من القرآن، هو **ضعفُ يقيننا**.

* القرآن، هو **آخر برنامج لتربية الإنسان وتَهذيبِه** وُضِع بين أيدينا، ولكنّنا لا نُقدّر قيمته حقّ قدرها!

* **العارفُ بالقرآن** هو كثيرُ التّدبـّر فيه، وكذا الأمر بالنّسبة إلى الأحاديث والرّوايات.

حَذارِ أن نضعَ القرآنَ على رؤوسِنا في ليالي القَدر، ثمّ نضيِّع أحكامَه، ونستخفّ بها.

نعمةٌ على هذا القدر من العظَمة

* ماذا تقول هذه الآية الشّريفة: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ..﴾؟

هل المسائل المذكورة في هذه الآية هي غير واقعيّة ومن قبيل فرض المُحال، أم أنّها تقول: **بإمكان مَن لهم القابليّة أن يُنجزوا، بهذا القرآن، كلّ هذه الأمور؟!**

* الله تعالى وحده أعلم بما يتضمّنه القرآن من **معجزات وكرامات لأهل الإيمان**، لا سيّما أهل العلم منهم، وبما سيَرونَه منه! لم يُعطَ قومٌ من الأقوام ولا أمّةٌ من الأمم، مثل **هذا القرآن** الّذي فيه ما فيه من الآثار والخصائص! لقد أُعطيت لنا نعمة هي على هذا القدر من العظَمة، ولكن [عمليّاً] وكأنّ هذه النّعمة لم تـُعطَ لنا؛ وكأنّ هذا الكتاب ليس **مُكمِّلاً للإنسان!**

* **نحن مكلّفون** بالسّعي من أجل تعليم القرآن وتعلُّمه وتِلاوته والعمل به. ولكنّنا في ليالي الإحياء نضع القرآن على رؤوسنا؛ والحال أنّنا عمليّاً (نستخفّ) بآيات الحجاب والغِيبة والكَذِب وآيات: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، و﴿..فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ..﴾، و﴿..وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ..﴾، (ولا نعمل بموجبها).

موجودٌ ربوبيّ من عالم النّور والمعنى

* إذ صَحّ ما ندّعيه من أنّ **القرآن هو السّلاح**، إذاً فما حاجتُنا لسلاحٍ آخر؟!

* هل نعرف حقيقةً أنّ القرآن هو كتابٌ لا كالكُتب؟! وكأنّ القرآن هو موجودٌ **ربوبيّ من عالَم النّور والمعنى**، تجلّى وظهر في عالم المادّة والأعْراض!

* التّوسّلُ **بالقرآن** وحَملُه وفهمُه وتلاوتُه، مفيدٌ **لنجاة** عامّة النّاس، فما بالُك بالخواصّ!

* يا لَلعجب كيف يتمّ الاهتمام بالشّخصيّات الاجتماعيّة والحرص على تسجيل خُطَبِهم، ولكنّ القرآن الّذي بين أيدينا ليس له مثل هذه القيمة! **كلّنا يعلم بأنّنا مقصّرون تجاهَ القرآن!**

* مَن تتبّع هذه الحقيقة في **القرآن الكريم**: ﴿..وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ..﴾، لَرأى **العَجَبَ العُجاب!**

الملف

أدبُ العبادة يومَ العيد

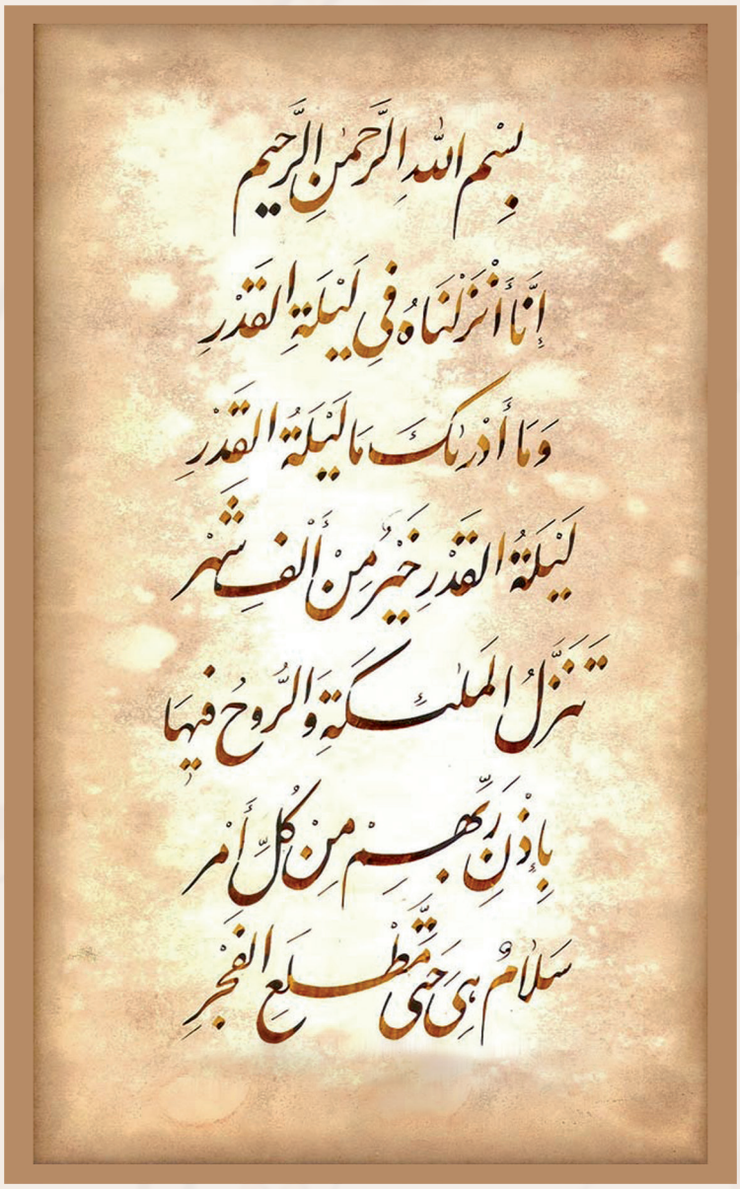

اقرأ في الملف

استهلال	قنوت صلاة العيد
هذا الملفّ	عن العبادة في أجواء العيد
وداعُ شَهْرِ رَمَضانَ	الشّيخ المُفيد قدس سره
ما يُستحَبّ فِعْلُهُ لَيْلَةَ الفِطْرِ، وَيَوْمَهُ	الشّيخ الطّوسيّ قدس سره
الحديثُ معَ اللّهِ تَعالى، ومع وليِّه المَهديّ عليه السلام	السّيّد ابن طاوس قدس سره

استهلال

قنوت صلاة العيد

أشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ، وحدَهُ لا شريكَ لَه، وأشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُهُ ورسولُه، اللّهمَّ أهلَ الكبرياءِ والعظمةِ، وأهلَ الجودِ والجبروتِ، وأهلَ العفوِ والرّحمةِ، وأهلَ التّقوى والمغفرةِ، أسألُكَ في هذا اليومِ الّذي جعلتَهُ للمسلمينَ عيدًا، ولمحمّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ ذخرًا ومزيدًا، أن تُصلّيَ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ كأفضلِ ما صلّيتَ على عبدٍ من عبادِكَ، وصلِّ على ملائكتِكَ، ورسُلِكَ، واغفرْ للمؤمنينَ والمؤمناتِ، والمسلمينَ والمسلماتِ، الأحياءِ منهم والأمواتِ. اللّهمَّ إنّي أسألُكَ من خيرِ ما سألكَ عبادُكَ المرسلونَ، وأعوذُ بكَ من شرِّ ما استعاذَ منهُ عبادُكَ المرسلونَ.

الشيخ المفيد - المقنعة ص١٩٤

هذا الملفّ

يومُ العيد تاجُ مَوْسِمٍ عِبَاديّ. يحفلُ التّاجُ بخصائص جواهر سُلطانِه ودُرَرِ ساحتِه والمَدى. فلماذا أصبحَ العيدُ موسمَ التَّحلُّلِ من القيود، حتّى لَمن لم يَصُم أو يتعبّد؟

يكشفُ الجوابُ عن فهمٍ مغلوطٍ للعبادة؛ بدلَ أن تكون منهاجَ حياة، بل لا حياةَ حقيقيّةً طيّبةً إنسانيّةً بدونها، تُصبح العبادةُ عبئاً نتحيّنُ فُرَصَ التّخفّفِ منه والتّحلّلِ من شَدِّ وثاقِه.

العبادةُ هي روحُ المنهجِ التّربويّ الإسلاميّ. التّربيةُ في الإسلام تزكيةُ الرّوحِ لتبلغَ اليقين: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ الحجر:٩٩.

بكلّ شفافيّةٍ وبمُنتهى المباشرة: تَغييبُ الأعمالِ العباديّةِ، أو تهميشُها يعني تغييبَ المناهجِ التّربويّة الرّبّانيّة في صراطِ حُسن التّأسّي والاقتداءِ بسَيّد النّبيّين صلّى الله عليه وآله.

وهذا الملفُّ محاولةٌ لتسليطِ الضّوءِ على أعمالٍ عباديّةٍ أَمْعَنّا في تَغييبها. جاء ذلك نتيجةً حتميّةً لاستشراء قابليّة الغزو الثّقافيّ الذي كان خطُّ الإمام الخمينيّ، وما يزال، تأصيلاً للأُمّة في مُحاصرتِه، شفاءً لما في الصّدور.

ويَحِدُ المتتبّعُ لنَصّ الإمام الخامنئيّ، دام ظلّه، إيلاءه مواجهةَ الغزو الثّقافيّ العنايةَ التامّة.

مقياسُ التزام خطِّ الإمام وولايةِ الفقيه، هو حُسْنُ الاقتداء بالنّبيّ الأعظم وآله الأطهار صلّى اللهُ عليه وعليهم.

ولا يُمكِنُ فهمُ الاقتداء وحُسنِه بمعزلٍ عن كَثرةِ الصّلاة، وكَثرةِ الصّوم، وكَثرةِ تلاوةِ القرآن الكريم، وكَثرة ذكرِ الله تعالى ﴿..قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ..﴾ آل عمران:١٩١.

مَن كان هذا دَأْبه، فَلَه مع العيدِ حديثُ عبادةٍ ذو شجون، كما يتّضحُ من خلال هذا الملفّ.

تبقى الإشارةُ إلى أنّ الـهدفَ هنا، تكوينُ صورةٍ واضحةِ الملامح عن العبادة في أجواء العيد، وعلى كلِّ شخصٍ أن يرجعَ إلى مرجعِ تقليدِه في معرفة الأحكام حسبَ تكليفِه، علماً بأنّ الاختلافَ بين الفُقهاء في هذه المسائل - خصوصاً المُستحبّات - قليلٌ جدّاً.

«شعائر»

وداعُ شَهْرِ رَمَضانَ
صَلاةُ العيدِ، وَأدْعِيَةٌ وَأذْكار

الشّيخ المُفيد قدس سره

عندما يجري الحديثُ عن أعمالٍ عباديّة مُستحبّة، ينبري شيطانُ الغزو الثّقافيّ في بعض طلّاب العلوم الدّينيّة، وكثيرين غيرهم ليقول: هذا العمل من (مفاتيح الجنان)، ويبدأ التّطاول على المحدّث الجليل الشّيخ عبّاس القمّيّ، ولا ينتهي، وكذلك التّطاول على كتاب (مفاتيح الجنان)، وقد يكون المُتحدّث يزعم أنّه من «خطّ الإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه»، ولكنّه يجهلُ أنّ المُحدّث القمّيّ هو من شيوخ الرّواية للإمام الخمينيّ، ويجهل أنّ الإمام نفسَه بالغ في الدّفاع عن (مفاتيح الجنان) إلى حدّ أنّه قال: «مفاتيح الجنان، لم يؤلّفه الشّيخ عبّاس القمّيّ، وإنّما جمَعه. أي إنّ الكتاب آيةٌ ورواية».

لمواجهة هذه الشّبهة: تمّ اختيار نصوص الشّيخ المفيد، والشّيخ الطّوسيّ، قُدّس سرّهما، في الحديث عن مُستحبّات ليلة العيد ويومه.

ما يلي، مختاراتٌ من كتاب (المُقنعة) في الفقه، للشّيخ المفيد عليه الرّحمة والرّضوان.

قال الشّيخ المفيد:

«وتدعو في آخر ليلة من الشّهر عند فراغك من صلاة اللّيل [عقيب] الوتر، فتقول:

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ فِي كِتابِكَ الْمُنْزَلِ، عَلَى لِسانِ نَبِيِّكَ الْمُرْسَلِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقانِ..﴾، وَهذا شَهْرُ رَمَضانَ قَدْ تَصَرَّمَ، فَأَسْأَلُكَ بِوَجْهِكَ الكَرِيمِ، وَكَلِماتِكَ التَّامَّةِ - إِنْ كانَ بَقِيَ عَلَيَّ ذَنْبٌ لَمْ تَغْفِرْهُ لِي وَتُرِيدُ أَنْ تُعَذِّبَنِي عَلَيْهِ، أَوْ تُقايِسَنِي بِهِ - أَنْ يَطْلُعَ فَجْرُ هذِهِ اللَّيْلَةِ، أَوْ يَتَصَرَّمَ هذا الشَّهْرُ إِلّا وَقَدْ غَفَرْتَهُ لِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ لِمَحامِدِكَ كُلِّها، أَوَّلِها وَآخِرِها، ما قُلْتَ لِنَفْسِكَ مِنْها، وَما قالَ لكَ الخَلائِقُ، الحامِدُونَ، الْمُجْتَهِدُونَ، الْمُعَدِّدُونَ، الْمُؤْثِرُونَ لِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، الَّذِينَ أَعَنْتَهُمْ عَلى أداءِ حَقِّكَ مِنْ أَصْنافِ خَلْقِكَ: مِنَ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَالنَّبِيِّينَ، [وَ] الْمُرْسَلِينَ، وَأَصْنافِ النَّاطِقِينَ الْمُسَبِّحِينَ لَكَ مِنْ جَمِيعِ العالَمِينَ، عَلى أَنَّكَ بَلَّغْتَنا شَهْرَ رَمَضانَ، وَعَلَّيْنا مِنْ نِعَمِكَ، وَعِنْدَنا مِنْ جَزِيلِ قِسَمِكَ وَإِحْسانِكَ، وَتَظاهُرِ امْتِنانِكَ، فَبِذلِكَ لَكَ مُنْتَهى الحَمْدِ، الخالِدِ، الدّائِمِ، الرّاكِدِ، الْمُخَلَّدِ، السَّرْمَدِ الَّذِي لا يَنْفَدُ طُولَ الأَبَدِ، جَلَّ ثَناؤُكَ، أَعَنْتَنا عَلَيْهِ حَتّى قَضَيْتَ عَنّا صِيامَهُ، وَقِيامَهُ مِنْ صَلاةٍ، وَما كانَ مِنّا فِيهِ مِنْ بِرٍّ، أَوْ شُكْرٍ، أَوْ ذِكْرٍ.

اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْهُ مِنّا بِأَحْسَنِ قَبُولِكَ، وَتَجاوُزِكَ، وَعَفْوِكَ، وَصَفْحِكَ، وَغُفْرانِكَ، وَحَقِيقَةِ رِضْوانِكَ حَتّى تُظْفِرَنا فِيهِ بِكُلِّ خَيْرٍ مَطْلُوبٍ، وَجَزِيلِ عَطاءٍ مَوْهُوبٍ، وَتُؤْمِنَنا فِيهِ مِنْ كُلِّ مَرْهُوبٍ، وَبَلاءٍ مَجْلُوبٍ، وَذَنْبٍ مَكْسُوبٍ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعَظِيمِ ما سَأَلَكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ: مِنْ كَرِيمِ أَسْمائِكَ، وَجَزِيلِ ثَنائِكَ، وَخاصَّةِ دُعائِكَ

أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَجْعَلَ شَهْرَنا هذا أَعْظَمَ شَهْرٍ رَمَضانَ مَرَّ عَلَيْنا مُنْذُ أَنْزَلْتَنا إِلى الدُّنْيا، بَرَكَةً فِي عِصْمَةِ دِينِي، وَخَلاصِ نَفْسِي، وَقَضاء حَاجتي، وَ[تَشفيعي] فِي مَسائِلِي، وَتَمامِ النِّعْمَةِ عَلَيَّ، وَصَرْفِ السُّوءِ عَنِّي، وَإِلباسِ العافِيَةِ لِي، وَأَنْ تَجْعَلَنِي بِحُرْمَتِكَ مِمَّنْ حُزْتَ لَهُ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَجَعَلْتَها لَهُ خَيْراً مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فِي أَعْظَمِ الأَجْرِ، وَكَرائِمِ الذُّخْرِ، وَطُولِ العُمْرِ، وَحُسْنِ الشُّكْرِ، وَدَوامِ اليُسْرِ، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ، وَطَوْلِكَ [قُدرتك]، وَعَفْوِكَ، وَنَعْمائِكَ، وَجَلالِكَ، وَقَدِيمِ إِحْسانِكَ وَامْتِنانِكَ، أَنْ لا تَجْعَلَهُ آخِرَ العَهْدِ مِنَّا بِشَهْرِ رَمَضانَ حَتّى تُبَلِّغَناهُ مِنْ قابِلٍ عَلى أَحْسَنِ حالٍ، وَتُعَرِّفَنِي هِلالَهُ مَعَ المُناظِرِينَ إِلَيْهِ، وَالمُتَعَرِّفِينَ لَهُ فِي أَعْفى عافِيَتِكَ، وَأَنْعَمِ نِعْمَتِكَ، وَأَوْسَعِ رَحْمَتِكَ، وَأَجْزَلِ قِسَمِكَ.

اللّهُمَّ يَا رَبِّ الّذِي لَيْسَ لِي رَبٌّ غَيْرُهُ، لَا يَكُونُ هَذَا الْوَدَاعُ مِنِّي وَدَاعَ فَنَاءٍ، ولَا آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِلِقَائِهِ حَتَّى تُرِيَنِيهِ مِنْ قَابِلٍ فِي أَسْبَغِ النِّعَمِ، وأَفْضَلِ الرَّجَاءِ، وأَنَا لَكَ عَلَى أَحْسَنِ الْوَفَاءِ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

اللَّهُمَّ اسْمَعْ دُعَائِي، وَارْحَمْ تَضَرُّعِي، وَتَذَلُّلِي لَكَ، وَاسْتِكَانَتِي، وَتَوَكُّلِي عَلَيْكَ، فَأَنَا لَكَ سَلَمٌ، لَا أَرْجُو نَجَاحاً، وَلَا مُعَافَاةً، وَلَا تَشْرِيفاً، ولَا تَبْلِيغاً، إِلَّا بِكَ وَمِنْكَ، فَامْنُنْ عَلَيَّ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ وتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، بِتَبْلِيغِي شَهْرَ رَمَضَانَ، وأَنَا مُعَافىً مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ وَمَكْرُوهٍ، وَمِن جَمِيعِ البَوَائِقِ. الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَعَانَنَا عَلَى صِيَامِ هَذَا الشَّهْرِ وقِيَامِهِ حَتَّى بَلَّغَنَا آخِرَ لَيْلَةٍ مِنْهُ».

بابُ صَلاةِ العِيدَيْنِ

تحت هذا العنوان أضاف الشّيخ المفيد قُدّس سِرّهُ الشّريف:

«وهذه الصّلاة فرضٌ لازمٌ لجميع مَن لزمتْه الجمعة على شرط حضور الإمام [أي في غير زمن الغَيبة] وسُنّةٌ [مُستحبّة] على الانفراد عند عدم حضور الإمام، فإذا كان يوم العيد بعد طلوع الفجر اغتسلتَ، ولبستَ أطهر ثيابك، وتطيّبت، ومضيتَ إلى مجمع النّاس من البلد لصلاة العيد، فإذا طلعتِ الشّمس فاصبر هُنَيْئةً، ثمّ قم إلى صلاتك بارزاً تحت السّماء، ولْيَكُنْ سجودُك على الأرض نفسه.

فإذا قمتَ فكبّر تكبيرةً تفتتح بها الصّلاة، ثمّ اقرأ (فاتحة الكتاب)، وسورة (والشّمس وضحاها)، ثمّ كبّر تكبيرةً ثانية، ترفع بها يدَيك، واقْنُتْ بعدها، فتقول: (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، اللَّهُمَّ أَهْلَ الكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ، وَأَهْلَ الجُودِ وَالجَبَرُوتِ، وَأَهْلَ العَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَهْلَ التَّقوى وَالمَغْفِرَةِ، أَسْأَلُكَ فِي هَذا اليَوْمِ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُسْلِمِينَ عِيداً، وَلِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذُخْراً وَمَزِيداً، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى عَبْدٍ مِن عِبَادِكَ، وَصَلِّ عَلَى مَلَائِكَتِكَ، ورُسُلِكَ، واغْفِرْ لِلْمُؤمِنِينَ وَالْمُؤمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِن خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عِبادُكَ الْمُرْسَلُونَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا اسْتَعاذَ مِنْهُ عِبادُكَ الْمُرْسَلُونَ)، ثم تكبّر تكبيرةً ثالثة، وتقنت بهذا القنوت، ثمّ تكبّر تكبيرةً رابعة، وتقنت به، ثمّ تكبّر تكبيرةً خامسة، وتقنت به، ثمّ تكبّر تكبيرةً سادسة، وتقنت به، ثمّ تكبّر السّابعة، وتركع بها، فتكون لك قراءةٌ بين تكبيرتَيْن، والقنوت خمس مرّات، فإذا رفعتَ رأسك من السّجود إلى الثّانية كبّرت تكبيرةً واحدة، وقرأتَ (الحمد)، وسورة (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)، فإذا فرغتَ منها كبّرتَ تكبيرةً ثانية، ترفع بها يدَيك، وتقنت به [القنوت المُتقدّم]، وتُكبّر تكبيرةً ثالثة، وتقنت به، ثمّ تُكبّر تكبيرةً رابعة، وتقنت به، ثمّ تُكبّر تكبيرةً خامسة، وتركع بها، فتكون لك قراءة بين تكبيرتيْن، والقنوت ثلاث مرّات، فجميع تكبير هاتَيْن الرّكعتَيْن اثنتا عشرة تكبيرة، منها تكبيرة الاستفتاح، وتكبيرتا الرّكوع، فإذا سلّمتَ مجّدتَ الله تعالى، ودَعوْتَ بما أحببتَ».

باب الزّيادات في ذلك

وتحت هذا العنوان تتبّع الشّيخ المفيد سائر الأدعية المُستحبّة بعد صلاة الصّبح من يوم العيد، والمُستحبّات بعد صلاة العيد نفسها، فقال رحمه الله تعالى:

«وتدعو [بعد] صلاة الغَداة من يوم العيد بهذا الدّعاء، فتقول:

اللّهمَّ إنّي تَوَجَّهْتُ إلَيْكَ بمُحَمَّدٍ أمَامي، وَعَلِيٍّ مِنْ خَلْفي، وَأَئِمَّتي عَنْ يَميني وَشِمَالي، أَسْتَتِرُ بِهِمْ مِنْ عَذابِكَ، وَأَتَقَرَّبُ إلَيْكَ زُلْفَى، لا أَجِدُ أَقْرَبَ إلَيْكَ مِنْهُمْ، فَهُمْ أَئِمَّتي، فَآمِنْ خَوْفي مِنْ عَذابِكَ وَسَخَطِكَ، وَأَدْخِلْني الجَنَّةَ بِرَحْمَتِكَ في عِبادِكَ الصّالِحينَ.

أَصْبَحْتُ بِاللهِ مُؤْمِناً، مُوقِناً، مُخْلِصاً، عَلى دينِ مُحَمَّدٍ وَسُنَّتِهِ، وَعَلى دينِ عَلِيٍّ وَسُنَّتِهِ، وَعَلى دينِ الأَوْصِياءِ وَسُنَّتِهِمْ، آمَنْتُ بِسِرِّهِمْ وَعَلانِيَتِهِمْ، وَأَرْغَبُ إلى اللهِ في ما رَغِبوا فيهِ، وَأَعوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ ما اسْتَعاذوا مِنْهُ، وَلا حَوْلَ، وَلا قُوَّةَ، وَلا مِنْعَةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيمِ، تَوَكَّلْتُ عَلى اللهِ، حَسْبِيَ اللهُ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ..﴾.

اللّهُمَّ إنّي أُريدُكَ فَأَرِدْني، وَأَطْلُبُ ما عِنْدَكَ فَيَسِّرْهُ لي، اللّهُمَّ إنَّكَ قُلْتَ في مُحْكَمِ كِتابِكَ المُنْزَلِ [عَلَى نَبِيِّكَ المُرْسَلِ] وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الصِّدْقُ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ..﴾، فَعَظَّمْتَ شَهْرَ رَمَضانَ بِما أَنْزَلْتَ فيهِ مِنَ القُرْآنِ الكَريمِ، وَخَصَصْتَه بِأَنْ جَعَلْتَ فيهِ لَيْلَةَ القَدْرِ.

أَللّهُمَّ وَقَدِ انْقَضَتْ أَيّامُهُ وَلَياليهِ، وَقَدْ صِرْتُ مِنْهُ يا إلَهي إلى ما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي، فَأَسْأَلُكَ يا إلَهي بِما سَأَلَكَ بِهِ مَلائِكَتُكَ المُقَرَّبونَ، وَأَنْبِياؤُكَ المُرْسَلونَ، وَعِبادُكَ الصّالِحونَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ، وَأَنْ تَقْبَلَ مِنّي كُلَّ ما تَقَرَّبْتُ إلَيْكَ فيهِ، وَتَتَفَضَّلَ عَلَيَّ بِتَضْعيفِ عَمَلي [مضاعفته]، وَقبولِ تَقَرُّبي وَقُرُباتي، وَاسْتِجابَةِ دُعائي، وَهَبْ لي مِنْكَ عِتْقَ رَقَبَتي مِنَ النّارِ، وَالأَمْنَ يَوْمَ الخَوْفِ مِنْ كُلِّ فَزَعٍ، وَمِنْ كُلِّ هَوْلٍ أَعْدَدْتَهُ لِيَوْمِ القِيامَةِ.

وَلا آخُذُ المَهْدِيَّ إلى القَتْلِ حَتّى تَرْضَى مِنّي قَبْلَ

متفرّقات في أحكام صلاة العيد

* إذا اجتمعتْ صلاةُ عيدٍ وصلاةُ جمعةٍ في يومٍ واحدٍ، صلّيتَ صلاةَ العيد، وكنتَ بالخيار في حضور الجمعة.

رُوي عن الصّادق عليه السلام أنّه قال: **«اجْتَمَعَ صَلاةُ عيدٍ وَجُمُعَةٍ في زَمَنِ أَميرِ المُؤْمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقالَ: مَنْ شاءَ أَنْ يَأْتِيَ الجُمُعَةَ فَلْيَأْتِ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ فَلا يَضُرُّهُ»**.

* ولا بأسَ أن تصلّي صلاةَ العيدَيْن في بيتِك عندَ عدم إمامها، أو لعارضٍ مع وجوده، فمتى صلّيتَها فابرز تحت السّماء فوق سطحك، أو حيث لا ساترَ لك منها، وصَلِّها كما تصلّيها في الجماعة، ركعتَين.

رُوي عن الصّادق عليه السلام أنّه قال: **«مَنْ لَمْ يَشْهَدْ جَماعَةَ النّاسِ في العيدَيْنِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَلْيَتَطَيَّبْ بِما وَجَدَ، وَلْيُصَلِّ وَحْدَهُ كَما يُصَلّي في الجَماعَةِ»**.

* ورُوي عنه عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿..خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ..﴾، قال: **«لِصَلاةِ العيدَين والجُمُعة»**، ورُوي: أنّ الزّينة هي العمامة والرّداء.

* ورُوي أنّ الإمام يمشي يوم العيد، ولا يقصد المُصلَّى راكباً، ولا يُصلّي على بساط، ويسجد على الأرض، وإذا مشى رمى ببصره إلى السّماء، ويكبّر، بين خطواته، أربع تكبيرات، ثمّ يمشي.

* ورُوي أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يلبس في العيدَيْن، بُرْداً، ويعتمّ شاتياً كان أو قائظاً.

* والقراءةُ في يوم العيد، يجهرُ بها كما يجهرُ في صلاة الجمعة.

* والخطبةُ فيه بعد الصّلاة، ويوم الجُمُعة قبلها.

(الشّيخ المفيد، المُقنعة: ص٢٠٣)

أَعوذُ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ الكَريمِ، وَبِحُرْمَةِ نَبِيِّكَ، وَبِحُرْمَةِ الأَوْصياءِ أَنْ يَتَصَرَّمَ يا إِلَهي هَذا اليَوْمُ، وَلَكَ قِبَلي تَبِعَةٌ تُريدُ أَنْ تُؤاخِذَني بِها، أَوْ خَطيئَةٌ تُريدَ أَنْ تَقْتَصَّها مِنّي لَمْ تَغْفِرْها لي، أَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ الكَريمِ، بِلا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، يا لا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، أَنْ تَرْضى عَنّي، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ رَضيتَ عَنّي فَزِدْ في ما بَقِيَ مِنْ عُمْري رِضًى، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْضَ عَنّي فَمِنَ الآنَ فَارْضَ عَنّي يا سَيِّدي وَمَوْلاي، السّاعَةَ السّاعَةَ، وَاجْعَلْني في هَذِهِ السّاعَةِ، وَفي هَذا اليَوْمِ، وَفي هَذا المَجْلِسِ مِنْ عُتَقائِكَ مِنَ النّارِ عِتْقاً لا رِقَّ بَعْدَهُ.

أَللّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ الكَريمِ أَنْ تَجْعَلَ يَوْمي هَذا خَيْرَ يَوْمٍ عَبَدْتُكَ فيهِ مُنْذُ أَسْكَنْتَني الأَرْضَ، أَعْظَمَهُ أَجْراً، وَأَعَمَّهُ نِعْمَةً وَعافِيَةً، وَأَوْسَعَهُ رِزْقاً، وَأَبْتَلَهُ عِتْقاً مِنَ النّارِ، وَأَوْجَبَهُ مَغْفِرَةً، وَأَكْمَلَهُ رِضْواناً، وَأَقْرَبَهُ إِلى ما تُحِبُّ وَتَرْضى.

أَللّهُمَّ لا تَجْعَلْهُ آخِرَ شَهْرِ رَمَضانَ صُمْتُهُ لَكَ، وَارْزُقْني العَوْدَ فيهِ ثُمَّ العَوْدَ حَتّى تَرْضى، وَتُرضِيَ كُلَّ مَنْ لَهُ قِبَلي تَبِعَةٌ، وَلا تُخْرِجْني مِنَ الدُّنْيا إِلّا وَأَنْتَ عَنّي راضٍ.

اللّهُمَّ وَاجْعَلْني مِنْ حُجّاجِ بَيْتِكَ الحَرامِ في هَذا العامِ، وَفي كُلِّ عامٍ، المَبْرورِ حَجُّهُم، المَشْكورِ سَعْيُهُم، المَغْفورِ ذَنْبُهُم، المُسْتَجابِ دُعاؤُهُم، المَحْفوظينَ في أَنْفُسِهِمْ، وَأَدْيانِهِمْ، وَذَراريهِمْ، وَأَمْوالِهِمْ، وَجَميعِ ما أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِمْ.

اللّهُمَّ اقْلِبْني مِنْ مَجْلِسي هَذا، وَفي يَوْمي هَذا، وَساعَتي هَذِهِ مُفْلِحاً، مُنْجَحاً، مُسْتَجاباً دُعائي، مَرْحوماً صَوتي، مَغْفوراً ذَنْبي.

أَللّهُمَّ وَاجْعَلْ في ما شِئْتَ، وَأَرَدْتَ، وَقَضَيْتَ، وَحَتَمْتَ، وَأَنْفَذْتَ أَنْ تُطيلَ عُمْري، وَأَنْ تُقَوِّيَ ضَعْفي، وَأَنْ تُغْنِيَ فَقْري، وَأَنْ تَجْبُرَ فاقَتي، وَأَنْ تَرْحَمَ مَسْكَنَتي، وَأَنْ تُعِزَّ ذُلّي، وَأَنْ تُؤْنِسَ وَحْشَتي، وَأَنْ تُكَثِّرَ قِلَّتي، وَأَنْ تُدِرَّ رِزْقي في عافِيَةٍ وَيُسْرٍ وَخَفْضِ عَيْشٍ، وَتَكْفِيَني كُلَّ ما أَهَمَّني مِنْ أَمْرِ آخِرَتي وَدُنْياي، وَلا تَكِلْني إِلى نَفْسي فَأَعْجِزَ عَنْها، وَلا إِلى النّاسِ فَيَرفُضوني. وَعافِني في بَدَني، وَديني، وَأَهْلي، وَوُلْدي، وَأَهْلِ مَوَدَّتي، وَجيراني وَإِخْواني، وَأَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ بِالأَمْنِ أَبَداً ما أَبْقَيْتَني، فَإِنَّكَ وَلِيّي، وَمَوْلايَ وَسَيِّدي، وَرَبّي، وَإِلَهي، وَثِقَتي، وَرَجائي، وَمَعْدِنُ وَسيلَتي، وَمَوْضِعُ شَكْواي، وَمُنْتَهى رَغْبَتي، فَلا يَخيبَنَّ عَلَيْكَ دُعائي يا سَيِّدي وَمَوْلايَ، وَلا تُبْطِلَنَّ طَمَعي وَرَجائي لَدَيْكَ، فَقَدْ تَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَدَّمْتُهُمْ إِلَيْكَ أَمامي، وَأَمامَ حاجَتي، وَطَلِبَتي وَتَضَرُّعي، وَمَسْأَلَتي، فَاجْعَلْني بِهِمْ وَجيهاً في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، فَإِنَّكَ مَنَنْتَ عَلَيَّ بِمَعْرِفَتِهِمْ، فَاخْتِمْ لي بِها السَّعادَةَ، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ.

اللّهُمَّ لا تُبْطِلْ عَمَلي، وَطَمَعي، وَرَجائي، يا إِلَهي وَمالِكي، وَاختِم لي بِالسَّعادَةِ، وَالسَّلامَةِ، وَالإِسْلامِ، وَالأَمْنِ، وَالإِيمانِ، وَالمَغْفِرَةِ، وَالرِّضْوانِ، وَالشَّهادَةِ، وَالحِفْظِ، يا مَنْزولاً بِهِ كُلّ حاجَةٍ، يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ، أَنْتَ لِكُلِّ حاجَةٍ، فَتَوَلَّ عافِيَتَنا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنا أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ بِشَيْءٍ لا طاقَةَ لَنا بِهِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا، وَفَرِّغْنا لِأَمْرِ الآخِرَةِ، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرام، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْحَمْ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَسَلِّمْ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَحَنَّنْ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَامْنُنْ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ، وَبارَكْتَ، وَرَحِمْتَ، وَسَلَّمْتَ، وَتَحَنَّنْتَ، وَمَنَنْتَ عَلى إِبْراهيمَ وَآلِ إِبْراهيمَ، إِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ».

* ومن الطّبيعيّ لمَن ختم موسم الأشهر الثّلاثة، وهو مُتوجّهٌ إلى حفلِ الختام وتوزيعِ الجوائز في يوم العيد أن يكونَ طريقُه إلى صلاة العيد جزءاً من مراسم العيد وعبادته.

* حول ذلك أضاف الشّيخ المفيد أعلى الله تعالى مقامَه:

«وتدعو وأنت متوجّهٌ إلى المصلّى، فتقول:

أللَّهُمَّ مَنْ تَهَيّأَ، وَتَعَبَّأَ، وَأَعَدَّ، وَاسْتَعدَّ لِوِفادَةٍ إلى مَخْلوقٍ رَجاءَ رِفْدِهِ، وَطَلَبِ جَوائِزِهِ، وَفَواضِلِهِ، وَنَوافِلِهِ، فَإِلَيْكَ يا سَيِّدي وِفادَتي، وَتَهْيِئَتي وَتَعْبِيَتي، وَإِعْدادي، وَاسْتِعْدادي رَجاءَ رِفْدِكَ، وَجَوائِزِكَ، وَنَوافِلِكَ، فَلا تُخَيِّبِ اليَوْمَ رَجائي، يا مَنْ لا يَخيبُ عَلَيْهِ سائِلٌ، وَلا يُنْقِصُهُ نائِلٌ، إِنَّني لَمْ آتِكَ اليَوْمَ بِعَمَلٍ صالِحٍ قَدَّمْتُهُ، وَلا شَفاعَةِ مَخْلوقٍ رَجَوْتُهُ، وَلَكِنَّني أَتَيْتُكَ مُقِرّاً بِالظُّلْمِ وَالإِساءَةِ، لا حُجّةَ لي وَلا عُذْرَ، فَأَسْأَلُكَ يا رَبِّ أَنْ تُعْطِيَني مَسْأَلَتي، وَتَقْلِبَني بِرَغْبَتي، وَلا تَرُدَّني مَجْبوهاً وَلا خائِباً، يا عَظيمُ يا عَظيمُ يا عَظيمُ، أَرْجوكَ للعَظيمِ، أَسْأَلُكَ يا عَظيمُ أَنْ تَغْفِرَ لِيَ العَظيمَ، لا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْني خَيْرَ هَذا اليَوْمِ الذي شَرَّفْتَهُ، وَعَظَّمْتَهُ، وَاغْسِلْني فيهِ مِنْ جَميعِ ذُنوبي، وَخَطاياي، وَزِدْني مِنْ فَضْلِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهّابُ».

مَكَارِمُ الأَخْلَاق

فِي القَوِيِّ كَالصَّحِيحِ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

إِنَّا لَنُحِبُّ مَنْ كَانَ عَاقِلاً، فَهِمًا، فَقِيهًا، حَلِيمًا، مُدَارِيًا، صَبُورًا، صَدُوقًا، وَفِيًّا.

إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ الأَنْبِيَاءَ بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَى ذَلِكَ، وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْيَتَضَرَّعْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلْيَسْأَلْهُ إِيَّاهَا.

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ: وَمَا هُنَّ؟

قَالَ: هُنَّ الوَرَعُ، وَالقَنَاعَةُ، وَالصَّبْرُ، وَالشُّكْرُ، وَالحِلْمُ، وَالحَيَاءُ، وَالسَّخَاءُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالغِيرَةُ، وَالبِرُّ، وَصِدْقُ الحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ.

المَجْلسي الأوّل. رَوضَة المُتّقين: ج ١٢/ص ٦٦

في سُنّةِ النِّعَمِ، وأفضلُ الرَّجاءِ وأنالكَ على أحسنِ الوفاءِ لذيذةُ الدُّعاءِ

ما يُستحَبّ فعْلُهُ لَيْلةَ الفطْرِ، وَيَوْمَهُ

إحياءُ ليلةِ العيدِ بالعبادة

الشّيخ الطّوسيّ قدس سره

ليس الهدفُ من هذا الملفّ تحقيقَ نقلة نوعيّة في التّعامل مع أجواء العيد، بحيث تتحوّل ليلتُه إلى ليلة إحياء كما تُحيى ليالي القدر، فقد غدا هذا الهدفُ المشروع - للأسف - بعيدَ المنال عن أكثرنا، بل الهدفُ التّأسيس له عبر إلفات قلوبنا جميعاً في خطّ العقل إلى أمرَين:

الأوّل: عظيم بُعد ثقافتنا السّائدة - على العموم - عن ثقافة النّصّ الشّرعيّ.

الثّاني: أنّ هذا البُعد عن الثّقافة الأصيلة جعل كثيراً من «المُتديّنين» الصّادقين يَحسبون أنّهم يُحسنون صنعاً بتَغييب البرامج العباديّة التي هي أساسُ المنهج التّربويّ في الإسلام.

ليست العبادة في ليلة العيد إلّا نموذجاً يدلّ على المنهج العباديّ الّذي ربّى رسول الله، صلى الله عليه وآله الصّحابةَ الأبرار في هَدْيه، وهو، بَعْدُ، المنهجُ نفسُه الّذي اعتمده أهلُ البيت عليهم السلام وربّى عليه الفقهاءُ الأجيال.

قال الشّيخ الطّوسيّ: «.. عن أبي عبد الله [الصّادق] عليه السّلام، عن أبيه [الباقر]، عن عليٍّ عليه السّلام، قال: **كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يُفَرِّغَ نَفْسَهُ أَرْبَعَ لَيَالٍ فِي السَّنَةِ وَهِيَ: أَوّلُ لَيْلَةٍ مِن رَجَبٍ، وَلَيْلَةُ النِّصْفِ مِن شَعْبَانَ، وَلَيلَةُ الفِطْرِ، وَلَيْلَةُ النَّحْرِ.**

ويُستحَبّ الغُسْلُ في هذه اللّيلة بعدَ غروبِ الشّمس. ومن السُّنّة أن يقولَ عقيبَ صلاة المغرب ليلةَ الفطر، وهو ساجدٌ:

يَا ذَا الجَلَالِ والإكْرام، يَا مُصْطَفِياً مُحَمَّداً وَنَاصِرَهُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ وَنَسِيتُهُ أَنَا، وَهُوَ عِنْدَكَ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ.

ثم يقول: **أَتُوبُ إِلَى اللهِ.** مائة مرّة.

ويُستحَبّ أيضاً التّكبير عقيب أربع صلوات: المغرب، والعشاء الآخرة، وصلاة الفجر، وصلاة العيد، يقول:

اللهُ أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ، لا إِلهَ إِلّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ وَللهِ الحَمْدُ، الحَمْدُ للهِ عَلَى مَا هَدَانَا، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَوْلَانَا.

ويُستَحبُّ أيضاً أن يصلِّيَ بعد الفراغ من جميع صلواتِه في هذه اللّيلة، ركعتَين: يقرأ في الأولى منهما (الحمد) مرّة، وألفَ مرّة (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، وفي الرّكعة الثانية (الحمد) مرّة، ومرّة (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ).

ويستَحبّ أن يدعو بعدها بهذا الدّعاء:

يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ، يا رَحْمنُ يا اللهُ، يا رَحِيمُ يا اللهُ، يا مَلِكُ يا اللهُ، يا قُدُّوسُ يا اللهُ، يا سَلامُ يا اللهُ، يا مُؤْمِنُ يا الله، يا مُهَيْمِنُ يا اللهُ، يا عَزِيزُ يا اللهُ، يا جَبَّارُ يا اللهُ، يا مُتَكَبِّرُ يا اللهُ، يا خالِقُ يا اللهُ، يا بارِئُ يا اللهُ، يا مُصَوِّرُ يا اللهُ، يا عالِمُ يا اللهُ، يا عَظِيمُ يا اللهُ، يا عَلِيمُ يا اللهُ، يا كَرِيمُ يا اللهُ، يا حَلِيمُ يا اللهُ، يا حَكِيمُ يا اللهُ، يا سَمِيعُ يا اللهُ، يا بَصِيرُ يا اللهُ، يا قَرِيبُ يا اللهُ، يا مُجِيبُ يا اللهُ، يا جَوادُ يا اللهُ، يا ماجِدُ يا اللهُ، يا مَلِيءُ يا اللهُ، يا وَفِيُّ يا اللهُ، يا وَلِيُّ يا اللهُ، يا قاضِي يا اللهُ، يا سَرِيعُ يا اللهُ، يا شَدِيدُ يا اللهُ، يا رَؤُوفُ يا اللهُ، يا رَقِيبُ يا اللهُ، يا مَجِيدُ يا اللهُ، يا حَفِيظُ يا اللهُ، يا مُحِيطُ يا اللهُ، يا سَيِّدَ السَّادةِ يا اللهُ، يا أَوَّلُ يا اللهُ، يا آخِرُ يا اللهُ، يا ظاهِرُ يا اللهُ، يا باطِنُ يا اللهُ، يا فاخِرُ يا اللهُ، يا قاهِرُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ،

يا وَدُودُ يا اللهُ، يا نُورُ يا اللهُ، يا رافِعُ يا اللهُ، يا مانِعُ يا اللهُ، يا دافِعُ يا اللهُ، يا فاتِحُ يا اللهُ، يا نَفّاعُ يا اللهُ، يا جَلِيلُ يا اللهُ، يا جَمِيلُ يا اللهُ، يا شَهِيدُ يا اللهُ، يا شاهِدُ يا اللهُ، يا مُغِيثُ يا اللهُ، يا حَبِيبُ يا اللهُ، يا فاطِرُ يا اللهُ، يا مُطَهِّرُ يا اللهُ، يا مَلِكُ يا اللهُ، يا مُقْتَدِرُ يا اللهُ، يا قابِضُ يا اللهُ، يا باسِطُ يا اللهُ، يا مُحْيِي يا اللهُ، يا مُمِيتُ يا اللهُ، يا باعِثُ يا اللهُ، يا وارِثُ يا اللهُ، يا مُعْطِي يا اللهُ، يا مُفْضِلُ يا اللهُ، يا مُنْعِمُ يا اللهُ، يا حَقُّ يا اللهُ، يا مُبِينُ يا اللهُ، يا طَيِّبُ يا اللهُ، يا مُحْسِنُ يا اللهُ، يا مُجْمِلُ يا اللهُ، يا مُبْدِئُ يا اللهُ، يا مُعِيدُ يا اللهُ، يا بارِئُ يا اللهُ، يا بَدِيعُ يا اللهُ، يا هادِي يا اللهُ، يا كافِي يا اللهُ، يا شافِي يا اللهُ، يا عَلِيُّ يا اللهُ، يا عَظِيمُ يا اللهُ، يا حَنَّانُ يا اللهُ، يا مَنَّانُ يا اللهُ، يا ذا الطَوْلِ يا اللهُ، يا مُتَعالِي (مُتَعال) يا اللهُ، يا عَدْلُ يا اللهُ، يا ذا المَعارِجِ يا اللهُ، يا صادِقُ يا اللهُ، يا دَيّانُ يا اللهُ، يا باقِي يا اللهُ، يا واقِي يا اللهُ، يا ذا الجَلالِ يا اللهُ، يا ذا الإكْرامِ يا اللهُ، يا مَحْمُودُ يا اللهُ، يا مَعْبُودُ يا اللهُ، يا صانِعُ يا اللهُ، يا مُعِينُ يا اللهُ، يا مُكَوِّنُ يا اللهُ، يا فَعّالُ يا اللهُ، يا لَطِيفُ يا اللهُ، يا جليلُ يا اللهُ، يا غَفُورُ يا الله، يا شَكُورُ يا اللهُ، يا نُورُ يا اللهُ، يا قَدِيرُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ، يا رَبّاه يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ، يا رَبَّاهُ يا اللهُ، يا رَبَّاه يا اللهُ، أَسأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَمُنَّ عَلَيَّ بِرِضاكَ، وَتَعْفُوَ عَنِّي بِحِلْمِكَ، وَتُوَسِّعَ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ الحَلالِ الطَّيِّبِ، مِنْ حَيْثُ أَحْتَسِبُ وَمِنْ حَيْثُ لا أَحْتَسِبُ، فَإِنِّي عَبْدُكَ، لَيْسَ لِي أَحَدٌ سِواكَ، وَلا أَحَدَ أَسْأَلُهُ غَيْرَكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، ما شاءَ اللهُ، لا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

ثمّ تسجد، وتقول:

يا اللهُ، يا اللهُ، يا رَبُّ يا اللهُ، يا رَبُّ يا اللهُ، يا رَبُّ يا اللهُ، يا رَبُّ، يا رَبُّ، يا رَبُّ، يا مُنْزِلَ البَرَكاتِ بِكَ تَنْزِلُ كُلُّ حاجَةٍ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ فِي مَخْزُونِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، وَالأَسْماءِ المَشْهُورَاتِ عِنْدَكَ، المَكْتُوبَةِ عَلى سُرادِقِ عَرْشِكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وأَنْ تَقْبَلَ مِنِّي شَهْرَ رَمَضانَ، وَتَكْتُبَنِي مِنَ الوافِدِينَ إِلى بَيْتِكَ الحَرامِ، وَتَصْفَحَ لِي عَنِ الذُّنُوبِ العِظامِ، وَتَسْتَخْرِجَ يا رَبِّ كُنُوزَكَ يا رَحْمنُ.

واغتسِلْ في آخر اللّيل، واجلِس في مصلّاكَ إلى طلوع الفجر، واستفتِح خروجَك بالدّعاء، إلى أن تدخلَ مع الإمام في الصّلاة.

فتقول:

أَللّهُمَّ إِلَيْكَ وَجَّهْتُ وَجْهي وَإِلَيْكَ فَوَّضْتُ أَمْرِي وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، اللهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانا، اللهُ أَكْبَرُ إِلَهنا ومَولانا، اللهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا أَوْلَانا وحُسْنِ مَا أَبْلَانا، اللهُ أَكْبَرُ وَلِيُّنا الّذي اجْتَبانا، اللهُ أَكْبَرُ ربُّنا الّذي بَرَأَنا، اللهُ أَكْبَرُ الّذي خَلَقَنا وَسَوّانا، اللهُ أَكْبَرُ رَبُّنا الّذي أَنْشَأَنا، اللهُ أَكْبَرُ الّذي بِقُدْرَتِهِ هَدانا، اللهُ أَكْبَرُ الّذي بدِينِهِ حَبانا، اللهُ أَكْبَرُ الّذي مِنْ فِتْنَتِهِ عَافَانا، اللهُ أَكْبَرُ الّذي بِالإسلامِ اصْطَفانا، اللهُ أَكْبَرُ الّذي فَضَّلَنا بِالإسْلامِ عَلَى مَنْ سِوانَا، اللهُ أَكْبَرُ وَأَكْبَرُ سُلْطَانَاً، اللهُ أَكْبَرُ وَأَعْلَى بُرْهاناً، اللهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ سُبْحَاناً، اللهُ أَكْبَرُ وَأَقْدَمُ إِحْسَاناً، اللهُ أَكْبَرُ وَأَعَزُّ أَرْكَاناً، اللهُ أَكْبَرُ وَأَعْلَى مَكاناً، اللهُ أَكْبَرُ وَأَسْنَى شَأْناً، اللهُ أَكْبَرُ نَاصِرُ مَنِ اسْتَنْصَرَ، اللهُ أَكْبَرُ ذُو المَغْفِرَةِ لِمَنِ اسْتَغْفَر، اللهُ أَكْبَرُ الّذي خَلَقَ وَصَوّرَ، اللهُ أَكْبَرُ الّذي أَمَاتَ فَأَقْبَرَ، اللهُ أَكْبَرُ الّذي إِذا شَاءَ أَنْشَرَ، اللهُ أَكْبَرُ أَقْدَسُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَظْهَرُ، اللهُ أَكْبَرُ رَبُّ الخَلْقِ وَالبَرِّ وَالبَحرِ، اللهُ أَكْبَرُ كُلَّمَا سَبَّحَ اللهَ شَيْءٌ وَكَبَّرَ، وَكَمَا يُحِبُّ اللهُ أَنْ يُكبَّرَ.

اللّهُمَّ اسمَعْ دُعائي، وارحَمْ تضرُّعي، وتقبَّلْ ذلكَ، واستَجِبْ دعائي، وتوكَّلْ عليكَ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ، وَرَسولِكَ، وَنَبِيِّكَ، وَصَفِيِّكَ، وَحَبيبِكَ، وَنَجِيِّكَ، وَأَمينِكَ، وَنَجيبِكَ، وَصَفْوَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَخَليلِكَ، وَخَاصَّتِكَ، وَخَالِصَتِكَ، وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسولِكَ الّذي هدَيْتَنا بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ، وَعَلَّمْتَنا بِهِ مِنَ الجَهالَةِ، وَبَصَّرْتَنا بِهِ مِنَ العَمَى، وَأَقَمْتَنا بِهِ عَلَى المَحَجَّةِ العُظْمى وَسَبيلِ التَّقْوى، وَأَخْرَجْتَنا بِهِ مِنَ الغَمَراتِ إِلى جَميعِ الخَيْراتِ، وَأَنْقَذْتَنا بِهِ مِنْ شَفَا جُرُفِ الهَلَكَاتِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ، وَأَكْمَلَ، وَأَشْرَفَ، وَأَكْبَرَ، وَأَطْهَرَ، وَأَطْيَبَ، وَأَتَمَّ، وَأَعَمَّ، وَأَعَزَّ، وَأَزْكى، وَأَنْمى، وَأَحْسَنَ، وَأَجْمَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ العالَمينَ. أَللَّهُمَّ شَرِّفْ مَقامَهُ فِي القِيامَةِ، وَعَظِّمْ عَلَى رُؤوسِ الخَلَائِقِ حَالَه، أَللَّهُمَّ اجْعَلْ مُحمّدَاً وَآلَ مُحَمَّدٍ يَوْمَ القِيامَةِ أَقْرَبَ الخَلْقِ مِنْكَ مَنْزِلَةً، وَأَعْلاهُم مَكَانَاً، وَأَفْسَحَهُمْ لَدَيْكَ مَجْلِساً، وَأَعْظَمَهُم عِنْدَكَ شَرَفاً، وَأَرْفَعَهُمْ مَنْزِلاً.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وعَلَى أَئِمَّةِ الهُدَى وَالحُجَجِ عَلَى خَلْقِكَ، وَالأَدِلّاءِ عَلَى سُنَّتِكَ، وَالبَابِ الّذي مِنْهُ يُؤْتَى، وَالتَّراجِمَةِ لِوَحْيِكَ، الْمُسْتَنّينَ بِسُنَّتِكَ النّاطِقِينَ بِحِكْمَتِكَ الشُّهَداءِ عَلَى خَلقِكَ، أَللَّهُمَّ اشْعَبْ بِهِمُ الصَّدْعَ وَارْتُقْ بِهِمُ الفَتْقَ، وَأَمِتْ بِهِمُ الجَوْرَ، وَأَظْهِرْ بِهِمُ العَدْلَ وَزَيِّنْ بِطُولِ بَقائِهِم الأَرْضَ، وَأَيِّدْهُمْ بِنَصْرِكَ وَانْصُرْهُمْ بِالرُّعْبِ، وَقَوِّ ناصِرَهُمْ وَاخْذُلْ خاذِلَهُمْ، وَدَمْدِمْ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُمْ، وَدَمِّرْ عَلَى مَنْ غَشَمَهُمْ، وَافْضُضْ بِهِمْ رؤوسَ الضَّلالَةِ وَشارِعَةَ البِدَعِ، وَمُمِيتَةَ السُّنَنِ، وَالْمُتَعَزِّزينَ بِالباطِلِ. وَأَعِزَّ بِهِمُ الْمُؤْمِنينَ، وَأَذِلَّ بِهِمُ الكافِرينَ وَالْمُنافِقينَ وَجَميعَ الْمُلْحِدينَ وَالْمُخالِفينَ، في مَشارِقِ الأَرْضِ وَمَغارِبِها، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى جَميعِ الْمُرْسَلينَ وَالنَّبِيّينَ الّذين بَلّغوا عَنْكَ الهُدى، وَاعْتَقدوا لَكَ المَواثيقَ بِالطّاعَةِ، وَدَعَوْا العِبادَ إِلَيْكَ بِالنَّصيحَةِ، وَصَبَروا عَلَى مَا لَقُوا مِنَ الأَذَى وَالتَّكْذيبِ في جَنْبِكَ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَيْهِمْ وَعَلَى ذَراريهِمْ وَأَهْلِ بُيوتَاتِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ، وَجَميعِ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ، وَالْمُسْلِمينَ وَالْمُسْلِماتِ، الأَحْياءِ مِنْهُمْ وَالأَمْواتِ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِمْ جَميعاً فِي هَذِهِ السّاعَةِ وَفِي هَذا اليَوْمِ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكاتُهُ.

أَللَّهُمَّ اخْصُصْ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ الْمُبارِكينَ، السّامِعينَ، الْمُطيعينَ لَكَ، الّذينَ أَذْهَبْتَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرْتَهُمْ تَطْهيراً، بِأَفْضَلِ صَلَواتِكَ وَنَوامي بَرَكاتِكَ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

فإذا أصبح يومَ الفطر:

يُستَحبّ له أن يغتسلَ، ووقتُه [أي وقتُ الغُسل] بعد طلوع الفجر إلى وقتِ صلاة العيد، ويلبسَ أطهرَ ثيابه، ويمسّ شيئاً من الطّيب جسده؛ وينبغي أيضاً أن يعتمّ شاتياً كان أو قايظاً، ويتردّى بِبُرْدَةٍ حِبَرَة، ثمّ يخرج إلى المُصلّى بسكينة ووقار لصلاة العيد، فإذا اجتمعتْ شروط الجمعة وجبتْ صلاةُ العيد، وإنْ لم تجتمع أو اختلّ بعضُها كانت الصّلاةُ مُستحبّةً على الانفراد، فإذا توجّه إلى الصّلاة دعا بالدّعاء الّذي ذكرناه في آخر هذا الفصل.

وصِفةُ صلاة العيد أن يقومَ مُستقبِلَ القبلة، فيستفتح الصّلاة، يتوجّه فيها، ويكبّر تكبيرة الاستفتاح "..."

فإذا سلّمَ عقّبَ بتسبيحِ الزّهراء عليها السّلام، ومَا خفَّ عليه من الدّعاء، ثمّ يدعو بهذا الدّعاء.

الدّعاء بعد صلاة العيد (صلاة الصّبح؟):

أَللّهمَّ إِنّي تَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بمُحَمَّدٍ أَمَامي، وَعَلِيٍّ مِنْ خَلْفي، وَأَئِمَّتي عَنْ يَميني وَشِمَالي، أَسْتَتِرُ بِهِمْ مِنْ عَذابِكَ وَسَخَطِكَ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ زُلْفَى... [إلى آخر الدّعاء الذي ورد أعلاه برواية الشّيخ المفيد قدس سره]

فإذا توجّهتَ إلى المُصَلّى، فَادْعُ بهذا الدّعاء:

أَللَّهُمَّ مَنْ تَهَيَّأَ، وَتَعَبَّأَ، وَأَعَدَّ، وَاسْتَعَدَّ لِوِفادَةٍ إِلى مَخْلوقٍ رَجاءَ رِفْدِهِ...». [إلى آخر الدّعاء، وقد تقدّمت أيضاً روايتُه عن الشّيخ المفيد]

خُطبة أمير المؤمنين عليه السّلام يومَ الفطر

قال الشّيخ الطّوسيّ رضوان الله تعالى عليه:

«.. روى أبو مِخْنَف، عن جُندب بن عبد الله الأزديّ، عن أبيه، أنّ عليّاً عليه السّلام كان يخطبُ يومَ الفطر، فيقول:

الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ، وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ، لا نُشْرِكُ بِاللهِ شيئاً وَلا نَتَّخِذُ (ولا أَتَّخِذُ) مِنْ دُونِهِ وَلِيّاً، وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ، وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخرةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ، يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها، وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماء وَما يَعْرُجُ فِيها، وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ، كذلِكَ ربُّنَا جَلَّ ثَناؤه، لَا أَمَدَ وَلَا غَايَةَ وَلَا نِهايَةَ، ولَا إِلهَ إِلّا هُوَ وإِلَيْهِ المَصِيرُ، وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلى الأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِهِ، إِنَّ اللهَ بِالنّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

أَللَّهُمَّ ارْحَمْنا بِرَحْمَتِكَ، وَاعْمُمْنا بعَافِيَتِكَ، وامدُدْنَا (وأمدِدْنا) بِعِصْمَتِكَ، ولَا تُخْلِنَا مِن رَحْمَتِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرّحِيمُ، وَالحَمْدُ للهِ لا مَقْنُوطاً مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلا مَخْلُوّاً مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلا مُؤْيَساً مِنْ رَوْحِهِ، وَلا مُسْتَنْكَفاً عَنْ عِبادَتِهِ، الذي بِكَلِمَتِهِ قامَتِ السَّماواتُ السَّبْعُ وَقَرَّتِ الأَرْضُون السّبعُ، وَثَبَتَتِ الجِبالُ الرَّواسِي، وَجَرَتِ الرِّياحُ اللَّواقِحُ، وَسارَ فِي (جَوِّ) السَّماء السَّحابُ، وَقامَتْ عَلى حُدُودِها البِحارُ، فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ، إِلهٌ قاهِرٌ قَادِرٌ، ذلَّ لَهُ المُتَعَزِّزُونَ، وَتَضاءَلَ لَهُ المُتَكَبِّرُونَ، وَدانَ طَوْعاً وَكَرْهاً لَهُ العالَمُونَ، نَحْمَدُهُ بما حَمِدَ نَفْسَهُ، وَكَما هُوَ أَهْلُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَعْلَمُ ما تُخْفِي الصُّدورُ (النُّفُوسُ)، وَما تُجِنُّ البِحارُ، وَما تُوارِي الأَسْرَابُ (الأسرار)، وما تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ، وَكُلّ شَيءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَار، لَا تُوارِي مِنْهُ ظُلُماتٌ، وَلَا تَغِيبُ عَنْهُ غائِبَةٌ، وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ، وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، وَيَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ العَامِلُونَ، وَإِلى أَيِّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، وَنَسْتَهْدِي اللهَ بِالهُدى، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ (الضّلال) والرَّدى، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَنَبِيُّهُ وَرَسُولُهُ إِلى النّاسِ كَافّة، وَأَمِينُهُ عَلى وَحْيِهِ، وَأَنَّهُ بَلَّغَ رِسالَةَ رَبِّهِ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ المُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَعَبَدَه حَتّى أَتاهُ اليَقِينُ صلّى اللهُ عليه وآله.

فَإِنَّ السَّلَامَ لَا أَرْجُو بِهِ أَحَداً وَلَا أَتَّقِي غَيْرَكَ وَمِنْكَ

أُوصِيكُمْ، عبادَ الله، بِتَقْوى اللهِ الَّذِي لا تَبْرَحُ مِنْهُ نِعْمَةٌ، وَلا تُفْقَدُ (تَنفد) له رَحْمَةٌ، وَلا يَسْتَغْنِي عَنْهُ العِبادُ، وَلا تَجْزِي أَنْعُمَهُ الأعْمالُ، الَّذِي رَغَّبَ فِي الآخِرَةِ وَزَهَّدَ فِي الدُّنْيا، وَحَذَّرَ المَعاصِي، وَتَعَزَّزَ بِالبَقاءِ، وَتَفَرَّدَ بِالعِزِّ وَالبَهاءِ، وَجَعَلَ المَوْتَ غايَةَ المَخْلُوقِينَ، وَسَبِيلَ المَاضِين، فَهو مَعْقُودٌ بِنَواصِي الخَلْقِ كُلِّهم، حَتْمٌ فِي رِقَابِهم، لا يُعْجِزُهُ لُحُوقُ الهَارِبِ، وَلَا يَفُوتُهُ نَاءٍ، وَلَا آئِب، يَهْدِمُ كُلَّ لَذَّةٍ، وَيُزِيلُ كُلَّ بَهْجَةٍ، وَيَقْشعُ كُلَّ نِعْمَةٍ.

عبادَ الله! إنّ الدُّنْيا دارٌ رَضِيَ اللهُ لأَهْلِهَا الفَناءَ، وقَدَّرَ عَلَيهم بها [مِنْها] الجَلاءَ، فَكُلُّ مَا فِيها نَافِدٌ، وَكُلُّ مَن يَسْلُكُها (يسكنُها) بَائِدٌ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ حُلْوَةٌ غَضِرَةٌ (خَضِرَة)، رَائِقَةٌ نَضِرَة، قَدْ زيّنَتْ [ازَّيَنت] لِلْطَّالِبِ، وَلَاطَت بِقَلْبِ الرّاغِبِ يَطِيبُها (بطيبها) الطّامع، وَيَجْتَوِيها (يَجتنبها) الوَجِلُ الخائِفُ، فَارْتَحِلُوا، رَحِمَكُمُ اللهُ، مِنْها بِأَحْسَنِ ما بِحَضْرَتِكُمْ (يَحضرُكم) مِنَ الزّادِ، وَلا تَطْلُبُوا مِنْها سِوى البُلْغَة، وَكُونُوا فِيهَا كَسَفرٍ (كَسَفَرَةٍ) نَزِلُوا مَنْزِلاً فَتَمَتَّعُوا مِنْهُ (مِنها)، بِأَدْنَى ظِلّ، ثُمّ ارْتَحَلُوا لِشَأْنِهم، وَلا تَمُدُّوا أَعْيُنَكُمْ فِيهَا إِلى مَا مُتِّعَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَضِرُّوا فِيها بِأَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّ ذلِكَ أَخَفُّ لِلحِسَابِ، وَأَقْرَبُ مِنَ النَّجَاةِ.

أَلا إِنَّ الدُّنْيا قَدْ تَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَتْ، وَآذَنَتْ بِوَداعٍ، أَلا وَإِنَّ الآخِرةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ وَنَادَتْ بِاطِّلاعٍ، أَلا وَإِنَّ المِضْمارَ اليَوْمَ وغَداً السِّباق، أَلا وَإِنَّ السَّبقةَ الجَنَّة وَالغايَةَ النَّارُ، أَفَلا تائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ هُجُومِ مَنِيَّتِهِ؟ أَوَلا عامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ فَقْرِهِ وبُؤْسِهِ؟ جَعَلَنا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَخافُهُ وَيَرْجُو ثَوابَهُ.

أَلا وإِنَّ هذا اليَوْمَ، يَوْمٌ جَعَلَهُ الله عِيداً، وَجَعَلَكُمْ لَهُ أَهْلاً، فَاذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ، وَكَبِّرُوهُ، وَعَظِّمُوهُ، وَسَبِّحُوهُ، وَمَجِّدُوهُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، وَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُم، وَتَضَرَّعُوا وَابْتَهِلُوا، وَتُوبُوا وَأَنِيبُوا، وَأَدُّوا فِطْرَتَكُمْ، فَإِنَّها سُنَّةُ نَبِيِّكُمْ، وَفَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَلْيُخْرِجْهَا كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ عِيالِهِ كُلِّهِم، ذَكَرِهِم وَأُنْثَاهُم، صَغِيرِهِم وَكَبِيرِهِم، حُرِّهِم وَمَمْلُوكِهِم، يُخْرِجُ كُلُّ (عَنْ كُلِّ) واحدٍ مِنْهُمْ صاعاً مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صاعاً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ [صَاعَاً] مِنْ بُرٍّ، مِن طِيْبِ كَسْبِهِ، طَيِّبَةً بِذَلِكَ نَفْسُهُ.

عِبَادَ الله! وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتّقْوَى، وَتَراحَمُوا وَتَعَاطَفُوا، وَأَدّوا فَرائِضَ اللهِ عَلَيكُم، فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ إِقامةِ الصَّلواتِ المَكْتُوبَاتِ، وَأَداءِ الزَّكَوَاتِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضانَ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالتّنَاهِي (وَالنَّهْي) عَنِ المُنْكَرِ، وَالإِحسَانِ إِلى نِسائِكُم، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ، وَاتّقُوا اللهَ فِيمَا نَهاكُمْ عَنْهُ، وأَطِيعُوهُ فِي اجتِنابِ قَذْفِ المُحْصَنَاتِ، وَإِتْيَانِ الفَواحِشِ، وَشُرْبِ الخَمْرِ، وَبَخْسِ المِكْيالِ، وَنَقْصِ المِيزَانِ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ، وَالفِرارِ مِنَ الزَّحْفِ، عَصَمَنا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِالتَّقْوى، وَجَعَلَ الآخِرةَ خَيْراً لَنا وَلَكُمْ مِن هذه الدُّنيا، إِنَّ أَحْسَنَ الحَدِيثِ وَأَبْلَغَ المَوْعِظَةِ كلامُ اللهِ تَعالى.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ، ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ..﴾، إلى آخرِها.

* ثمّ جَلَسَ وَقَام، فَقَال:

الحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا (نفوسِنا) وَمِن سَيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَد، وَمَن يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ..».

* قال الشّيخ الطّوسيّ رحمه الله: «وذكرَ بَاقي الخطبةِ الصّغيرةِ في يومِ الجُمُعة».

وبالرّجوع إلى خُطبة الجمعة الصّغيرة، نَجِد أنّه، رحمه الله تعالى، أوردَ خطبتَين صغيرتَين، أقربهُما إلى ما أشار إليه، هو هذه الخطبة:

«الحَمْدُ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلّى الله (صَلواتُ الله) عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَسَلامُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوانُهُ.

أَللّهُمّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَنَبِيِّكَ وَصَفِيِّكَ، صَلاةً تامّةً نامِيَةً زاكِيَةً، تَرْفَعُ بِها دَرَجَتَهُ، وَتُبَيِّنُ بِها فَضيلَتَهُ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَما صَلَّيْتَ وَبارَكْتَ عَلى إِبْراهِيمَ وَعلَى آلِ إِبْراهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أَللّهُمّ عَذِّبْ كَفَرَةَ أَهْلِ الكِتابِ، والْمُشْرِكِيْنَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيَجْحَدُونَ آياتِكَ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، أَللّهُمّ خالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَأَلْقِ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَنِقْمَتَكَ وَبَأْسَكَ الَّذِي لا تَرُدُّهُ عَنِ القَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، أَللّهُمّ انْصُرْ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ وَسَراياهُمْ وَمُرابِطِيهِم، حيثُ كَانوا مِن مَشارِقِ الأَرْضِ وَمَغارِبِها، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، أَللّهُمّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِناتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ، وَلِمَنْ هُوَ لاحِقٌ بِهِمْ، واجْعَلْ التَّقْوى زادَهُمْ والجَنّة مَآبَهُم، وَالإِيمانَ وَالحِكْمَةَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَوْزِعْهُمْ أَنْ يَشْكُرُوا نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يُوفُوا بِعَهْدِكَ الَّذِي عاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ، إِلهَ الحَقّ وَخالِقَ الخَلْقِ آمِين، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسانِ، وَإِيْتاءِ ذِي القُرْبى، وَيَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، اذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّهُ ذاكِرٌ لِمَنْ ذَكَرَهُ، وَاسْأَلُوه رَحْمَتَه وَفَضْلَه، فَإِنَّهُ لا يَخِيبُ عَلَيْهِ داعٍ من المؤمنين دَعاهُ. رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخرةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّار».

(الشّيخ الطّوسيّ، مصباح المتهجّد)

فامنن عليّ جل ثناؤك وتقدست أسماؤك بتبليغي شهر رمضان وأنا معافى من جميع البلايا

تفرّغ لعبادتي أملأ قلبك غنىً

في الصَحِيح، عَنْ أبي عَبْد الله عَلَيهِ السَّلام، قال:

في التَّوراةِ مَكتُوبٌ: يا ابْنَ آدَم: تَفَرَّغْ لِعبادتي

أملأْ قَلبَكَ غِنىً، وَلا أَكِلُكَ إلى طَلَبِك..

وَعَلَيَّ أنْ أسُدَّ فاقَتَكَ، وَأملأ قَلبَكَ خَوفاً مِنّي.

وَإلّا تَفَرَّغ لِعبادَتي، أملأ قَلبَكَ شُغْلاً بالدُّنيا، ثُمّ لا

أسُدُّ فاقَتَكَ، وَأَكِلُكَ إلى طَلَبِك.

المَجلسي الأوّل. روضة المتّقين: ج ١٢/ص ٦٩

الحديثُ معَ اللّٰه تَعالى، ومع وليِّه المَهديّ عليه السّلام
عاجِزٌ عَنْ عِتابِكَ، كَيْفَ يَقوى عَلى عِقابِكَ؟

السّيّد ابن طاوس قدس سره

«.. إذَا طَلَعَ هِلالُ شَوّال، نُوديَ المُؤْمنونَ أَن اغْدُوا إلى جَوائزِكُمْ، فَهُوَ يَوْمُ الجَائزَة، ثمّ قالَ أبو جعفر [الباقر] عليه السّلام: أَمَا وَالّذي نَفْسي بيَدِه مَا هيَ بجَائزَة الدَّنانير وَالدَّراهمْ».

ما هي الحالُ التي يكونُ عليها الصّائم، صبيحةَ العيد؟ الإدلال؟ أم الحياءُ والخَجلُ على قاعدة: ﴿..إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة:٢٧.

حَوْلَ هذه الحال، تحدّث السّيّد ابنُ طاوس قدس سره مُبَيِّناً بعضَ أدب الحديث مع الله تعالى في غَمَرات الحياء والخَجل، ومع وليِّه المَهديّ المُنتظَر إمام الزّمان، عليه السلام من قَلب مُشاطَرته هُمومَ المسلمين والمستضعفين، وأحزانَ الغَيْبَة وتأخيرَ الفَرَج.

قال السّيّد ابن طاوس رحمَه الله تعالى:

«وإنْ أرادَ المتشرّفُ باستقبالِ يومِ العيد، أنْ يُخاطبَ كرمَ المالكِ للتّأييد، و[طَلَبَ] المزيد، فيقول: اللّهُمَّ إنّ الملوكَ والأمراءَ قد وهبُوا خِلَعاً لَمماليكهم وعبيدِهم وجنودِهم، ولو كانَ المماليكُ من الأغنياء.

والعبدُ المملوكُ رأسُه مكشوفٌ من عمائمِ المراقبةِ التي تليقُ بكم، ومن مَيازر الإخلاصِ التي تجبُ لكم، ومن سِتْرِ الإقبالِ عليكم، ومن الخِلَعِ التي تَصلحُ للحضورِ بين يدَيكم، وثيابُ العبدِ المملوكِ خَلِقَةٌ بيدِ الغَفَلات، ودَنِسَةٌ من وَسَخِ الشّهوات، ولباسُ سَتْرِ عيوبِه مُمَزَّقٌ بيَدِ إيثارِه عليكم، ومِغْفَرُ غفرانِ ذنوبِه مكسَّرٌ بيَدِ تهوينِه بالاستغفارِ الذي يقرّبُه إليكم، وعوراتُه مكشوفةٌ، وعثَراتُه مخوفةٌ، فهو مُتهتِّكٌ في هذا العيدِ السّعيدِ بسُوءِ ملبوسِه، و(خَجِلٌ) خَزْيانُ من ثيابِ نُحوسِه، فما أنتم صانعونَ بمملوكٍ يقولُ بلسانِ حالِه: (**إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**)، وأنتُم علّمتُمُ المُلوكَ (المَملُوكَ) مكارمَ الأخلاقِ، وعَنكُم وَمِنكُم عُرِفَ ابتداءُ الخلع، وإطلاقُ الأعناقِ والأرزاق.

وقد كانَ العبدُ المملوكُ لَمّا ابتَدأْتُم بإنشائه، عرفتُم ما يقعُ منه من سوءِ إبائه (إبايه)، ووَسِعَه حِلمُكم، حتّى خَلَعتُم عليه خِلَعَ البقاء، وخِلَعَ سلامةِ الأعضاء، وخِلَعَ الشّفاءِ من الأدواء، وكَسَوتُموه لَحماً وجِلداً، وبالَغتُم معَه إنعاماً ورِفْداً.

فيَبقى العبدُ المملوكُ عُرْياناً بحَضرتِكم، فمَن ذا يسترُه ويَكسوه إذا رآه، وقَد ضاقتْ عنه سعةُ رحمتِك، ومَن يأويه إذا نُودِيَ عليه: أيْ طريدَ نقمتِكم! فيا مَن خلعَ عليه، وقد عرفَ مَا يَنتَهِي حالُه إليه، وربَّاهُ وغَذَّاهُ وَآواهُ، فقَد أحاطَ عِلْمَاً بجُرْأَتِه عَلَيه، وَمَا كَانَ قَد تشرَّفَ بمَعرفةِ مَوْلاه، وَلَا ارتَضَاهُ أن يخدمَه في دُنياه... ارحم استغاثتَه بكَ، واستكانتَه لكَ، واستجارتَه بظِلّك، ووسيلتَه بفضلك إلى عدلِك، وَاكْسُهُ مِن خِلَعِ العفوِ والغُفرانِ، والأمانِ، والرّضوانِ، مَا يكونُ ذِكرُها وشُكرُها ونَشْرُها، مَنسوباً إلى مُجَرَّدِ رَحمتِك وجُودِك، فقَدِ انْكَسَرَ قَلبُه، وَخَجِلَ وَاستَحيا مِن وقوفِه عُرياناً في يومِ عيدِكَ، مَعَ كَثرةِ مَن خَلَعْتَ عَلَيهِ مِن عَبيدِكَ وَوُفُودِكَ، وَمَا لَهُ بَابٌ غَيْرُ بَابِكَ، وَهُوَ عَاجِزٌ عَن عِتَابِكَ، فَكَيفَ يَقْوَى عَلَى حِرمَانِكَ وَعِقَابِكَ؟».

الحمد لله الذي أعاننا على صيام هذا الشهر وقامه حتى بلغنا آخر ليلة منه. الشيخ المنبر، المقنعة ص ١٩٣

أدبُ الحديث مع الإمام المهديّ عليه السلام يومَ العيد

أضاف السّيّد ابن طاوس، رضوان الله تعالى عليه:

«فصلٌ: في ما نذكرُه من أدبِ العبد يومَ العيد مع من يعتقدُ أنّه إمامُه، وصاحب ذلك المقام المجيد، فأقول:

اعلَم أنّه إذا كانَ يومُ عيدِ الفِطر، فإنْ كانَ صاحبُ الحُكم والأمرِ مُتَصَرّفاً في مُلكِه ورَعَاياهُ عَلى الوجهِ الّذي أعطاه مَولاه، فَلْيَكُن مُهنّئاً له، صلواتُ اللهِ عَليه، بشَرف إقبالِ اللهِ، جلَّ جلالُه، عليه، وتَمامِ تمكينِه من إحسانِه إليه، ثمّ كُنْ مُهنّئاً لنفسِك ولمَن يعزُّ عليكَ وللدّنيا وأهلِها، ولكلِّ مسعودٍ بإمامتِه بوجودِه عليه السّلام، وسعودِه وهدايتِه وفوائدِ دولتِه.

وإنْ كان مَن يعتقدُ وجوبَ طاعتِه ممنوعاً من التّصرُّفِ في مقتَضى رياستِه، فَلْيَكُن عليكَ أثرُ المساواة في الغضبِ مع الله، جلَّ جلالُه، مولاكَ ومَولاه، والغضبِ لأجلِه، والتّأسُّفِ على ما فاتَ من فَضلِه.

فقد رَوينا بإسنادِنا إلى أبي جعفر بن بَابَوَيه من كتاب (مَن لا يَحضرُه الفقيه)، وغيره، بإسنادِه إلى حنان بن سَدير، عن عبد الله بن دينار، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السّلام، أنّه قال: **(يَا عَبْدَ اللهِ، مَا مِنْ عِيْدٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ، أَضْحَى وَلَا فِطْرٍ، إِلّا وَهُوَ يَتَجَدَّدُ لِآلِ مُحَمَّدٍ فِيهِ حُزْنٌ)**، قالَ: قلتُ: ولِمَ؟ قالَ: **لِأَنَّهُم يَرَوْنَ حَقَّهُمْ فِي يَدِ غَيْرِهِم)**.

وأقول: لو أنّكَ استَحْضَرتَ كيفَ كانت تكونُ أعلامُ الإسلامِ بالعدلِ منشورةً، وأحكامُ الأنامِ بالفضلِ مشهورةً، والأموالُ في اللهِ، جلّ جلالُه، إلى سائرِ عبادِه مبذولةً، والآمالُ ضاحكةً مُستَبشِرةً مقبولةً، والأمنُ شاملٌ للقريبِ والبعيد، والنّصرُ كاملٌ للضّعيفِ والذّليلِ والوحيد، والدّنيا قد أشرَقتْ بشموسِ سُعودِها، وانبَسَطتْ يدُ الإقبالِ في أغوارِها ونجودِها، وظهرَ من حُكمِ اللهِ، جلَّ جلالُه الباهرُ وسلطانُه القاهر، ما يُهَيِّجُ العقولَ والقلوبَ سروراً، ويملأُ الآفاقَ ظهورُها نوراً... لَكُنْتَ، واللهِ، يا أخي قد تنغّصتَ في عيدِكَ الذي أنتَ مسرورٌ بإقبالِه، وعرفتَ ما فاتَك من كَرَمِ اللهِ، جلّ جلالُه، وإفضالِه، وكانَ البكاءُ والتّلهُّفُ والتّأسُّفُ أغلبَ عليكَ وأليقَ بك، وأبلغَ في الوفاء لمَن يعزُّ عليكَ.

وقد رفعتُ لكَ الآن، ولم أشرَحْ مَا كانَ يُمكِنُ فيه إطلاقُ اللّسان، وهذا الذي ذكَرنَاه عَلى سبيلِ التّنبيهِ والإشارة، لأنّ استيفاءَ شَرحِ ما نريدُه، يضيقُ عنه مبسوطُ العبارة.

واعلَم أنّ الصّفاءَ والوفاءَ لأصحابِ الحقوقِ عندَ التّفريقِ والبعاد، أحسنُ من الصّفاءِ والوفاءِ معَ الحضورِ واجتماعِ الأجساد، فَلْيَكُن الصّفاءُ والوفاءُ شعارَ قلبِك لمَولاك وربِّك القادرِ عَلى تفريجِ كَرْبِك».

(السّيّد ابن طاوس، إقبال الأعمال: ج ١، ص ٤٧٢ – ٤٧٥)

من مُستَحبّات ليلةِ العيد ويومِه

* والسُّنّةُ أنْ يَطعَمَ [يَأْكُلَ] الرَّجُلُ في الأضحى بعدَ الصّلاة، وفي الفِطر قبل الصّلاة، (وألّا يُضَحِّيَ) حتّى ينصرفَ الإمام.
* ومن السُّنّة التّكبيرُ لَيْلَةَ الفطر، ويومَ الفطر في عشر صلوات.
* والتّكبيرُ في الأضحى، من صلاةِ الظّهر يومَ النّحر في الأمصار، إلى صلاةِ الفجر من بعد الغَد، عشرَ صلوات، لأنّ أهلَ مِنى إذا نَفروا، وجبَ على أهل الأمصار أن يَقطعوا التّكبير.
* والتّكبير: **اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ، اللهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانَا، وَالحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَبْلَانَا، وَاللهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا رَزَقَنَا مِنْ بَهِيْمَةِ الأَنْعَامِ.**
* وإذا كان عيدُ الفِطر فلا تَقُل فيه: وَارْزُقْنَا مِن بَهِيْمَةِ الأَنْعَام.
* والأضحى في الأمصار، يومٌ واحدٌ بعدَ يومِ النّحر.
* ومن السُّنّة أن يجتمعَ النّاسُ في الأمصارِ عشيّةَ عَرَفة بغير إمام، يدعُون الله.

(الشّيخ الصّدوق، المُقنع: ص١٤٩)

قنوتُ الإمام الحَسَن المجتَبى عليه السلام

«.. حَتَّى انْفَلَّ حَدِّي، وَبَقِيتُ وَحْدِي»

رواية السّيّد ابن طاوس قدس سره

*** جمَع السّيّد ابن طاوس قدس سره في (مُهَج الدّعوات) جميعَ القنوتات المرويّة عن الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ونقل عن كتاب (عمل رجب وشعبان وشهر رمضان)، تأليف أحمد بن محمّد بن عبد الله بن عبّاس، إسنادَها إلى ثالث سفراء الغَيبة الصّغرى، أبي القاسم الحسين بن روح، قال إنّها كانت مسطورةً في كتابٍ مختوم، ورثَه عن ثاني السّفراء، أبي جعفر محمّد بن عثمان رضوان الله عليهما.**

*** في أجواء ولادة السِّبط الأكبر، الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، تقدّم «شعائر» قنوتَين وردا في هذا الكتاب، المعبَّر عنه في الخبر بـ «المَدْرَج»، كان يدعو بهما الإمام الحسن عليه السلام، في قنوته.**

.. فَاتَّبَعْتُ طَرِيقَ مَنْ تَقَدَّمَنِي فِي كَفِّ العَادِيَة

يَا مَنْ بِسُلْطَانِهِ يَنْتَصِرُ المَظْلُومُ، وَبِعَوْنِهِ يَعْتَصِمُ المَكْلُومُ، سَبَقَتْ مَشِيَّتُكَ وَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِمَا تُمْضِيهِ خَبِيرٌ.

يَا حَاضِرَ كُلِّ غَيْبٍ، وَعَالِمَ كُلِّ سِرٍّ، وَمَلْجَأَ كُلِّ مُضْطَرٍّ، ضَلَّتْ فِيكَ الفُهُومُ وَتَقَطَّعَتْ دُونَكَ العُلُومُ، أَنْتَ اَللهُ الحَيُّ القَيُّومُ الدَّائِمُ الدَّيْمُومُ، قَدْ تَرَى مَا أَنْتَ بِهِ عَلِيمٌ وفِيهِ حَكِيمٌ وَعَنْهُ حَلِيمٌ، وَأَنْتَ بِالتَّنَاصُرِ عَلَى كَشْفِهِ وَالعَوْنِ عَلَى كَفِّهِ غَيْرُ ضَائِقٍ، وَإِلَيْكَ مَرْجِعُ كُلِّ أَمْرٍ كَمَا عَنْ مَشِيَّتِكَ مَصْدَرُهُ، وَقَدْ أَبَنْتَ عَنْ عُقُودِ كُلِّ قَوْمٍ وَأَخْفَيْتَ سَرَائِرَ آخَرِينَ، وأَمْضَيْتَ مَا قَضَيْتَ، وَأَخَّرْتَ مَا لاَ فَوْتَ عَلَيْكَ فِيهِ، وَحَمَّلْتَ العُقُولَ مَا تَحَمَّلَتْ فِي غَيْبِكَ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَإِنَّكَ أَنْتَ اَلسَّمِيعُ العَلِيمُ الأَحَدُ البَصِيرُ، وَأَنْتَ اَللهُ المُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ اَلتَّوَكُّلُ، وَأَنْتَ وَلِيُّ مَنْ تَوَلَّيْتَ.

لَكَ الأَمْرُ كُلُّهُ تَشْهَدُ الانْفِعَالَ، وَتَعْلَمُ الاخْتِلاَلَ، وَتَرَى تَخَاذُلَ أَهْلِ الحَبَالِ [الفَسَادِ]، وَجُنُوحَهُمْ إِلَى مَا جَنَحُوا إِلَيْهِ مِنْ عَاجِلٍ فَانٍ وَحُطَامٍ عُقْبَاهُ حَمِيمٌ آنٍ، وَقُعُودَ مَنْ قَعَدَ وَارْتِدَادَ مَنِ ارْتَدَّ، وَخُلُوِّي مِنَ النُّصَّارِ وَانْفِرَادِي عَنِ الظُّهَّارِ، وَبِكَ أَعْتَصِمُ وَبِحَبْلِكَ أَسْتَمْسِكُ وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ.

أَللَّهُمَّ فَقَدْ تَعْلَمُ أَنِّي مَا ذَخَرْتُ جُهْدِي وَلاَ مَنَعْتُ وَجْدِي حَتَّى انْفَلَّ حَدِّي وَبَقِيتُ وَحْدِي، فَاتَّبَعْتُ طَرِيقَ مَنْ تَقَدَّمَنِي فِي كَفِّ العَادِيَةِ، وَتَسْكِينِ الطَّاغِيَةِ عَنْ دِمَاءِ أَهْلِ المُشَايَعَةِ، وَحَرَسْتُ مَا حَرَسَهُ أَوْلِيَائِي مِنْ أَمْرِ آخِرَتِي وَدُنْيَايَ؛ فَكُنْتُ كَكَاظِمِهِمْ أَكْظِمُ، وَبِنِظَامِهِمْ أَنْتَظِمُ، وَلِطَرِيقَتِهِمْ أَتَسَنَّمُ، وَبِمِيسَمِهِمْ أَتَّسِمُ، حَتَّى يَأْتِيَ نَصْرُكَ، وَأَنْتَ نَاصِرُ الحَقِّ وَعَوْنُهُ، وَإِنْ بَعُدَ المَدَى عَنِ المُرْتَادِ، وَنَأَى الوَقْتُ عَنْ إِفْنَاءِ الأَضْدَادِ.

أَللَّهُمَّ ".." وَامْزُجْهُمْ (وَأَخْرِجُهُم) مَعَ النُّصَّابِ فِي سَرْمَدِ العَذَابِ، وَأَعْمِ عَنِ الرُّشْدِ أَبْصَارَهُمْ، وَسَكِّعْهُمْ فِي غَمَرَاتِ لَذَّاتِهِمْ، حَتَّى تَأْخُذَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ غَافِلُونَ، وَسُحْرَةً وَهُمْ نَائِمُونَ، بِالحَقِّ اَلَّذِي تُظْهِرُهُ وَاليَدِ اَلَّتِي تَبْطِشُ بِهَا، وَالعِلْمِ الَّذِي تُبْدِيهِ، إِنَّكَ كَرِيمٌ عَلِيمٌ.

.. صِلَةَ مَنْ صَنَعْتَهُ لِنَفْسِكَ

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ الرَّبُّ الرَّؤُوفُ، المَلِكُ العَطُوفُ، المُتَحَنِّنُ المَأْلُوفُ، وَأَنْتَ غِيَاثُ الحَيْرَانِ المَلْهُوفِ، وَمُرْشِدُ الضَّالِّ المَكْفُوفِ، تَشْهَدُ خَوَاطِرَ أَسْرَارِ المُسِرِّينَ كَمُشَاهَدَتِكَ أَقْوَالَ النَّاطِقِينَ، أَسْأَلُكَ بِمُغَيَّبَاتِ عِلْمِكَ فِي بَوَاطِنِ سَرَائِرِ المُسِرِّينَ إِلَيْكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلاَةً يَسْبِقُ (نَسْبِقُ) بِهَا مَنِ اجْتَهَدَ مِنَ المُتَقَدِّمِينَ، وَيَتَجَاوَزُ (نَتَجَاوَزُ) فِيهَا مَنْ يَجْتَهِدُ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ، وَأَنْ تَصِلَ اَلَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ صِلَةَ مَنْ صَنَعْتَهُ لِنَفْسِكَ وَاصْطَنَعْتَهُ لِغَيْبِكَ (لِعَيْنِكَ)، فَلَمْ تَتَخَطَّفْهُ خَاطِفَاتُ الظُّنَنِ وَلاَ وَارِدَاتُ الفِتَنِ، حَتَّى نَكُونَ لَكَ فِي الدُّنْيَا مُطِيعِينَ، وَفِي الآخِرَةِ فِي جِوَارِكَ خَالِدِينَ.

«أللّهُمّ إنّي أُحِبُّهُ، فَأَحِبَّهُ وأَحِبَّ مَن يُحِبُّه»

من سيرة الإمام الحسن المُجتبى عليه السلام

الشّيخ جعفر السّبحانيّ

*** في بداية الجزء الأوّل من (موسوعة طبقات الفقهاء)، تحقيق وإشراف العلّامة الشيخ جعفر السّبحانيّ، فصلٌ موجز في سيرة الإمام الحسن المجتبى، عليه السلام، صيغ استناداً إلى الأخبار الواردة في اثنين وأربعين مصدراً من المُصنّفات التّاريخيّة والرّوائيّة، ويتضمّن إشارات مُهمّة إلى عناوين أساسيّة من حياته المباركة، صلوات الله عليه.**

هذا المقال مختصرٌ من الفصل المذكور، تقدّمه «شعائر» في أجواء ذكرى ولادة مولانا السّبط الأكبر، عليه السلام.

الإمام الحسنُ بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم، أبو محمّد القُرَشِيّ الهَاشِميّ، المَدَنيّ، ثاني أئمّة أهل البيت الطّاهر، سبطُ الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وريحانتُه، وسيّدُ شَبابِ أهلِ الجنّة.

وُلد بالمدينة ليلة النّصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وجِيءَ به إلى النّبيّ، صلى الله عليه وآله، فأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وعقّ عنه بكبش، وسمّاه حسناً، وكنّاه أبا محمّد. وكان شبيهَ جدّه صلى الله عليه وآله.

خصّه النّبيّ صلى الله عليه وآله وأخاه الحسين بحبٍّ وحنان غامر، ورُوِيَت في حقّه أحاديث كثيرة، منها: قال صلى الله عليه وآله للحَسن: «**اللّهُمَّ إنّي أُحِبُّهُ، فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ**».

روى الإمام الحسن عليه السلام عن: جدِّه المُصطفى صلى الله عليه وآله، وعن أبيه، وأُمّه عليهما السّلام.

روى عنه: ابنه الحسن بن الحسن، وسويد بن غَفَلة، وأبو الحوراء السّعديّ، والشَّعبيّ، وأصبغ بن نباتة، والمُسيّب بن نَجَبة، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ، ومحمّد بن سيرين، وجماعة.

وكان يجلس في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله يحدّث فيه، ويجتمع النّاس حوله، وكان إذا تكلّم أخذ بمجامع قلوب سامعيه، وودّوا أن لا يسكت، وكان معاوية يقول لمن يريد أن يخاصم الحسن عليه السلام: «لا تفعل، فإنّهم قومٌ أُلهموا الكلام».

وقد نُقلت عنه خطب وكلمات وحِكم ووصايا ورسائل، وله احتجاجاتٌ ومناظراتٌ تدلّ على بُعد نظره وثاقبِ فكره، وعُمق وَعيه للأمور والقضايا.

وكان مُعتَمداً عند أبيه عليه السّلام، حائزاً على محبّته وثقته، متفانياً في سبيل قضيّته، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يُحيل إليه بعض المسائل التي تَرِدُ عليه، ويبتدره هو بالأسئلة أحياناً، ليُظهرَ فضله وعلمَه وعلوَّ مقامه، وكان يُرسله في المهامّ الجليلة، فيُنجزها على أحسن وجه، فقد بعثَه مراراً إلى عثمان بن عفّان لمّا اشتكى النّاس إلى عليّ عليه السلام أمرَه، وبعثَه إلى الكوفة، وبعثَ معه عمّار بن ياسر، فعزل أبا موسى الأشعريّ الذي كان يثبّط الناس عن أمير المؤمنين في قتال أصحاب الجمل، واستنفر النّاس للجهاد، فنفروا، وجاء إلى أبيه بعشرة آلاف مقاتل.

وكان الإمام الحسن عليه السلام من أوسع الناس صدراً وأَسجَحِهم خُلُقاً [السّجَح: اللِّينُ والسّهولة]، زاهداً، عابداً، عظيمَ الخشوع، وكان أحد الأجواد المشهورين، حجّ خمساً وعشرين حجّة ماشياً، والنجائب تُقاد معه، وخرج من ماله مرّتين، وقاسم الله تعالى مالَه ثلاث مرّات، وكان إذا توضّأ ارتعدت فرائصُه، واصفرّ لونُه.

وكان شجاعاً، مقداماً، خاض مع أبيه حروب الجمل وصِفّين والنّهروان، واقتحم بنفسه الأخطار، حتّى قال أمير المؤمنين عليه السلام وقد رآه يقتحمُ إلى الحرب في بعض أيّام صفّين: أَملِكوا عنّي هذا الغلام لا يهدّني، فإنّي أنفسُ بهذَين [يعني الحسن والحسين عليهما السلام] على الموت، لئلّا ينقطعَ نسلُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله.

ولمّا استُشهد الإمام عليّ عليه السلام في شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، صعد الإمام الحسن عليه السلام المنبر، وخطب في النّاس، وتحدّث عن فضائل أبيه، ثمّ قام ابن عبّاس بين يدَيه، فقال: معاشرَ النّاس، هذا ابنُ نبيّكم، ووصيُّ إمامكم، فبايعوه، فاستجابَ الناس، وبادروا إلى البيعة له بالخلافة، ثمّ نزل من المنبر، فرتّبَ العُمّال وأمّرَ الأُمراء، وزاد المقاتلةَ مائةً مائة، ثمّ كتب إلى معاوية بالشّام يدعوه إلى الدّخول في البيعة، وتَرْكِ البَغي والشّقاق، من أجل صلاح المسلمين، وحَقْنِ دمائهم، فعاندَ معاويةُ ولم يُجِب إلى ذلك، بل أصرّ على شقّ عصا المسلمين، وقادَ جيشاً عظيماً، وقصدَ العراق، فلمّا بلغ ذلك الإمامَ الحسن عليه السلام، حثّ النّاس على الجهاد، وسار بجيشه لملاقاة معاوية، ثمّ جرت أحداثٌ بعد ذلك، وآل الأمرُ بالامام الحسن عليه السلام إلى عقد الصّلح مع معاوية اضطراراً، وقد بسط العلماءُ والكتّابُ البحثَ في تحليل أسباب الصّلح وأهدافه، ونتائجه، فلتُراجَع في مظانّها.

كان أمير المؤمنين عليه السّلام يُحيل إليه بعضَ المسائل التي تَرِدُ عليه، ويبتدره هو بالأسئلة أحياناً، ليُظهرَ علمَه وعُلُوَّ مقامه.

ولكَون هذا الصّلح من القضايا المُهمّة في تاريخ المسلمين، وبسبب ما أُثير حوله من شبهات من بعض المُغرضين، يحسن بنا أن نُشير إلى ما ذكره ابن الأثير في (الكامل)، لعلّه يكشف جانباً من الواقع السَّيِّء الذي اضطُرّ الإمام عليه السّلام إلى قبول الصلح.

قال: «لمّا راسل معاوية الحسن في تسليم الأمر إليه، خطب فقال: **إنّا وَاللهِ ما يُثْنينا عَنْ أَهْلِ الشّامِ شَكٌّ وَلا نَدَمٌ، وَإِنَّما كُنّا نُقاتِلَ أَهْلَ الشّامِ بِالسَّلامَةِ وَالصَّبْرِ، فَشِيبَتِ السَّلامَةُ بِالعَداوَةِ وَالصَّبْرُ بِالجَزَعِ.. أَلا إِنَّ مُعاوِيَةَ دَعانا لِأَمْرٍ لَيْسَ فيهِ عِزٌّ وَلا نَصَفَةٌ، فَإِنْ أَرَدْتُمُ المَوْتَ رَدَدناهُ عَلَيْهِ وَحاكَمْناهُ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِظُبا السُّيوفِ، وَإِنْ أَرَدْتُمُ الحَياةَ قَبِلْناهُ، وَأَخَذْنا لَكُمُ الرِّضى**، فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية...».

أقول: ومع هذه الرّوحيّة المهزومة، والرّغبة عن الجهاد، والإخلاد إلى الدّنيا، كيف يتأتّى للقائد أن يقتحم بهم الميادين، ويخوض غمرات الجهاد.

ولمّا تمّ الصلح أقام الحسن عليه السلام بالكوفة أيّاماً، ثمّ خرج إلى المدينة، فأقام بها إلى أن تُوفّي، وكانت مدّة خلافته الظّاهريّة ستّة أشهر وأيّاماً.

كان الإمام الحسن عليه السّلام إذا تكلّم، أخذَ بمجامع القلوب، ووَدَّ النّاسُ ألّا يسكت.

وممّا أُثر عن الإمام عليه السّلام من المواعظ والحكم: قال وقد دعا بَنيه وبني أخيه: «**يا بَنِيّ وبَني أَخي، إِنَّكم صُغارُ قَوْمٍ، وَيوشَكُ أَنْ تَكونوا كِبارَ آخَرينَ، فَتَعَلَّمُوا العِلْمَ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ أَنْ يَرْوِيَهُ أَوْ يَحْفَظَهُ، فَلْيَكْتُبْهُ، وَيَجْعَلْهُ في بَيْتِهِ**».

وقال: «**مَنِ اتَّكَلَ عَلى حُسْنِ اخْتِيارِ اللهِ لَهُ، لَمْ يَتَمَنَّ أَنَّهُ في غَيْرِ الحالَةِ الّتي اخْتارَها اللهُ تَعالى لَهُ**».

تُوفّي عليه السّلام مسموماً سنة خمسين، وقيل: تسع وأربعين، وقيل غير ذلك، ودُفن بالبقيع.

قال ثعلبة بن أبي مالك: شَهِدنا حسنَ بن عليّ يومَ مات ودفنّاه بالبقيع، فلقد رأيتُ البقيعَ لو طُرحت إبرةٌ ما وقعت إلّا على إنسان.

ورُوي أنّ معاوية لمّا أرادَ البيعة لابنه يزيد، لم يكُن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن عليّ، فدسّ إليه سمّاً فمات منه. وكان الذي تولّى ذلك من الحسن عليه السلام امرأتُه جعدة بنت الأشعث بن قيس.

أُعْطِيَ ما لا يَعْلَمُهُ إلّا اللّه

صلوات ليالي شهر رمضان

رواية الشّهيد الأوّل قدس سره

ثبتٌ بصلوات ليالي الشّهر المبارك، كما وردت في كتاب (الأربعون حديثاً) للشّهيد الأوّل رحمه الله، تُوردها «شعائر» لما لها من عظيم الثّواب، الّذي نقلنا بعضه مختصراً.

يشار إلى أنّ هذه الصّلوات ثنائيّة، أي بتشهّدٍ وتسليم عقب كلّ ركعتَين، ويُكتفى بقراءة سورة (الفاتحة)، في كلٍّ منها، مرّة واحدة.

اللّيلة	عدد الرّكعات	القراءات	بعض الثّواب
الأولى	٤	(الفاتحة) و(التّوحيد) ١٥ مرّة	كانَ يَوْمَ القيامَةِ مِنَ الفائِزينَ
الثّانية	٤	(الفاتحة) و(القدر) ٢٠ مرّة	غُفِرَ لَهُ وَ وُسِّعَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ
الثّالثة	١٠	(الفاتحة) و(التّوحيد) ٥٠ مرّة	نُوديَ في القِيامَةِ بِأَنَّهُ عَتيقُ اللهِ مِنَ النّارِ
الرّابعة	٨	(الفاتحة) و(القدر) ٢٠ مرّة	رُفِعَ عَمَلُهُ بِعَمَلِ سَبْعَةِ أَنْبياءَ
الخامسة	٢	(الفاتحة) و(التّوحيد) ٥٠ مرّة فإذا سلّم صلّى على النّبيّ وآله ١٠٠ مرّة	يُزاحِمُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلى بابِ الجَنَّةِ
السّادسة	٤	(الفاتحة) و(المُلك)	فَكَأَنَّما صادَفَ لَيْلَةَ القَدْرِ
السّابعة	٤	(الفاتحة) و(القدر) ١٣ مرّة	بَنى اللهُ تَعالى لَهُ في جَنَّةِ عَدْنٍ قَصْراً
الثّامنة	٢	(الفاتحة) و(التّوحيد) ١٠ مرّات فإذا سلّم سبّح الله ١٠٠٠ (ألف) مرّة	فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ
التّاسعة	٦	بين العشائين (الفاتحة) و(آية الكرسيّ) ٧ مرّات، ويصلّي على النّبيّ وآله ٥٠ مرّة	صَعَدَ عَمَلُهُ كَعَمَلِ الصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ
العاشرة	٢٠	(الفاتحة) و(التّوحيد) ٣٠ مرة	وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَكانَ مِنَ الفائِزينَ
الحادية عشرة	٢	(الفاتحة) و(الكوثر) ٢٠ مرّة	لَمْ يُتْبَعْ بِذَنْبٍ ذَلِكَ اليَوْم
الثّانية عشرة	٨	(الفاتحة) و(القدر) ٣٠ مرّة	أُعْطِيَ ثَوابَ الشّاكِرينَ
الثّالثة عشرة	٤	(الفاتحة) و(التّوحيد) ٢٥ مرّة	مَرَّ عَلى الصِّراطِ كَالبَرْقِ الخاطِفِ
الرّابعة عشرة	٦	(الفاتحة) و(الزّلزلة) ٣٠ مرّة	هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ سَكَراتِ المَوْتِ
الخامسة عشرة	٤	الأوليين (الفاتحة) و(التّوحيد) ١٠٠ مرّة وفي الأخيرتين (التّوحيد) ٥٠ مرّة	أُعْطِيَ ما لا يَعْلَمُهُ إلّا الله
السّادسة عشرة	١٢	(الفاتحة) و(التّكاثر) ١٢ مرّة	خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ وَهُوَ رَيّانُ
السّابعة عشرة	٢	الأولى (الفاتحة) وما تيسّر، والثّانية (الفاتحة) و(التّوحيد) ١٠٠ مرّة ويهلّل بعد التّسليم ١٠٠ مرّة	أُعْطِيَ ثَوابَ أَلْفِ أَلْفِ حِجَّةٍ
الثّامنة عشرة	٤	(الفاتحة) و(الكوثر) ٢٥ مرّة	بَشَّرَهُ مَلَكُ المَوْتِ بِأَنَّ اللهَ راضٍ عَنْهُ
التّاسعة عشرة	٥٠	(الفاتحة) و(الزّلزلة) ٥٠ مرّة	كَمَنْ حَجَّ مائَةَ حِجَّةٍ
من اللّيلة ٢٠ إلى ٢٤	٨	يقرأ فيها ما يشاء	فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ السَّماواتِ
الخامسة والعشرون	٨	(الفاتحة) و(التّوحيد) ١٠ مرّات	كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَوابَ العابِدينَ
السّادسة والعشرون	٨	(الفاتحة) و(التّوحيد) ١٠٠ مرّة	فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ السَّماواتِ
السّابعة والعشرون	٤	(الفاتحة) و(المُلك) أو ٢٥ مرة (التوحيد)	غُفِرَ لَهُ وَلِوالِدَيْهِ
الثّامنة والعشرون	٦	(الفاتحة) مرة و(آية الكرسيّ) و(الكوثر) و(التّوحيد) عشراً عشراً، ويصلّي على النّبيّ وآله ١٠٠ مرّة بعد التّسليم	غُفِرَ لَهُ
التّاسعة والعشرون	٢	(الفاتحة) و(التّوحيد) ٢٠ مرّة	رُفِعَ كِتابُهُ في عِلِّيّينَ
الثلاثون	١٢	(الفاتحة) و(التّوحيد) ٢٠ مرّة ويصلّي على النّبيّ وآله ١٠٠ مرّة بعد التّسليم	خُتِمَ لَهُ بِالرَّحْمَةِ

في آداب شهر الله تعالى

«...إذا كانَ شهرُ رمضان، لم يتكلَّم فيه إلَّا بالدّعاء»

الحرّ العامليّ قدس سره

بعضٌ من آداب الشّهر الكريم، من تلاوةٍ، وذكرٍ، وعبادةٍ، أوردَها الشّيخ محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ (ت: ١١٠٤ للهجرة)، في الفصل السّادس من أحكام الصّوم في كتابه (هداية الأمّة إلى أحكام الأئمّة)، اخترنا منها، باختصار، العناوين الآتية:

١ - كثرةُ تلاوة القرآن الكريم فيه:

* قال الإمام الباقر عليه السلام: «لِكُلِّ شَيْءٍ رَبِيعٌ، ورَبِيعُ الْقُرْآنِ شَهْرُ رَمَضَانَ».

* ورُوي: أنّ من قرأ آيةً في شهر رمضان ، كان كمن ختم القرآن في غيره.

* وقيلَ له عليه السّلام: أقرأُ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ قال: لا. قيل: ففي ليلتَين؟ قال: لا. قيل: ففي ثلاث؟ فقال: بَلَى.

٢ - الدّعاء عند رؤية الهلال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أهلّ هلالُ شهر رمضان، استقبل القبلة، ورفع يديه فقال: «**أللَّهمّ أَهِلَّه عَلَينا بِالأَمنِ، والإيمان، والسّلامةِ، والإسلام، والعافيةِ المجلَّلةِ، والرّزقِ الواسعِ، ودَفْعِ الأسقامِ، اللَّهمّ ارزُقنا صيامَهُ، وقيامَهُ، وتلاوةَ القرآنِ فيه، أللَّهمّ سلِّمه لنا، وتسلَّمه منّا وسلِّمنا فيه**» .

عن الإمام المهديّ عجل الله فرجه:

«العَمَلُ في شَهْرِ رَمَضَانَ في لَيالِيه، والوَدَاعُ يَقَعُ في آخِرِ لَيلَةٍ مِنه، فَإنْ خَافَ أنْ يَنقُصَ الشَّهرُ، جَعَلَهُ في لَيلَتَين».

٣- كثرة الدّعاء والاستغفار:

* قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «**عَلَيْكُمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِكَثْرَةِ الاسْتِغْفَارِ والدُّعَاءِ، فَأَمَّا الدُّعَاءُ فَيُدْفَعُ بِهِ عَنْكُمُ الْبَلَاءُ، وأَمَّا الِاسْتِغْفَارُ فَتُمْحَى به ذُنُوبُكُمْ**».

* وكان عليّ بن الحسين عليه السلام: «**إذا كانَ شهرُ رمضانَ لم يتكلَّم فيه إلَّا بالدّعاء، والتّسبيح، والاستغفار، والتّكبير**».

٤ - أنواعُ الذّكر:

قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**رمضان شهرُ الله، استكثِروا فيه من التّهليل، والتّكبير، والتّحميد، والتّسبيح، وهو ربيعُ الفقراء**» .

٥ - في ليلة القدر:

* قال الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَن قرأَ سورةَ (العنكبوت) و(الرّوم) في ليلةِ ثلاث وعشرين من شَهر رمضان، فهُو واللهِ من أهلِ الجنّة، لا أَستثني فيه أبداً ولا أخافُ أن يكتبَ اللهُ عَلَيَّ في يميني إثماً، وانّ لهاتَين السّورتين من الله مكاناً**».

٦ - دعاء الوداع في آخر ليلة منه أو في آخر جمعة منه، فإنْ خاف أن ينقص الشّهر، جعلَه في ليلتَين:

* كتب رجلٌ إلى الإمام المهديّ عليه السلام، يسأله عن وداع شهر رمضان فقد اختُلِف فيه، فقيل: يُقرَأ في آخرِ ليلةٍ منه، وقيل: في آخرِ يومٍ، فوقّعَ عليه السّلام: «**العملُ في شهرِ رمضان في لياليه، والوداعُ يقعُ في آخِرِ ليلةٍ منه، فإنْ خافَ أنْ ينقصَ الشّهر، جعلَه في ليلتَين**».

* ورُوي: [أنّه يقال] في آخر جمعةٍ منه: «**أللَّهمّ لا تَجعله آخرَ العهدِ مِن صيامِنا إيّاه، فإنْ جعلتَهُ فاجعَلْني مرحوماً ولا تَجعلني محروماً، فإنّه مَن قال ذلك، ظَفَر بإحدى الحُسْنَيَين، إمّا ببلوغِ شهر رمضان مِن قابل، وإمّا بغفرانِ الله ورحمتِه**».

الشّهيد مُطَهَّري مُجيباً عن تساؤلات مركزيّة:

* بُعِث الأنبياء لكي نُؤمن بالإمداداتِ الغَيبيّة

* لا يُمكن للإنسان أن يتكاملَ من دون عبادة

إعداد: «أُسرة التّحرير»

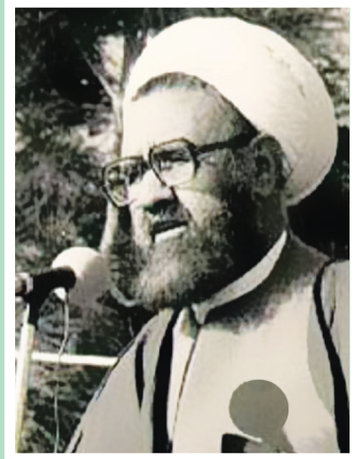

*** مجموعة من العناوين المفصليّة على المستويَين الفكري والأخلاقي، يتناولها آية الله الشّهيد الشّيخ مرتضى مطَهَّري رضوان الله عليه، بالبحث والتّحليل في مطاوي كُتُبه ومؤلّفاته.**

*** الأسئلة الواردة في النّصّ هي أسئلة افتراضيّة، صِيغت استناداً إلى مجموعة من الأفكار والمفاهيم الواردة في مؤلّفات الشّهيد مطهّري، وهي مختارة من كتاب (١١٠ أسئلة من آثار آية الله الشّهيد مطهّري قدس سره)، من إصدارات «جمعيّة القرآن الكريم للتّوجيه والإرشاد» في لبنان.**

* كيف نُقيّم علاقة الدّين بالأركان الأساسيّة للمُجتمعات البشريّة؟

الرّكن الأساس في المُجتمعات البشريّة هو الأخلاق والقانون، فالمُجتمع بحاجة ماسّة إليهما، وقاعدتُهما الأساس هي الدّين. لا تصدّقوا مَن يقول إنّ الأخلاق من غير قاعدة دينيّة يُمكنها أن تُكَرَّس وتستحكم... فمَثل الأخلاق كمَثل النّقود المسكوكة، ليس لها اعتبارٌ من غير رصيد.

إنّ جميع المُقدّسات في المُجتمع البشريّ مثل: العدالة، والمساواة، والحريّة، وغيرها من الفضائل، إذا لم يكن الدّين مُحرّكها فلن تجدَ لِذَاتها حقيقةً، فالإنسانيّة مساوية في مفهومها للدِّين والإيمان، فإذا لم يكن دين وإيمان، لم تكن إنسانيّة.

(المدد الغيبي في حياة البشر: ص ٤٣ - ٤٥)

* كيف نُقيّم مكانةَ التّفكُّر في الأعمال والأخلاق الفرديّة والاجتماعيّة؟

لدينا ثلاثة أنواع من العبادة: العبادة الجَسديّة «كالصّلاة والصّوم»، والعبادة الماليّة بالإنفاق «كالزّكاة والخمس»، والعبادة الفكريّة «عبادة روحيّة صرفة»، وهذا النّوع من العبادة «التّفكّر» هو أفضل أنواع العبادة؛ لكن التّفكّر بماذا؟

يتحدّث الإسلام عن أنواع مختلفة من التّفكّر، وقد اهتمّت المتون الإسلاميّة بخصوصيّات هذه الأنواع، منها التّفكّر في عالم الخَلق لمعرفة الله عزّ وجلّ، وفي الواقع هو اكتشافُ العالَم من أجل معرفة ربّ العالمين عزّ وجلّ. وهناك نوعٌ ثانٍ من التّفكّر ذكرَه القرآنُ المجيد، هو التّفكّر في التّاريخ، ونوع ثالث يُعدّ عبادة، وهو تفكُّر الإنسان في ذاته وأحواله؛ أي تفكُّره في نفسه، بحيث يكون هو موضوع التّفكّر، لأن التّفكّر شرطٌ أساسيّ للإنسان ما دام مُسلّطاً على مصيرِه ومجتمعِه وحاكماً عليهما.

أمّا التّفكّر الأخلاقيّ فهو نظير «محاسبة النّفس»، بمعنى أن يُعطي الإنسان نفسه - في اللّيل والنّهار- فرصةً تُتيحُ له أن ينقطع عن كلّ شيء، ويميل إلى الاشتغال بنوعٍ من الإصلاح الباطنيّ، أي أن يعمِّر داخله ويُصلحَه، بأنْ يرجع إلى نفسِه ويغوص في أعماق ذاته فَيُفكّر في أحواله وأوضاعه، وفي القرارات التي اتّخذها ويتّخذها، والأعمال التي أنجزَها ويُنجزها، كذلك في تقييم الكُتب التي قرأها، ورفقاء المَعشر أيضاً. وبالتّالي تقييم كلّ أحواله وأوضاعه وأفعاله في الماضي والحاضر والتّفكّر حولها.

والمهمّ في أي عمل يُقدم عليه الإنسان أو يصمّم على فعله، أن يفكّر به أولاً، ثم يقرّر ثانياً، وهذا الأمر يشمل جميع الأمور والمسائل، حتّى الشّخصيّة منها.

التّفكّر بالنّسبة إلى الإنسان يجب أن يصبح عادةً، فهو بمنزلة النّور الذي يُضيءُ أمامَه، والعبادة من غير تفكّر يُمكن أن تكون لَغواً وعَبثاً.

(التّعليم والتّربية في الإسلام: ص ٣٧٩ و٣٨٦)

الشهيد مطهّري برفقة الإمام الخميني ﷺ عند عودته إلى إيران عشيّة انتصار الثّورة

*** ما هي منزلة العدالة الاجتماعيّة في النّظام الإسلاميّ؟**

لا يوجد مدرسة أو نهج في العالم يظهر اهتماماً، كالإسلام، بما يتعلّق بالعدالة الاجتماعيّة وعلاقتها بالرّوحيّة الإسلاميّة والامتزاج بينهما، فالإسلام ليس له نظيرٌ ولا عديلٌ في هذه المسألة، لأنّ العدالة الاجتماعيّة إذا فُقدت من المُجتمع، فسوف تتزلزل المعنويّات الرّوحيّة. ومنطق الإسلام هو تَوأَمة العدالة الاجتماعيّة مع المعنويّات الرّوحيّة في المُجتمع، وثورتُنا في المستقبل تحتاج إلى معنويّات روحيّة أوسع وأشمَل، إلى جانب العدالة الاجتماعيّة بالمقياس الإسلاميّ.

في المُجتمع الذي تنتفي فيه العدالة، سنجد آلاف المرضى النّفسيّين، لأنّ التَّرَف يُفضي إلى التّفَرعُن والغرور، والحرمان يولّد الأزماتِ النّفسيّة، وهي بدورها مقدّمةٌ للانفجار، وقد أشار أمير المؤمنين عليٌّ عليه السّلام إلى أنّ المجتمع الذي تعيش فيه مجموعة محرومة وأُخرى مُترَفَة لن يبقى على حاله..

(حول الثورة الإسلاميّة: ص ٦٠ فما بعد)

الخوف من العدالة الإلهيّة، خوفٌ من النّفس الأمّارة

*** كيف السّبيل إلى تَلازُم عمل الجوارح والرّوح عند أداء الشّعائر الدّينيّة؟**

> **القِيَم والفضائل بمعزلٍ من الدّين هي أوهام لا حقيقة لها.**

يجب أن نعترف أنّنا لا نعرف حقّاً طريق العبادة، بمعنى أنّنا غير قادرين على إدارة أنفسنا بشكل جيّد وصحيح من النّاحية العِباديّة. فالنّاس يعتقدون، غالباً، أنّ العبادة الجيّدة تكون بالإكثار منها وحسب، لكنّهم لا يعلمون أنّ العبادة في هكذا مواضع تفقد أثرَها في جذب الرّوح، ولا تمنحها آنذاك الغذاء المعنويّ الصّحيح. العبادة يجب أن تترافق مع النّشاط الرّوحيّ، وليس المقصود بالتّرافق أن يشعر الإنسان بالنّشاط أوّلاً حتّى يبدأ بالعبادة تالياً، فكثيرٌ من الأشخاص لا يشعرون بالنّشاط مُطلقاً. النّشاط يظهر تدريجيّاً مع العبادة والأُنس بذِكر الله تعالى، والمقصود أنّ طاقة الإنسان وَسِعة نفسه للعبادة محدودة.

التّعبد بشكل جيّد وصحيح، والتّمتّع بمواهب العبادة، إنّما يكون طبق القاعدة والحسابات الصّحيحة، ويرتبط بحُسن الإدارة للنّفس البشريّة، بمعنى إدارة الإنسان لِذَاتِه وإحساسِه وعواطفه وغرائزه، ثمّ في النّهاية إدارة قلبِه وفؤاده إدارة جيّدة وصحيحة؛ فالقلب والأحاسيس والعواطف والغرائز أكثر ما تحتاج إلى الإدارة والتّوجيه الصّحيحَين.

(المدد الغيبي في حياة البشر: ص ١٠٧ - ١٠٩)

*** هل يُمكن للإنسان في زماننا الحاضر أن تتهيّأ له الظّروف المناسبة فيشتغل بعبادة الله تعالى في جميع أوقاته دون انقطاع؟**

... يقول الفقهاء إنّ أي عمل يقوم به الإنسان رضًى لله وفي سبيلِه سبحانه وتعالى، يُصبح عبادة. فأيّ عملٍ جيّدٍ في نفسِه، وتترتّب عليه منفعة ومصلحة، إذا قام به الإنسان في سبيل الله عزّ وجلّ، فهو عبادة، لذلك يُمكن أن يكون الإنسان في حالة عبادة ليلاً ونهاراً، فَجميع حركاته وسكناته عبادة، لأنّ القاعدة هي وجهُ الله تعالى ورضاه.

إذاً، معنى أن يكون الإنسان دائماً في حالة عبادة هو هذا المعنى، لكن بشرط أن لا يجعلَنا هذا الأمر نستغني أو نغفل عن حاجتنا

لـ «**العبادة المَحضة**»، التي أصلُها التّوجّه إلى الله والاستغفار. فالعبادة بالمعنى الأوّل لا تُغني عن التّوجّه والاستغفار، فحتّى رسول الله ﷺ لم يعدّ نفسَه يوماً مُستغنياً عن العبادة.

(التّعليم والتّربية في الإسلام: ص ٣٤٧ - ٣٤٨)

الإنسانيّة مساوية في مفهومِها للدِّين والإيمان.

*** ما معنى الخوف من الله؟ ولماذا الخوف منه تعالى؟**

إنّ الذّات الإلهيّة ليست موجبةً للخوف والوحشة، أمّا القول بوجوب الخوف من الله سبحانه، فالمقصود منه الخوف من قانون العدل الإلهيّ.

العدالة بدورها ليست موجبةً للخوف والوحشة، والإنسان الذي يخاف من العدالة، إنّما يخاف من نفسه التي ارتكبت المعاصي والذّنوب في الماضي، أو يخاف نتيجة تَعَدِّيه على الغير، وتجاوز حدوده ومصادرة حقوق الآخرين. لهذا، فالمقصود من مسألة الخوف والرّجاء التي يجب على المؤمن أن يكون بينَهما، مُؤمّلاً من جهة وخائفاً من جهة أخرى، مُتفائلاً في ناحية وقَلِقاً من ناحيّة أخرى، هو أن يكون حذراً على الدّوام من طُغيان النّفس الأمّارة ورغباتها المتمرّدة، فلا يسمح بأن تفلت زمامُ الأمور من يد العقل والإيمان، ويكون معتمداً كليّاً على الذّات الإلهيّة، واثقاً بها، مؤمّلاً أنّ المدد الإلهيّ والعون الرّبانيّ سوف يُوافيانه دائماً.

(المقالات العشر: ص ١٠ - ١١)

المَدَد الغيبيّ، بصورة إلهامات وهدايات معنويّة

*** كيف يتجلّى «المدد الغيبيّ» في حياة الإنسان الفرديّة والاجتماعيّة بشكل عامّ؟**

المَددُ الغيبيّ يتجلّى، أحياناً، على شَكل تهيئة ظروف التّوفيق وشروط النّجاح، وأحياناً أخرى على صورة إلهامات، أو هداية، أو تنوير وتبصُّر، لكن يجب أن لا ننسى أنّ هكذا أنواع من الألطاف الإلهيّة الغَيبيّة لا تأتي مجّاناً أو جزافاً، كأنْ يجلس الإنسان في بيتِه واضعاً يداً على يد، مُنتظراً المَدد الغيبيّ، كلّا إنّ هكذا نوع من التّوقّعات خلاف ناموس الخلقة وطبيعتِها.

سأذكر آيتَين من القرآن الكريم، واحدة تتكلّم عن المَدد الغيبيّ الذي يهيّئ ظروف التّوفيق وشروط النّجاح، وواحدة أخرى حول المَدد الذي يأتي على شكل إلهامات وهدايات معنويّة، لنرى كيف أنّ القرآن الكريم يذكر الشّروط المطلوبة، وأنّ المَدد لا يحدث بصورة عَبثيّة، أو مجانيّة، أو جزافاً.

الشهيد مطهّري مع العلّامة الطّباطبائي رضوان الله عليهما

في النّوع الأوّل: قوله تعالى: ﴿...إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ محمّد:٧. إنّ نصر الله تعالى يأتي إثر الخدمة والعمل والجهاد في سبيل الخير العامّ، وفي سبيل الله عزّ وجلّ، على الخصوص؛ يعني يكون «**لله وفي الله**»، أي أنّ العمل والمجاهدة والجُهد شرطٌ من جهة، والشّرط الآخر هو الإخلاص وحُسن النّيّة.

في النّوع الثّاني: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ العنكبوت:٦٩. في هذه الآية شرطُ المُجاهدة والعمل «**في سبيلنا**»، وأيضاً شرطُ بَذل الطّاقة والجهد الجسديّ والجهد الرّوحيّ. في هذه الحال، تأتي في المقابل الهداية الباطنيّة والتّنوير الرّوحيّ الدّاخليّ من قِبَل الله تعالى، فيمدّ بها الإنسان.

إنّ الأنبياء، صلوات الله عليهم، جاؤوا حتّى نؤمن نحن بمثل هذه الإمدادات الغيبيّة، فإذا انعقد هكذا إيمان في قلوبنا، فنحن عمليّاً دخلنا مع الله سبحانه في تجارة ومعاملة: فمن جهة نشعر أنّنا نُحسن ونفعلُ الخيرات، ومن جهة ثانية يُجزينا اللهُ تعالى خيرَ الجزاء، ويحفظنا بحفظه، ويشملنا بعطفه وبألطافه؛ أمّا إذا فعلنا العكس، فهناك العقاب. (المدد الغيبي في حياة البشر: ص ٧٠ - ٧٢)

الإنسان بين التّكامل، والتّوازُن

*** طرحَ الإسلامُ موضوع «الإنسان الكامل»، لكن من المسلّم به استحالة الوصول إلى مقام «الإنسان الإلهيّ الكامل»، فلماذا طرح الإسلام قضيّةً بعيدةَ المنال، وما الهدف من ذلك؟**

لا يُمكن للإنسان أن يصبح إنساناً كاملاً من دون عبادة. هناك انحرافات تعترض سلوك الإنسان، فتُعيق كدحَه نحو الله تعالى، وكمالَه الإنسانيّ، كالانحرافات التي تُقابل القِيم وتُعارضُها، مثل: الظّلم في مقابل العدل، والاستعباد مقابل الحريّة، وإنكار الله تعالى مقابل العبادة ومعرفة الله، والسّفاهة والحماقة مقابل العقل والفهم والحكمة.

ولعلّ أكثر انحرافات البشر ليست من نوع «**انعدام القِيَم**» في مقابل «**القِيَم**»، لأنّ هذا النّوع يُهزم بسرعة. بل إنّ أكثرَ الانحرافات ناشئةٌ من عدم التّوازن والتّعادل، تماماً كالبحر الذي له مدّ وجزر. فأحيانا تنمو إحدى القِيَم الإنسانيّة وتكبر لكنّها تنمو بشكل سرطانيّ، بحيث تُلغي جميعَ القِيَم الأخرى. فالزّهد مثلاً، من القِيَم والمعايير الإنسانيّة السّامية؛ لكنّنا نرى، أحياناً، شخصاً ما أو حتّى مُجتمعاً ما، يذوب في الزّهد، بحيث يصبح كلّ شيء بالنّسبة إليه «زُهْداً»، تماماً كالشّخص الذي ينمو فيه عضوٌ واحدٌ ويكبر دون سائر الأعضاء.

النّشاط لأجل العبادة يظهر تدريجاً بعد البدء بها، وكذلك الأُنس بذكر الله تعالى.

إذاً، تكاملُ الإنسان يكون في التّعادل والتّوازن، فالإنسان الذي يَسعى إلى التّكامل عليه أن لا ينمّي موهبةً أو استعداداً واحداً من المؤهّلات التي يملكها، ثمّ يهمل الاستعدادات الأخرى، بل يضعُها جميعها في موضعٍ مُتعادل ومُتوازن، ويُنمّيها معاً، فالعلماء يقولون إنّ حقيقة العَدل ترجع إلى التّوازن والتّناغم.

يجب أن نتعلّم فلا نُخطىء في الميل إلى قيمة واحدة أو مَكرُمة واحدة، ونترك القِيَم والمكرمات الأخرى. والحقيقة أنّنا لا نستطيع أن نكون أبطالَ جميع القِيم، ولكن علينا، في حدود المستطاع، الأَخْذ بجميع القِيم وتنميتها بالتّعادل والتّوازن، فإذا لم تستطع أن تكونَ «**إنساناً كاملاً**» فلا أقلّ من أن تكون «**إنساناً مُتوازناً**»، وبذلك تكون في جميع الميادين على شاكلة المسلم الواقعيّ.

(الإنسان الكامل: ص ٤١، ٤٣، و٥٩)

مستقبلُ المجتمع البشريّ

*** نشهد في عصرنا الحاضر أمواجاً مُتلاطمة من الفساد والانحراف، فهل يُنتَظَرُ من الشّباب، في هكذا أجواء، التّوجّه إلى المسائل الرّوحيّة والمعنويّة والأخلاقيّة؟**

في المُجتمعات التي يظهر فيها الفساد أو يكثُر إلى حدٍّ بعيد، تكون أُسسُ التّكامل الرّوحيّ والأخلاقيّ عند الإنسان مهيّأةً أكثر؛ يجب أن نلتفت إلى أنّ التّكامل الرّوحيّ والأخلاقيّ للإنسان، إنّما يأتي حصيلةَ مقاومة التّيارات المخالفة، ففي البيئة التي تحتضنُ تيّاراتٍ فاسدةً كثيرة، تكثرُ فيها التّضحية، ويولَد فيها أفراد وشخصيّات يسعون نحو التّكامل الرّوحيّ والأخلاقيّ.

فإذا كانت حركةُ المُجتمع مبنيّة دائماً على السّير باتّجاه الصّلاح، يكون مَثله كمَثل نهرٍ يجري باتّجاهٍ مُعيّن، وعلى صفحةِ مائه يسبح إنسان وينجرف مع جريانِ مائه وبنفس السّرعة، وكأنّه ميّتٌ يطفو على الماء، والنّهر يأخذُه حيثما يسير. إنّ عمل الإنسان هذا

الذّاتُ الإلهيّة ليست موجبةً للخوف والوحشة، بل المعاصي التي نجترحُها.

ليس فيه احتراف أو فنّ أو مهارة، فالاحتراف والفنّ يظهران عندما يسبح الإنسان بخلاف جريان ماء النّهر. إذاً، الكمال هنا يظهر ويتجلّى أكثر.

(التّكامل الاجتماعي للإنسان: ص ٣٣ – ٣٤)

*** كيف سيكون مستقبل المُجتمع البشريّ؟**

إنّي أعتقد أنّ حركة الإنسانيّة والمُجتمعات البشريّة، بشكل عامّ، تسير أكثر فأكثر نحو الحريّة والاستقلال الفكريّ، وتنفكّ من قيود المحيط الطّبيعيّ والاجتماعيّ، وتتوجّه أكثر نحو التّعلّق بالإيمان والعقائد. أنا أتصوّر أنّ مستقبل البشريّة هو مستقبل المُجتمع التّوحيديّ بالمفهوم الفكريّ والاعتقاديّ، وكذلك بالمفهوم الاجتماعيّ. إنسانُ المستقبلِ هو إنسانُ العقيدة والإيمان، وليس إنسانَ البطن والفرج، فمستقبل البشريّة يكمن فقط في التّسليم للإيمان، وليس هناك من حلّ آخر. (حول الثّورة الإسلاميّة: ص ٢١)

اليَقينُ الثّقافيّ

«النَّصُّ المعصوم»، مَنجمُ الحقيقة

الشّيخ حسين كوراني

نصٌّ مقتطفٌ من كتاب (في المنهج: المعصوم والنّصّ) لسماحة الشّيخ حسين كوراني، تناول فيه مفهومَ «اليقين الثّقافيّ»: معناه، ومستلزماتُه، وما يترتّب عليه، وكان مهَّد له بالحديث عن «الاستقلال الثّقافيّ». والمقصود بعبارة «النّص المعصوم»، هو القرآن الكريم، وما ثبتَ من أحاديث النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وأهل البيت عليهم السّلام. «شعائر»

.. ليس الاستقلالُ الثّقافيّ متاحاً بيُسرٍ، فلا أقلَّ من اليَقين الثّقافيّ.

وهو إذ يَعني استبدال حالة «الاستهلاك الثّقافيّ» السّائدة، بالجَمع مرحليّاً بين الإنتاج، والاستهلاك بقدر الضّرورة، يعني بصورةٍ أدقّ، اليقين بالقدرة على التّوصّل إلى الاكتفاء الذاتيّ الثّقافيّ، فهو وحدَه الطّريق إلى حصر الاستهلاك بدائرة الضّرورة.

إنَّ نظرةً متأنّيةً في حركة الفكر والثّقافة العالميّين، تُثبِتُ التّجانسَ الهائلَ بين آليّة عمل «منظّمة التّجارة العالميّة» في البُعد الاقتصاديّ، وبين شِبهها في البُعد الثّقافيّ، بل تكشفُ أنَّ حركة الفكر والثّقافة لا تعدو كونها حركةَ إحدى دوائر منظّمة التّجارة.

تُطرح في سوق التّداول «الفكريّ»، «أطروحة» هي، مثلاً، «صراع الحضارات» أو «نهاية التّاريخ» أو «العولَمة»، فإذا بالمثقّفين في أربع رياح الأرض يندفعون بروح «الحداثة» العمياء للعزف بنفس الأوتار، والطَّرب على نفس الإيقاع.

أفَلا نَرْبَأ بالفكر عن هذه الببّغاويّة الرّاطنة، لنقارب ما ينبغي من المستجدّات الثّقافيّة بلغة التّوازن، لا انعدام الوزن؟

ولا تنحصر الدّعوة إلى اليقين الثّقافيّ بشعبٍ أو أمّةٍ، بل هي لكلّ النّاس، كما هو «النّصُّ المعصوم» لهم جميعاً.

مَن وَتَدَ في أرض الحقيقة قدمَه العلميّة، أمكنَه الخروجُ من دوّامة الاستهلاك السّلعيّ المسمّى فكراً وثقافة، ليفكّر بعقله بدلاً من «التّفكير» بغرائزه.

وحجرُ الزّاوية في ذلك والمنطلق، هو القرار الواعي بالموضوعيّة والواقعيّة والعقلانيّة، كما هي، بعيداً عن كلّ تهويمات «حضارة الغرائز»، وتمويهاتها، ومساحيقها، وألاعيبها، وأقنعتها التّنكريّة.

والقمّة المطلع الّتي يستقرّ في متنها أساسُ هذا البناء وحجرُ زاويته، هو النّصُّ المعصوم، مشكاةُ الحقيقة، ومصباحُ الهدى، والتّبيانُ لكلّ شيء.

> **ليست «الحداثة» معياراً صالحاً للتّمييز بين ما يصحّ عَرْضُه من «النّصّ المعصوم»، وما لا يصحّ.**

لا حداثة إلّا من خلال «النّصّ المعصوم»

ولَئِن كان مَن نأى بنفسه عن هذا النّصّ الفريد، مدعوّاً إلى الاقتراب ممّا هو له محبّ، وإن أَعرض عنه، فإنَّ مَن يعتبر نفسه مؤمناً به مدعوٌّ إلى الانسجام مع إيمانه أكثر، وترجمة مقتضيات هذا الإيمان إلى عمل.

وكلُّ عملٍ هباءٌ ما دام يَشي باهتزاز اليقين الثّقافيّ، فضلاً عن أن يوحي به أو يصرِّح.

لا يقينَ بالنّصّ المعصوم، ما دمنا نبحث عن الحداثة خارجَه.

ولا يقينَ به ما دمنا نسمح لكلّ دورةٍ زمنيّةٍ أن تُسقِطَ ركناً منه بادّعاء الظّرفيّة فيه والحداثة فينا، حتّى لا يبقى من الدِّين إلّا رسمُه، ومن الإسلام إلّا اسمُه.

ولا يقينَ ما دمنا نريدُ له أن ينسجمَ مع روح العصر، إلّا إذا قصدنا «حُسْنَ العَرض»، فنطالب على أساسه بأن نُحسن العرضَ باختيار تعبيرٍ آخر.

اليقين الثّقافيّ هو أن نصدرَ من رؤيةٍ فكريّةٍ ثابتةٍ مَرِنةٍ، تريدُ للعصر المقطعيّ المتحوّل كلّيّاً أن ينسجمَ مع ثقافتها، وتقدّم على ذلك الدّليل.

أمّا أن نبني قاعدتنا الفكريّة على هبوب رياح المتحوّل، بتوهُّم أنّ التّطوّر يستدعيه والواقعيّة تحتِّمه، فهو يعني أنّنا نتعاطى الفكر الموسميّ والثّقافة الاستهلاكيّة.

وها هو الفكر بكلّ تجلّياته المُدَّعى منها والحقيقيّ، فهل يشذّ شيءٌ من الفكرِ فيه عن لُحمة النّصّ المعصوم، أم أنّه يرجع إليه ويتّخذ موقعَه في مداره، بدءاً من المنهج وصولاً إلى أصغر تطبيقٍ عمليٍّ له، حتّى في الميدان التّجريبيّ.

مثل هذا اليقين المعزَّز بالشّواهد والأدلّة – والّتي قد يدّعيها مَن لا يملكها، فلا ادّعاء – هو الّذي تَمسُّ الحاجة إليه.

إنّ حاجة البشريّة الدّائمة والمتجدِّدة إلى مَن يأوي إلى ركنٍ فكريٍّ شديد، حاجة حياتيّة، تتفرّع عليها كلُّ حوائجها الأخرى، بما فيها العدالة الاجتماعيّة الّتي لا سبيلَ إليها بمعزلٍ عن الرّؤية الفكريّة السّليمة.

ولا يمكن أن يعرف تاريخُ البشريّة كالمعصوم الّذي يشكّل نصُّه وسيلةَ التّواصل معه، للوصول إلى كنوز الحقائق، الّتي استطاع الإحاطةَ بها، وحرصَ على أن يضعَها في متناول كلّ النّاس.

مع كلّ هذه الفرادة والعَظمة العلميّة نتعاطى في أكثر حالاتنا، وملء إهابنا التّعالي على النّصّ، لـ«نطلّ» عليه من موقع الحداثة، فنحكم على ما يصلح منه لمواكبة العصر وما لا يصلح!! ونظهّر منه ما قرّرنا السّماحَ له بالتّنفّس، ونَئِد في المهد ما لا يرضاه عقلُ الغرائز المشبوبة، المتحكّم بحركة الثّقافة العالميّة، ونُحيِّد منه ما هو بينَ بين.

متى نبلغ الرّشد في اليقين الثّقافيّ؟

يستدعي اليقين الثّقافيّ أن ندركَ أنّ كبار العلماء المختصّين في مختلف ميادين النّصّ المعصوم لم يتعاملوا معه إلّا كما يتعامل التّلميذ الصّغير مع مَن تخرّج كلُّ أساتذته هو على يدَي تلامذةِ تَلامذته.

وذلك أيضاً أبسط مقتضيات أنّه ﴿..مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ النّمل:٦.

وأبسط مقتضيات ﴿..وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء:٨٥.

إنّ مَن أُوتي قليلاً من العلم، عندما يقفُ على عَتَبة العلم كلّه، لا بدّ وأن يستشعر اليقين الثّقافيّ بهذا العلم، وسيَفتح له هذا اليقينُ الطّريقَ إلى كلّ سُبُلِ التّعلُّم المُتاحة.

أمّا أن يقتحم صدرَ مجلسِه ممتحناً متعالياً، ملوّحاً له بلعبة «إلكترونيّة» يرى فيها قمّةَ العلم وذروةَ التّطوّر وغايةَ الحداثة الفعليّة ومؤشّر الآتي منها، فإنّه لا يعدو كونَه جاهلاً لم ينفعه قليلُ العلم الّذي أُوتيه في اكتشاف الطّريق إلى التّنمية العلميّة.

هل النّصّ المعصوم أكبر منّا جميعاً ومن البشريّة كلّها وكلّ عصورها؟

وهل الوصول إلى الحقائق رَهْنُ الإصغاء إليه والتّتلمذ عليه إذا أمكن؟

وهل تتضاءل كلُّ حداثةٍ أمام خلوده؟

وهل الفرق بينه وبين كلّ نصٍّ كالفرق بين الخالق والمخلوق؟

وهل الشّرط الوحيد للتّعامل معه كذلك هو ثبوتُه وعدم قيام الدّليل القطعيّ على ظرفيّته؟

الإجابة بالإيجاب على ما تقدّم، هي الّتي تمكّن من بلوغ الرّشد في «اليقين الثّقافيّ».

ويبقى هذا البلوغ غضّاً طريّاً يتدرّج في مراتب الكمال والنّضج المعرفيّ والتّجربة، بتفاوتٍ شديدٍ جدّاً، كما تُحدّثنا تجاربُ تخشعُ في محرابها الأجيال...

> **لم يُفلِح مُقتَفو أثر الغرب إلّا في «تحديث الظّاهر»، والتّأسيس للمشروع الثّقافي المُعادي، فالجُهد منهم، والحصادُ له.**

ومن موقع «اليقين الثّقافيّ» يمكنُنا أن نرصدَ بجلاءٍ كلَّ المحاولات الهجينة في المنهج، وطريقة التّفكير، ومصبّ الاهتمام، وتسخير الثّقافة لخدمة البلاط، والارتزاق عموماً، والفرق بين ثقافة العقل و«ثقافة» الغريزة، وتسخير الثّقافة لخدمة الأنا بدلاً من أن تكون وسيلة تهذيبٍ لها، واختصار العلم في «شهادة» وتحويله إلى سِلعة، وكلّ مظاهر الاستلاب الثّقافيّ الّتي تتبدّى فيه عُقدة النّقص والدّونيّة أمام الرّطانة بالأجنبيّة، بدءاً من الفرد وصولاً إلى المؤسّسات الثّقافيّة والتّعليميّة الّتي تتخلّى عن كلّ شيء في مقابل المَكننة، وتحديث الظّاهر، وإتقان «النّخبويّة» الّتي تفصل الطّالب عن محيطِه، وتزرع بينهما الشّقاق، مؤسّسة للمشروع الثّقافيّ الآخر، وموفِّرةً عليه من خلال الوقوع في أَسْرِ منهجيّته أن يخطّط ويزرع، فالحصادُ، ببَركتِها، في متناوله.

أفضلُ الأعمال: الوَرَعُ عن مَحارِم اللّٰه

شرحُ خطبةِ رسولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله في اسْتقبالِ شهرِ رمضان

الشّيخ حبيب الكاظميّ

*** خلاصةُ مُحاضرةٍ لسماحة الشّيخ حبيب الكاظميّ في شرحِ فَقراتٍ من خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في استقبالِ شهرِ رمضان المبارَك.**

*** هذه الخطبة مرويّة عن الإمام الرِّضا، عن آبائه، عن أميرِ المؤمنين، عن رسولِ الله صلوات الله عليهم أجمعين. وفي المَصادر أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ألْقاها في آخر جمعةٍ من شهر شعبان.**

* قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: «إنّ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآله خطبنا ذاتَ يومٍ فقال: أَيُّها النَّاسُ! إنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ..»:

استهلّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله خطبتَهُ بعبارةٍ مثيرةٍ للعواطف: بذكرِ إقبالِ الشّهر على الصّائمين؛ وكأنَّ شهر رمضان المبارك يَشتاقُ إلينا، ويَتحيَّنُ الفرصةَ للِّقاء بنا في هذه الأيّام المبارَكة!

إنّ شهرَ رمضان بمنزلةِ ضيفٍ عزيزٍ يأتي إلينا وبيدِه باقةٌ من الوَرد، وهذه الباقة مُتمثّلةٌ بالبركة، والرّحمة، والمغفرة؛ البركة: بمعنى النّماء والزّيادة. وشهرُ رمضان منذ بدايته يأتي بالمغفرة؛ فإذا دَخلَ، دخلَ بالمغفرة، ولله عزَّ وجلَّ عُتقاء من النّار في اللّيلة الأولى من شهر رمضان، ولهذا فالأولياء الصّالحون يقولون بأنَّ الخواصَّ لا يفكّرون في المغفرة، لأنّ المغفرة هديّة أوّل الشّهر، وإنّما جُلُّ تفكيرِهم في الرّضوان والقُرب من المَولى، لا غفران الذّنوب فحسب!

* «شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ»:

وهنا إشارةٌ لنكونَ وفقَ ما يُطابِقُ رضى الله عزَّ وجلَّ، فإذا أردنا أن نَبحث عن الأفضل وعن الأجمل وعن الأَحَبّ، فلا بدّ أن نعلم ماهيّتَه عند الله عزَّ وجلَّ؛ فهذا الشّهر، عنده تعالى، أفضلُ الشّهور، فالأفضليّة هي لِما عند الله عزَّ وجلَّ، وقد تُوافِق الأفضليّةَ عند البشر، وقد لا تُوافِق.

* «وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ»:

لماذا ليالي شهر رمضان أفضل اللّيالي، وكذا أيّامُه وساعاتُه؟ لأنّها جميعاً مُنتسبةٌ إلى ما هو للهِ عزَّ وجلَّ؛ الشّهرُ أصبح لله، وإذا بكلّ جزءٍ وبكلّ خاصّيّةٍ من خاصّيّاته انقَلَبَت عن ماهيّتِها.

* «أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ»:

من المعلوم أنَّ هذه الأنفاس ما هي إلّا غازاتٌ سامّة، ولكنّها في شهر رمضان تتحوّل إلى تسبيح، أيْ إلى حَسناتٍ مُتمثّلةٍ بالتّسبيح، وهذا يُفسّر لنا آيةً من القرآنِ الكريم تَبعثُ الأملَ في نُفوسِ العاصِين، وهي قولُه تعالى: ﴿..فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ..﴾ الفرقان:٧٠. لقد احتارَ العلماءُ في تفسير هذه الآية، فكيف يُمكن تبديل السّيّئة إلى حَسَنة؟! وفي معرض الإجابة، شَبَّه البعضُ ذلكَ بالوردةِ الجميلة العطِرة: في أسفلِ أرضِها السّمادُ المُنتِن، ولكنّ اللهَ عزَّ وجلَّ بِقُدرتِه، حوَّل هذا السَّماد المُنتِن إلى هذه الرّائحة الفوّاحة في عالم الطّبيعة، والأمرُ كذلك في عالَمِ الأَنفُس.

> **تفكيرُ الخواصّ ينصبُّ في شهر رمضان على رضوان الله والقُرب منه سبحانه، لأنّ المغفرة عندَهم من عطايا أوّل الشّهر.**

* «وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ»:

في شهر رمضان المقاييس مُختلفة، فنُلاحظ أنَّه لم يُقيِّد النّومَ بساعاتٍ محدَّدةٍ، بل أطلقَ القولَ بأنَّ النّومَ فيه تسبيحٌ، ولم يُقيِّدْهُ بقَيد. نعم، المؤمنُ في شهر رمضان، بوجودِه كُلِّه، دَخلَ في حماية الله عزَّ وجلَّ وفي بركتِه.

* «وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ»:

لا يَخفى أنّ معرفةَ قبولِ الأعمال مِن أصعب الأمور، ولهذا وَرَد في الرّوايات: «**أَخْلِصِ العَمَلَ فَإِنَّ النّاقِدَ بَصيرٌ**»؛ ولكن في شهرِ رمضان تَرتَفعُ القيودُ، فهنالك تسهيلات كُبرى في عالَمِ الوُجودِ، وهنالك خصوصيّةٌ تتمثّل في الرِّفقِ بالعِبادِ في هذا الشّهر المبارَك.

> تنقلبُ خاصيّةُ أيّام شهر رمضان، ولياليه وساعاته، عن ماهيّتها، لانتسابها المباشر إلى المَولى تبارك وتعالى.

* «فَاسْأَلُوا اللهَ رَبَّكُمْ بِنِيّاتٍ صَادِقَةٍ، وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَكُمْ لِصِيَامِهِ، وَتِلاوَةِ كِتَابِهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ غُفْرَانَ اللهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ»:

يَدعونا رسولُ الله ﷺ لِأنْ نسألَ اللهَ تعالى التّوفيق لـ «**صيام هذا الشّهر، وتِلاوة كتابه**»، يُريد أن يُفهِمَنا أنّ هناك صياماً غير هذا الصّيام الظّاهريّ، فعلينا أنْ نسألَ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يُوفِّقنا لذلك الصِّيام؛ فهنالك صَوم العوامّ: «**وَهُوَ الكَفُّ عَنِ الطَّعامِ وَالشَّرابِ**»، وصومُ الخواصّ: «**وَهُوَ الكَفُّ عَنِ المَحارِمِ كُلِّها**»، وصَوم خَواصِّ الخَواصّ: «**وَهُوَ الإِعْراضُ عَمّا سِوى اللهِ تَعالى**»، وهذا الأخيرُ هو ثمرةٌ لِما كنّا ندعوه في شهر شعبان: «**إلهي، هَبْ لِي كَمالَ الانْقِطاعِ إِلَيْكَ!**»، فهذا الدّعاء إذا أُريدَ له أنْ يُستجاب، فمجالُه الأكمل هو في شهرِ رمضان المبارَك.

* «وَاذْكُرُوا بِجُوعِكُمْ وَعَطَشِكُمْ فِيهِ، جُوعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَطَشَهُ»:

إنّ النّبيّ ﷺ يُريد منّا أن ننتقل من ظاهِرِ الصّوم إلى باطِنِه؛ بأنْ نستحضرَ عالَمَ المَعاد، وأهوالَ يومِ القيامة وجوعَه وعَطشَه، وهذا بدوره يحثّ الصّائم لكي يعدَّ العدّة لتَجنُّبِ هذه الأهوال، وذلك بالعمل الدّائب لِما يُخفِّف عنه الحساب في ذلك اليوم العصيب.

إنّ للشّريعة ظاهراً وباطناً، وهنالك رموزٌ - دلالاتٌ خفيّة - وعلينا أن ننتقل من الجوعِ والعطشِ في الدّنيا، إلى الجوعِ والعطشِ في الآخرة. وهذه عيّنةٌ من لغة «الرّمزيّة» في العبادات الظّاهريّة.

* «وَتَصَدَّقُوا عَلَى فُقَرَائِكُمْ وَمَسَاكِينِكُمْ، وَوَقِّرُوا كِبَارَكُمْ، وَارْحَمُوا صِغَارَكُمْ، وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ»:

الشّريعة الخاتمة تَربطُ دائماً بين البُعدَيْن الفرديّ والاجتماعيّ للعبادة، فليس المطلوب أنْ نعيش حالة الرّهبانيّة والصّومعة، بل حالة العبوديّة الجامِعة، ومنها الاهتمام بأمورِ المُسلمين، سواء في طَعامِهم المعنويّ «إرشاداً وهدايةً»، أو طَعامِهم الماديّ «إفطاراً للصّائمين». فالبعض يعيش التّقوقع في المجتمع، من غير الالتفات إلى ذَوِي الحاجة من الفقراء والمساكين، ومن المعلوم أنّ العناية بهم مِن أعظم القُرُبات إليه تعالى.

* «وَارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلاتِكُمْ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَاتِ، يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِالرَّحْمَةِ إِلَى عِبَادِهِ، يُجِيبُهُمْ إِذَا نَاجَوْهُ، وَيُلَبِّيهِمْ إِذَا نَادَوْهُ، وَيُعْطِيهِمْ إِذَا سَأَلُوهُ، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْهُ»:

يُذكِّرنا النّبيُّ الأعظَم ﷺ بالمحطّة العباديّة الكُبرى في الحياة «**وهي الصّلاة**»، فالعبدُ يزدادُ سُمُوّاً وتَحليقاً في صلاتِه، ومن هنا ينبغي للصّائم أنْ يستغلَّ فرصةَ الصّلاة في شهر رمضان، فالصّلاةُ حديثٌ مع ربّ العالمين، وتقرُّبٌ إلى الله عزَّ وجلَّ، ولا سيّما في الأماكن والأزمنة المبارَكة؛ فثمرةُ المسجدِ الحرام هي الصّلاةُ الخاشِعة، وثمرةُ الرّوضةِ النّبويّة المبارَكة، وثمرةُ شهرِ رمضان هي أيضاً الصّلاةُ الخاشِعة.

فأوقاتُ الصّلاةِ أفضلُ السّاعات، حيث إنّها مواقيتُ تَنزُّل الرّحمة والألطافِ الإلهيّة، فكيفَ إذا كانَ في شهرِ رمضان؟ وكيف إذا كانَ في بيتِ اللهِ الحرام؟ وكيف إذا كان في جماعةٍ؟ وكيف إذا كانَ بخُشوعٍ وابتهالٍ؟ إنّ ذلك يَخرقُ الحُجُبَ السّبع!

* «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرْهُونَةٌ بِأَعْمَالِكُمْ، فَفُكُّوهَا بِاسْتِغْفَارِكُمْ، وَظُهُورَكُمْ ثَقِيلَةٌ مِنْ أَوْزَارِكُمْ، فَخَفِّفُوا عَنْهَا بِطُولِ سُجُودِكُمْ»:

سألَ رسولُ الله ﷺ أحدَ مواليه عمّا يطلبُه من أجرٍ لقاءَ خدمتِه النّبيّ صلّى الله عليه وآله، فطلب الرّجلُ أن يكون مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في درجتِه من الجنّة، فكان جوابُ النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «**أَفْعَلُ ذَلِكَ، فَأَعِنِّي بِطُولِ السُّجودِ**».

يبدو أنّ هنالك رمزاً، فالّذي يَسجدُ، بدايةً، قد لا يَكتشف الرّمز، ولكنّ المُدمنَ على السّجود الطّويل، سيَصل إلى درجةٍ من درجاتِ الارتباطِ بالمَبدأ. أشبهُ شيءٍ بإنسانٍ بيَده هاتفٌ نقّال، يذهبُ به من زاويةٍ إلى زاويةٍ، ويَخرجُ من المنزلِ مُسرعاً، لأنّ هنالِك مكالمة ضروريّة، ويُريد أنْ يذهب إلى المكان الّذي يَقوى فيه الإرسال، فكذلكَ الأمرُ في السُّجود؛ فإنَّ أفضلَ أنواع الإرسال وأشدّها قوّة، هو في حال السّجود، والأمرُ يحتاجُ من الإنسان إلى تجربةٍ كي يَتَذوّق ذلك.

من مظاهر الرّفق بالعباد في شهر الرّحمة، إطلاقُ القول في قبول الأعمال واستجابة الدّعاء.

* «أيُّها النّاس، مَنْ فَطَّرَ مِنْكُمْ صَائِماً مُؤْمِناً فِي هَذَا الشَّهْرِ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عِتْقُ رَقَبَة، وَمَغْفِرَةٌ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ»:

في شهرِ رمضان هناك دعوةٌ للتّواصُل الاجتماعيّ، ولا يَنبغي أنْ يَستغربَ الإنسانُ عِظَمَ الأجْر؛ فالّذي يَستغربُ هذه الأجور، فإنّهُ يَشكُّ في أحدِ أمرَيْن: إمّا في قدرتِه، أو في كَرَمِه تعالى. فما دمْتَ تَعتقد بإلهٍ قديرٍ، وتَعتقد بإلهٍ كريم؛ فما المانعُ أن يبدّلَ إطعامَ مؤمنٍ، بمقدارِ شقِّ تمرة، أو حتّى بِشربةٍ من ماءٍ، بذلك الأجر العظيم.

* «وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلاةِ عَلَيَّ، ثَقَّلَ اللهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخِفُّ الْمَوَازِينُ»:

هنا دعوةٌ للإكثارِ من الصّلاة على النّبيّ صلّى الله عليه وآله؛ فإنّها تُثَقِّل ميزانَ العبدِ.

* «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السّلام: فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَفْضَلُ الأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَفْضَلُ الأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ: الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ عزَّ وجلَّ»:

إنّ الصّومَ المعروف هو الكَفُّ عن الطّعام والشّراب، ولكنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أراد أمراً فوق هذا الامتناع الظّاهريّ، فهلّا سَعَيْنا لتحقيق ذلك الصّوم؟

كان المُصطفى الحبيب صلّى الله عليه وآله يَستغلُّ كلَّ مناسبةٍ للتّذكيرِ بِخَطِّ الولاية، ولِتَثبيتِ قواعدِ الولاية، بدءاً من أيّام المبعثِ الشّريف إلى حادثةِ المَبيت، إلى مواقفِه في الغَزَوات، إلى حادثةِ الاستِخْلاف، وحادثة الكِساء، إلى أحاديثِ المَنزلة والثّقلَيْن والغدير، قبل وفاته صلّى الله عليه وآله.

* وفي نهايةِ هذه الخطبة يَبكي رسولُ الله صلّى الله عليه وآله أمامَ المسلمين، لِمَا يَجري على أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام:

من معاني الصّوم المذكور في خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله الرّبطُ بينه وبين عالَم المعاد، وأهوالِ يوم القيامة.

«..ثُمَّ بَكى، فَقُلْتُ: يَا رَسولَ اللهِ ما يُبْكيكَ؟ فَقالَ: يَا عَلِيُّ، أَبْكي لِما يُسْتَحَلُّ مِنْكَ في هذا الشَّهْرِ، كَأَنّي بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي لِرَبِّكَ وَقَدِ انْبَعَثَ أَشْقَى الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، شَقيقُ عاقِرِ ناقَةِ ثَمودَ، فَضَرَبَكَ ضَرْبَةً عَلى قَرْنِكَ فَخَضَّبَ مِنْها لِحْيَتَك».

والمُلفتُ بعد ذلك هو سؤال الإمام عليّ عليه السلام: «فَقُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، وَذَلِكَ في سَلامَةٍ مِنْ دِيني؟»، فيجيب النّبيّ صلّى الله عليه وآله بالإيجاب: «في سَلامَةٍ مِنْ دِينِكَ»، فتقرُّ لها عينُ أبي الحسن عليه السلام.

«ثُمَّ قالَ: يَا عَلِيُّ، مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَني وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَني، وَمَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّني، لِأَنَّكَ مِنّي كَنَفْسي، روحُكَ مِنْ رُوحي وَطينَتُكَ مِنْ طينَتي، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى خَلَقَني وَإِيّاكَ وَاصْطَفَانِي وَإِيّاكَ، وَاخْتارَني لِلنُّبُوَّةِ وَاخْتارَكَ لِلإِمامَةِ، وَمَنْ أَنكَرَ إِمامَتَكَ فَقَدْ أَنكَرَ نُبُوَّتي.

يَا عَلِيُّ، أَنْتَ وَصِيّي وَأَبو وُلْدِي وَزَوْجُ ابْنَتي وَخَليفَتي عَلَى أُمَّتي في حَياتي وَبَعْدَ مَوْتي، أَمْرُكَ أَمْري وَنَهْيُكَ نَهْيي، أُقْسِمُ بِالَّذي بَعَثَني بِالنُّبُوَّةِ وَجَعَلَني خَيْرَ البَرِيَّةِ، إِنَّكَ لَحُجَّةُ اللهِ عَلى خَلْقِهِ، وَأَمينُهُ عَلى سِرِّهِ، وَخَليفَتُهُ عَلى عِبادِهِ».

آية الله السّيّد عبد الحسين شرف الدّين العامليّ

علقت به النّفوس، واجتمع عليه الرّأي

إعداد: «شعائر»

❋ أحد أعلام الإماميّة ومشاهير علماء الإسلام، جمع بين العلم والجهاد ضدّ الاستعمار الفرنسيّ ومقارعته.
❋ كان فقيهاً مجتهداً، محدّثاً، خطيباً مفوّهاً، أديباً بارعاً، قدّم تراثاً علميّاً جهاديّاً وحدويّاً لا يمكن أن يُنسى، وسيظلّ يخدم القضيّة الإسلاميّة خير خدمة .
❋ امتاز أسلوبه بالوضوح والاحترام للرّأي المقابل، والدّقّة، والموضوعيّة التّامّة، الأمر الّذي جذب إليه قلوب الأصدقاء والأعداء معاً.
❋ هذه ترجمة موجزة تُضيء على عناوين أساسيّة من سيرة آية الله السّيّد عبد الحسين شرف الدّين، مقتبسة من مصادر عدّة، في مقدّمتها ترجمته رضوان الله عليه في مقدّمة كتابه (المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطّاهرة).

هو السّيّد عبد الحسين بن السّيّد يوسف، بن السّيّد جواد، بن السّيّد إسماعيل، بن محمّد بن محمّد جدّ الأسرتيّن «آل شرف الدّين» و «آل الصّدر»، ابن السّيّد إبراهيم، الملقّب بـ «شرف الدِّين» المنتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

وُلد السّيّد عبد الحسين في الكاظميّة سنة ١٢٩٠ للهجرة، في دار جدّه لأمّه السّيّد «هادي الصّدر»، وهو من أبوَين علويَّين كريمَين، فأبوه العلّامة الحجّة يوسف بن الشّريف جواد بن الشّريف إسماعيل، وأمّه العلوية الجليلة كريمة المرحوم السّيّد «الهادي» بن السّيّد محمّد عليّ، الّذي ينتهي نسبها إلى شرف الدّين كذلك.

دراسته العلميّة

في السّنة الثّامنة من عمره، عاد به والده إلى «عاملة» ليؤدّي الأب فيها واجبه الدّيني بعد أن نال رتبة الاجتهاد، وشبَّ السّيّد في كنف والده ينتهل من نمير المعرفة في حدود علوم العربيّة، والمنطق، والبلاغة، وسطوح الفقه، والأصول.

وعندما بلغ السّيّد السّابعة عشر من عمره، أرسله أبوه إلى العراق لإكمال دراسته، وكان له من ذكائه واجتهاده ما ساعده على المضيّ في الانتهال العلميّ في مدرسة النّجف العلميّة، وشقّ طريقه على يد أساتذة فطاحل شُهد لهم بعلوّ المقام؛ فقد درس على يد فحول الحوزة العلميّة في النّجف وسامرّاء، كالمرحوم الملّا كاظم الخراسانيّ، والمرحوم السّيّد كاظم الطّباطبائيّ، وشيخ الشّريعة الأصفهانيّ، والشّيخ محمّد طه نجف، والشّيخ حسن الكربلائيّ، والسّيّد إسماعيل الصّدر، والسّيّد حسن الصّدر، وغيرهم من أعلام الدِّين وأئمّة العلم..

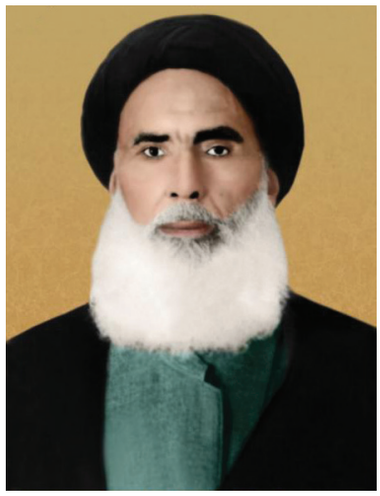
السّيّد عبد الحسين شرف الدّين العامليّ قدس سره

وكان رحمه الله، كثير السّؤال والمذاكرة والاستفسار عن مشاكل المسائل، كلّما اجتمع بعالمٍ كبيرٍ يبرز منه الدّقّة وحبّ المناظرة والإفادة.

قال رحمه الله في ترجمته من كتابه (بغية الرّاغبين) ما نصّه: «أمّا في العلوم العربيّة، فقد كان ممَّن لا يُجارى فيها - ويقصد بذلك جدّه آية الله المرحوم السّيّد الهادي - ولا سيّما في عِلمَي المعاني والبيان، إذ بان شأنه فيهما، كنتُ أستصبح بضوئه فيما لم أعتد إليه من معضلات (المطوّل) للمحقّق التّفتازانيّ، فيهديني إليها بنور بيانه وسطوع حجّته، فإذا هي كالشّمس في ريعان الضُّحى، وكم كنت أرجع إليه في مشكلات المنطق والعلوم العربيّة، فيُثلِج غلّتي بما ينفيه عنّي من معتلج الرَّيب، ويُميطه من حجاب الشّبهة، وكان على جلالته وشيخوخته يقبل على مباحثتي بانبساطه، ويسترسل إلى مناظرتي بأنسه..».

عودته إلى جبل عامل

عاد بعد ذلك إلى جبل عامل وهو في الثّانية والثّلاثين من عمره، واستقبلَته مدينته صور استقبالاً رائعاً، وحطَّ فيها موفور الكرامة، محترم الجانب، رفيع المقام، وأصبح مرجعاً وزعيماً دينيّاً تمكّن من الإصلاح، والهداية، ونشر المعارف.

ما أنّ استقرّ به المقام حتّى بدأ يعمل ويخطّط لأمّته كأيِّ مصلحٍ عظيم، ويرعى الجانب العلميّ، كما دعم الجانب الاجتماعيّ والسّياسيّ، وكانت له مواقف مشهودة سجّلها التّاريخ بكلّ إكبارٍ.

ففي الجانب العلميّ: نظّم السّيّد، رحمه الله، في مدينة صور الدّراسة العلميّة وهذّبها من كلّ ما يعرقل سَيرها، ثمّ كان على اتّصالٍ مستمرّ بالبحث والمطالعة والكتابة والمناظرة، وكانت حصيلة تلك الجهود العلميّة مجموعة كبيرة من المؤلّفات القيّمة.

أمّا في الجانب السّياسيّ والاجتماعيّ: فقد كان السّيّد رحمه الله، مثال القائد المصلح الّذي يحاول أن يبني لأمّته كياناً، فكانت له مواقف خالدة ضدّ الاستعمار الأجنبيّ في العهد التّركيّ والعهد الفرنسيّ، وذلك لإقامة العدل، ولصموده واستقامته حاولوا اغتياله بيد أحد المرتزقة يعرف بـ «ابن الحلّاج»، ولكنّ الله تعالى كفَّ أيديهم عنه، لكن بقيت مؤامراتهم متّصلة إلى أن أدّت إلى تشريد السّيّد بأهله وذويه نحو دمشق، وترك مكتبته العامرة تحترق بيد الجيش الفرنسيّ.

أسفاره

ولم يدم بقاء السّيّد طويلاً في دمشق، فقد ضاق الفرنسيّون به ذرعاً، إذ عرفت فيه الشّام عالماً وزعيماً ومجاهداً، وكانت معركة «ميسلون» نهاية بقائه في دمشق، فلجأ إلى مصر سنة ألف وتسع وعشرين وثلاثمائة هجريّة، واجتمع بعلمائها وعلى رأسهم الشّيخ سليم البشريّ المالكيّ، شيخ الأزهر في عصره، وأنتجت اجتماعاته به ومراسلاته له كتاب (المراجعات).

ولم يمكث طويلاً في مصر، إذ قصد فلسطين ليكون من هناك على مقربةٍ من بلده يواصل منها جهاده الدّينيّ، وعندما خرج الفرنسيون من لبنان عاد السّيّد، رحمه الله، إلى بلاده منتصراً ظافراً، وكان يوم عودته مشهوداً، وهو يحمل مشعل النّصر.

وللسّيّد، رحمه الله، سفرات وزيارات أخرى إلى المدينة المنوّرة، وفلسطين، ومصر، والعراق، وإيران.

مؤلّفاته

وللسّيّد شرف الدّين مؤلّفات كثيرة تدلّ على علمه وسعة اطّلاعه، وفي ما يلي نذكر جملة منها:

١- (المراجعات): وهي آية من الآيات، ومعجزة من المعجزات ببيانها، وقوّة برهانها، وشرف هدفها، طُبعت مرّتين في حياة السّيّد، والعديد من المرّات بعد وفاته، وتُرجمت إلى العديد من اللّغات كالفارسيّة، والإنكليزيّة، والأورديّة.

٢- (الفصول المهمّة في تأليف الأمّة): وهو صرخة مدوّية في سبيل جمع الكلمة واتّحاد الأمّة.

وادي الحجَير حيث عُقد المؤتمر

من مواقفه الجهادية

«لمّا انتهت الحرب العالميّة الأولى عام ١٩١٨ إلى هزيمة الدّولة العثمانيّة، احتلّت كلّ من فرنسا وبريطانيا بلاد الشّام، ومنها جبل عامل، فقام السّيّد عبد الحسين شرف الدّين يعلن الثّورة المسلّحة في عاملة ضدّ المستعمرين، مجاهراً بذلك، قائلاً: **وكان استقبالنا للاحتلال الفرنسي استقبالاً صاخباً محتجّاً، يواجهها بالرّفض والمصارحة والميل عنها ميلاً لا هوادة فيه ولا لِين.**

وقد أفتى بالجهاد ضدّ المستعمر، فحكموا عليه بالإعدام وطاردوه ولم يتزحزح عن مواقفه المبدئيّة قيد شعرةٍ، حيث كان قوله دائماً:

إنْ لَمْ أقِف حيثُ جيشُ الموتِ يزدَحِمُ فلا مَشتْ بي في طُرقِ العُلا قدمُ

ولمّا عُقد (مؤتمر وادي الحجير) في ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٠م لتقرير مصير جبل عامل في تلك الفترة الحرجة، تزعّم السّيّد شرف الدّين ذلك المؤتمر.. الّذي وصفه أديب جبل عامل محمّد علي الحوماني بكلماتٍ طويلة، أثنى فيها على دور السّيّد شرف الدّين، منها: **ولمّا جلسْتَ في خيمة العلماء حفُّوا بك وتهافت الحفل المحشود عليك، كلُّهم يحدّق بك ويستمع إليك وأنت مندفعٌ كالسَّيل، تبعث في نفوسهم الحميّة، وتحرّضهم على الجهاد في سبيل الحق».**

نقلاً عن موقع: www.moqawama.org

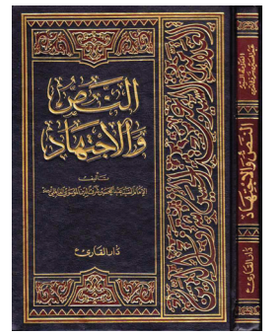

أخر مؤلفاته قدس سره

٣- (أجوبة مسائل موسى جار الله): وهي أجوبة عن عشرين سؤالاً تقدّم بها موسى جار الله إلى أعلام الشّيعة في البلاد الإسلاميّة، وقد دلّت هذه الأجوبة على غزير علمٍ واطّلاعٍ واسع، يكتفي بها كلّ مَن كان رائده الحقّ.

٤- (الكلمة الغرّاء في تفضيل الزّهراء عليها السّلام).

٥- (المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطّاهرة).

٦- (أبو هريرة): فيه فتحٌ علميّ جديد في فهم الأحاديث النّبويّة الشّريفة وتخريجها تخريجاً صحيحاً.. وقد اقتفى أثرَه العالم المصريّ محمود أبو ريّة في كتابه (شيخ المَضيرة).

٧- (النّص والاجتهاد): وهو من أعمق الدّراسات الإسلاميّة في العصر الحاضر.

٨- (بغية الرّاغبين): ضمّنه تراجم أعلام آل الصّدر وشرف الدّين، مع عرض لتراجم أساتذتهم وتلامذتهم، وصور عن عصرهم، وهو من الكتب الجليلة الّتي تعدّ في طليعة أدب التّراجم.

٩- (فلسفة الميثاق والولاية).

١٠- (ثبت الأثبات في سلسلة الرّواة): عرض فيه إلى شيوخه من أعاظم أهل المذاهب الإسلاميّة بأسلوبٍ فريدٍ مفيد.

١١- (مسائل فقهيّة): موضوع فقهيّ مقارن عميق البحث.

١٢- (إلى المجمع العلميّ بدمشق): حيث ردّ على بعض الشّبهات المثارة حول الشّيعة، ووجّه نصائحه إلى المجمع العلميّ يحثّه على الوفاق ونبذ الافتراق.

١٣- (حول الرّؤية): رسالة عقائديّة تبحث مسألة الرّؤية.

١٤- (زينب الكبرى): وهي خطبة خطبها في الصّحن الزّينبيّ المطهّر، تحدّث فيها عن مقام الحوراء زينب عليها السلام ومواقفها الخالدة.

ومن جملة كتبه الّتي احترقت ولم تُطبع:

١٥- (سبيل المؤمنين) في الإمامة. ١٦- (النّصوص الجليّة) في الإمامة. ١٧- (تنزيل الآيات الباهرة) في الإمامة. ١٨- (شرح التّبصرة في الفقه). ١٩- (تعليقة على الاستصحاب). ٢٠- (تحفة المحدّثين فيما أخرج عن السّتّة المضعفين). ٢١- (الذّريعة) ردّ على بديعة النّبهانيّ. ٢٢- تعليقة على (صحيح) البخاريّ. ٢٣- تعليقة على (صحيح) مسلم. ٢٤- (الأساليب البديعة في رجحان مآتم الشّيعة). ٢٥- (المجالس الفاخرة) المجلدات الأربعة. ٢٦- (مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام). ٢٧- (زكاة الأخلاق).

رسائله

تمتاز رسائل السّيّد شرف الدّين بالبلاغة، وشرف الهدف، وتنوّع المواضيع، ففيها: العلم والأدب، والإرشاد والفقه، والتّاريخ والعِبر، والقضايا الاجتماعيّة. وكان يراسل أولاده في معهدهم العلميّ في النّجف الأشرف، فنقرأ فيها التّوجيه الأبويّ والتّربويّ، وكلَّ ما يحتاج إليه الطّالب الدّينيّ هناك مِن حِكمٍ وتوجيهاتٍ تنير له السّبيل. وتارة كان يراسل مُحبّيه وذَويه في المهجر، فيُفرغ إليهم التّوصياتِ الأبويّة الّتي تجمع كلمتَهم، وتارةً أخرى يراسل الملوك والأمراء والسّاسة والمسؤولين، فيُسمِعهم ما ينبغي للعالِم الرّاعي أن يُسمِع أمثالَهم من العدل بالرّعيّة، والعبرة بالماضي.

من الوفود الشعبيّة التي شاركت في تشييعه

نثره

كان السّيّد شرف الدّين فصيحَ اللّفظ، مُشرقَ الدّيباجة، متقَن السَّبك، يُمسك بعضه بعضاً، وكان رحمه الله يعرض الجملة على حسّه المرهف قبل أن يُفرغها على الأوراق. وفصاحته في نثره تَظهر بوضوحٍ على كلّ ما ألّف وصنّف وحرّر مِن بحوث، وأُسلوبه الأدبيّ يتقمّص معانيه العلميّة الدّقيقة، فيزيدها رونقاً وبهاءً، وقوّةً ومضاءً.

خطاباته

تمتاز خطابات السّيّد شرف الدّين بقوّة التّعبير، ودقّة التّصوير، وإشراق الدّيباجة. وكان لا يخطب إلّا مُرتجلاً، ولا يمنعه الارتجال من تركيز الفكرة وإبراز المعاني في فصاحةٍ عالية.

وخطاباته إلى جوار ذلك بعيدة عن التّكلّف والتّصنّع، كما هي كتاباته، وتأليفاته، ومحاضراته.

وقد خطب سنة ١٣٥٠ هجريّة في المسجد الجامع عصرَ كلِّ يوم من العشرة الأولى لمحرّم الحرام، وعنوان خطابته في كلّ يوم: آلُ محمّد، ومَن آلُ محمّد صلّى الله عليهم أجمعين.. وكان رضوان الله عليه يندفع في كلِّ يومٍ ساعةً من الوقت كالسَّيل يُعرّف النّاسَ عظمة أهل البيت عليهم السّلام في القرآن، والسُّنّة، وعند النّاس، وقد خصّص اليومَ العاشر من المحرّم للإمام الحسين عليه السّلام، وكان المجلس صباحاً، فتكلّم حول نهضة سيّد الشّهداء صلوات الله عليه وأسبابها وأهدافها، ونتائجها العظيمة في دعم الإسلام وتركيز الدِّين، ثمّ ختم خطابه البليغ بذِكْر مصرع سيّد شباب أهل الجنّة عليه السّلام، وكان يمزج حديثه بالبكاء، فيضجّ النّاسُ بالعويل.. وقد استمرّ خطابه ذلك اليوم ثلاث ساعات متوالية، ولو جُمع ذلك الخطاب لكان سِفْراً ضخماً في فضائل أهل البيت عليهم السّلام وسيرتهم، وما يجب على المسلم أن يعرفه.

مؤازرته لأهل العلم

عُرف السيّد عبد الحسين شرف الدِّين بشدّة اهتمامه بأهل العلم، وذوي المواهب من الكتّاب والشّعراء، كلٌّ بما يناسبه، وكان يمدّ يد المساعدة على قدر ما تسمح له ظروفه، وكان يستعدّ لمناسبة رجوع الطّلبة العامليّين الّذين يُكملون دراستهم العالية في النّجف، وقد حان وقت إرشاد النّاس في بلدهم. فكان السيّد، رحمه الله، يزور بلدةً بلدة، يخطبهم ويعرّف منزلة العالِم، ويحثّ على خدمته، وتهيئة ما يليق به من إكرام. وكان يشجّع المؤلّفين والشّعراء الّذين يلمس فيهم الخدمة للدّين.

مشاريعه وآثاره

استوطن السّيّد شرف الدّين في مدينة صُور، فبنى فيها حسينيّة مِن دارٍ امتلكها ثمّ أوقَفَها، فأقام الصّلوات في تلك الحسينيّة وألقى دروس الدّين والإرشاد فيها، واجتمع مع النّاس فيها لحلّ مشاكلهم. ثمّ أنشأ هناك مسجداً فخماً، أقام فيه كلَّ عامٍ ذكرى مولد النّبيّ صلى الله عليه وآله، في احتفالٍ كبيرٍ يجتمع فيه النّاس مِن أنحاء البلاد العامليّة، ويدعوهم بعد الاحتفال إلى تناول الطّعام في داره.

وأسّس السيّد مدرسةً سمّاها «المدرسة الجعفريّة» ، ونادياً سمّاه «نادي الإمام الصّادق عليه السلام» للاحتفالات الدّينيّة والمحاضرات الثّقافيّة، ومسجداً أضافه إلى المدرسة والنّادي.

وأرسل المبلّغين إلى المَهاجِر الإفريقيّة، وفي مقدّمتهم ولداه: السيّد صدر الدّين والسيّد جعفر، وكانا لهما دورٌ في (الكلّيّة الجعفريّة) في ما بعد، وكان السّيّد شرف الدّين قد أسّسها لتربية الجيل الصّاعد، ولم يكن يأخذ أُجوراً من الطّلبة الفقراء، وإنّما كان يأخذ من المتمكّنين لتقوم الكلّيّة بواجبها تجاه المعوزين في كلّ ما يتعلّق بشؤونهم ولوازمهم.

ولشدّة عنايته بالمحتاجين، أسّس السّيّد شرف الدّين رحمه الله «جمعيّة البرّ والإحسان» لتقوم بإكساء الفقراء ورعايتهم، ودفنِ وتجهيز الموتى من المساكين، حتّى أصبح من النّادر أن يُرى في «صور» سائلٌ أو محروم.

الجماهير في وداع جثمانه الطّاهر قدس سره

وفاته

بعد أن اجتاز السيد شرف الدين سبعةً وثمانين عاماً، توفّاه اللهُ تعالى إلى رحمته، بعد عمرٍ قضاه في الدّعوة إلى الله تعالى، والقيام بنشر الشّريعة الغرّاء، وتعريف الأُمّة بالثّقلَين: كتاب الله والعترة الطّاهرة، وهُدى النّاس إلى ما فيه صلاحهم، والسَّير بهم على الطّريق الأمثل الّذي أَمَر به اللهُ تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله.

وكانت وفاته رحمه الله في الثّامن من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هجريّة / الموافق للثّلاثين من كانون الأوّل سنة ١٩٥٧م، حينها تجمّعت القرى العامليّة في بيروت لتودّع زعيمها الدّينيّ، وخرجت بيروت بعلمائها وأدبائها وساستها وجموع الشّعب ورجال الحكم، لتلقيَ نظراتها الأخيرة على النّعش الّذي تُقلّه طائرة خاصّة إلى بغداد، لِيُشيَّع هناك في الكاظميّة وفي مدينة كربلاء المقدّسة ثمّ النجف الأشرف، تشييعاً مهيباً، فيُدفن في الحصن العلويّ المطهّر عند جدّه أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، فطاب مَثواه.. رضوان الله تعالى عليه.

معنى «الصِّراط المستَقيم»

الولاءُ لأمير المؤمنين عليه السلام

الشّيخ المفيد قدس سره

مقتطف من كتاب (تصحيح اعتقادات الإماميّة) للشّيخ المفيد قدّس سرّه، يشرح فيه معنى «الصّراط المستقيم»، مبيّناً أنّه سلوكُ سبيلِ رضوان الله عزّ وجلّ، واتّباعُ نبيِّه صلّى الله عليه وآله، وعلامةُ ذلك، تَولِّي أمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيّته صلوات الله عليهم أجمعين.

الصّراطُ في اللّغة هو الطّريق، فلذلك سُمِّي الدِّينُ صِراطاً، لأنّه طريقٌ إلى الصّواب، وبه سُمِّي الولاء لأمير المؤمنين والأئمّة من ذرّيّته عليهم السّلام صراطاً.

ومن معناه قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «**أَنَا صِرَاطُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ، وَعُرْوَتُهُ الوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا**». يعني: أنَّ معرفتَه عليه السّلام والتّمسُّكَ به طريقٌ إلى الله سبحانه.

وقد جاء الخبر بأنَّ الطّريقَ يومَ القيامةِ إلى الجنّة، كَالجسر يمرُّ به النّاس، وهو الصّراطُ الّذي يَقِفُ عن يمينه رسولُ الله صلى الله عليه وآله، وعن شماله أميرُ المؤمنين عليه السّلام، ويأتيهما النّداء من قِبل الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ق:٢٤.

وجاء الخبر أنّه لا يعبرُ الصّراطَ يومَ القيامة إلّا مَن كان معه براءةٌ، من عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، من النّار.

الصِّراط، دينُ الله تعالى

وردَ في الخبر بأنّ الصّراط أدَقُّ من الشّعرة وأحَدُّ من السّيفِ على الكافر. والمرادُ بذلك أنّه لا تثبتُ لكافرٍ قدمٌ على الصّراط يومَ القيامة من شدّة ما يَلحقُهم من أهوال يوم القيامة ومخاوفها، فهم يَمشون عليه كالّذي يمشي على الشّيء الّذي هو أدقُّ من الشّعرة وأحدّ من السّيف. وهذا مَثَلٌ مضروبٌ لِما يلحقُ الكافرَ من الشّدّةِ في عبوره على الصّراط.

وهو طريقٌ إلى الجنّة وطريقٌ إلى النّار، يُشرِفُ العبدُ منه إلى الجنّة، ويرى منه أهوالَ النّار. وقد يعبَّر به عن الطّريق المعوَجّ، فلهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ..﴾ الأنعام:١٥٣، فميَّز بين طريقِه الّذي دعا إلى سلوكِه من الدِّين، وبين طُرُق الضّلال. وقال اللهُ تعالى في ما أمرَ به عبادَه من الدُّعاء وتلاوة القرآن: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة:٦، فدلَّ على أنَّ ما سواه صراطٌ غير مستقيم.

وصراطُ الله تعالى دينُ الله، وصراطُ الشّيطان طريقُ العصيان، والصِّراط في الأصل – على ما بيّناه – هو الطّريق، والصِّراطُ يومَ القيامة هو الطّريقُ المسلوكُ إلى الجنّة أو النّار، على ما قدّمناه.

وجوهٌ أُخَر في معنى الصّراط

«قيل في معنى الصّراط المستقيم وجوه:

* **أحدها**: إنّه كتابُ الله، وهو المرويّ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وعن عليٍّ عليه السّلام، وابن مسعود.
* **وثانيها**: إنّه الاسلام، وهو المرويّ عن جابر، وابن عبّاس.
* **وثالثها**: إنّه دين الله الّذي لا يقبلُ من العباد غيره، عن محمّد بن الحنفيّة.
* **والرّابع**: إنّه النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة القائمون مقامَه، وهو المرويّ في أخبارنا. والأَوْلى حَمْلُ الآية على العموم حتّى يدخل جميعُ ذلك فيه، لأنّ الصّراط المستقيم هو الدِّينُ الّذي أمرَ اللهُ به، من التّوحيد، والعدل، وولاية مَن أوْجَب الله طاعتَه».

(تفسير مجمع البيان، الشّيخ الطّبرسيّ)

رسالةُ الإمام الباقر عليه السلام إلى (سَعد الخَير)

اعرِف أشباهَ الأحبار والرُّهبَان بِكتمان الكتابِ وتَحريفِه

رواية الشّيخ الكلينيّ

رسالة - وصيّة، من الإمام أبي جعفر، محمّد بن عليّ الباقر عليه السّلام إلى سَعد بن عبد المَلك، المعروف بـ «سعد الخَير»، أوردَها ثقة الإسلام الكلينيّ في (الكافي)، وشرحَها كلٌّ من العلّامة المجلسي، والفقيه المازندراني في كتابَيهما (مرآة العقول)، و(شرح أصول الكافي)، ومنهما الشّروح المرفقة.

«.. كَتَبَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيهِ السّلَام إِلَى سَعْدٍ الْخَيْرِ:

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله، فَإِنَّ فِيهَا السَّلَامَةَ مِنَ التَّلَفِ والْغَنِيمَةَ فِي الْمُنْقَلَبِ؛ إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يَقِي بِالتَّقْوَى عَنِ الْعَبْدِ مَا عَزَبَ [1] عَنْه عَقْلُه، ويُجْلِي بِالتَّقْوَى عَنْه عَمَاه وجَهْلَه. وبِالتَّقْوَى نَجَا نُوحٌ ومَنْ مَعَه فِي السَّفِينَةِ، وصَالِحٌ ومَنْ مَعَه مِنَ الصَّاعِقَةِ، وبِالتَّقْوَى فَازَ الصَّابِرُونَ ونَجَتْ تِلْكَ الْعُصَبُ [2] مِنَ الْمَهَالِكِ.

ولَهُمْ إِخْوَانٌ عَلَى تِلْكَ الطَّرِيقَةِ يَلْتَمِسُونَ تِلْكَ الْفَضِيلَةَ، نَبَذُوا طُغْيَانَهُمْ مِنَ الإِيرَادِ بِالشَّهَوَاتِ لِمَا بَلَغَهُمْ فِي الْكِتَابِ مِنَ الْمُثُلَاتِ. حَمِدُوا رَبَّهُمْ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ وهُوَ أَهْلُ الْحَمْدِ، وذَمُّوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا فَرَّطُوا وهُمْ أَهْلُ الذَّمِّ، وعَلِمُوا أَنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى، الْحَلِيمَ الْعَلِيمَ، إِنَّمَا غَضَبُه عَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْه رِضَاه، وإِنَّمَا يَمْنَعُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْه عَطَاه، وإِنَّمَا يُضِلُّ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْه هُدَاه، ثُمَّ أَمْكَنَ أَهْلَ السَّيِّئَاتِ مِنَ التَّوْبَةِ بِتَبْدِيلِ الْحَسَنَاتِ: دَعَا عِبَادَه فِي الْكِتَابِ إِلَى ذَلِكَ بِصَوْتٍ رَفِيعٍ لَمْ يَنْقَطِعْ، ولَمْ يَمْنَعْ دُعَاءَ عِبَادِه .. فَلَعَنَ الله الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ الله.

وكَتَبَ عَلَى نَفْسِه الرَّحْمَةَ فَسَبَقَتْ قَبْلَ الْغَضَبِ، فَتَمَّتْ صِدْقاً وعَدْلاً، فَلَيْسَ يَبْتَدِئُ الْعِبَادَ بِالْغَضَبِ قَبْلَ أَنْ يُغْضِبُوه، وذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ وعِلْمِ التَّقْوَى.

..أقاموا حروفَ الكتاب، وضَيّعوا حدودَه

وكُلُّ أُمَّةٍ قَدْ رَفَعَ الله عَنْهُمْ عِلْمَ الْكِتَابِ حِينَ نَبَذُوه، ووَلَّاهُمْ عَدُوَّهُمْ حِينَ تَوَلَّوْه، وكَانَ مِنْ نَبْذِهِمُ الْكِتَابَ أَنْ أَقَامُوا حُرُوفَه وحَرَّفُوا حُدُودَه، فَهُمْ يَرْوُونَه ولَا يَرْعَوْنَه، والْجُهَّالُ يُعْجِبُهُمْ حِفْظُهُمْ لِلرِّوَايَةِ، والْعُلَمَاءُ يَحْزُنُهُمْ تَرْكُهُمْ لِلرِّعَايَةِ. وكَانَ مِنْ نَبْذِهِمُ الْكِتَابَ أَنْ وَلَّوْه الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [3]، فَأَوْرَدُوهُمُ الْهَوَى وأَصْدَرُوهُمْ إِلَى الرَّدَى وغَيَّرُوا عُرَى الدِّينِ. ثُمَّ وَرَّثُوه فِي السَّفَه والصِّبَا [4] فَالأُمَّةُ يَصْدُرُونَ عَنْ أَمْرِ النَّاسِ بَعْدَ أَمْرِ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى، وعَلَيْه يُرَدُّونَ، فَبِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً وَلَايَةُ النَّاسِ بَعْدَ وَلَايَةِ الله [5] وثَوَابُ النَّاسِ بَعْدَ ثَوَابِ الله، ورِضَا النَّاسِ بَعْدَ رِضَا الله.

> الْجُهَّالُ يُعْجِبُهُمْ حِفْظُهُمْ لِلرِّوَايَةِ، والْعُلَمَاءُ يَحْزُنُهُمْ تَرْكُهُمْ لِلرِّعَايَةِ.

فَأَصْبَحَتِ الأُمَّةُ كَذَلِكَ، وفِيهِمُ الْمُجْتَهِدُونَ فِي الْعِبَادَةِ عَلَى تِلْكَ الضَّلَالَةِ، مُعْجَبُونَ مَفْتُونُونَ، فَعِبَادَتُهُمْ فِتْنَةٌ لَهُمْ ولِمَنِ اقْتَدَى بِهِمْ، وقَدْ كَانَ فِي الرُّسُلِ ذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ. إِنَّ نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ كَانَ يَسْتَكْمِلُ الطَّاعَةَ ثُمَّ يَعْصِي [6] الله تَبَارَكَ وتَعَالَى فِي الْبَابِ الْوَاحِدِ يخرج به مِنَ الْجَنَّةِ ويُنْبَذُ به فِي بَطْنِ الْحُوتِ، ثُمَّ لَا يُنَجِّيه إِلَّا الِاعْتِرَافُ والتَّوْبَةُ، فَاعْرِفْ أَشْبَاه الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ الَّذِينَ سَارُوا بِكِتْمَانِ الْكِتَابِ وتَحْرِيفِه ﴿..فَمَا رَبِحَت تِّجَرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾: البقرة:١٦، ثُمَّ اعْرِفْ أَشْبَاهَهُمْ مِنْ هَذِه الأُمَّةِ الَّذِينَ أَقَامُوا حُرُوفَ الْكِتَابِ وحَرَّفُوا حُدُودَه، فَهُمْ مَعَ السَّادَةِ والْكُبُرَةِ [7] فَإِذَا تَفَرَّقَتْ قَادَةُ الأَهْوَاءِ كَانُوا مَعَ أَكْثَرِهِمْ دُنْيَا، وذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ، لَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ فِي طَبَعٍ وطَمَعٍ [8]، لَا يَزَالُ يُسْمَعُ صَوْتُ إِبْلِيسَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ بِبَاطِلٍ كَثِيرٍ، يَصْبِرُ مِنْهُمُ [9] الْعُلَمَاءُ عَلَى الأَذَى والتَّعْنِيفِ، ويَعِيبُونَ عَلَى الْعُلَمَاءِ بِالتَّكْلِيفِ [10].

جَهدُ العلماء مع الجُهّال

والْعُلَمَاءُ فِي أَنْفُسِهِمْ خَانَةٌ [11] إِنْ كَتَمُوا النَّصِيحَةَ: إِنْ رَأَوْا تَائِهاً ضَالاً لَا يَهْدُونَه، أَوْ مَيِّتاً لَا يُحْيُونَه، فَبِئْسَ مَا يَصْنَعُونَ، لأَنَّ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي الْكِتَابِ أَنْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وبِمَا أُمِرُوا بِه، وأَنْ يَنْهَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْه، وأَنْ يَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى ولَا يَتَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوَانِ. فَالْعُلَمَاءُ مِنَ الْجُهَّالِ فِي جَهْدٍ وجِهَادٍ، إِنْ وَعَظَتْ قَالُوا طَغَتْ، وإِنْ عَلَّمُوا (عملوا) الْحَقَّ الَّذِي تَرَكُوا [12] قَالُوا خَالَفَتْ، وإِنِ اعْتَزَلُوهُمْ قَالُوا فَارَقَتْ [13]، وإِنْ قَالُوا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ عَلَى مَا تُحَدِّثُونَ قَالُوا نَافَقَتْ [14]، وإِنْ أَطَاعُوهُمْ [15] قَالُوا عَصَتِ الله عَزَّ وجَلَّ.

فَهَلَكَ جُهَّالٌ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ، أُمِّيُّونَ فِيمَا يَتْلُونَ ".." أُولَئِكَ أَشْبَاه الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ، قَادَةٌ فِي الْهَوَى سَادَةٌ فِي الرَّدَى.

وآخَرُونَ مِنْهُمْ جُلُوسٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ والْهُدَى، لَا يَعْرِفُونَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الأُخْرَى. يَقُولُونَ مَا كَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَ هَذَا ولَا يَدْرُونَ مَا هُوَ [16]، وصَدَّقُوا (صَدَقوا بالتّخفيف) تَرْكَهُمْ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى الْبَيْضَاءِ [17] لَيْلُهَا مِنْ نَهَارِهَا [18]، لَمْ يَظْهَرْ فِيهِمْ بِدْعَةٌ ولَمْ يُبَدَّلْ فِيهِمْ سُنَّةٌ، لَا خِلَافَ عِنْدَهُمْ ولَا اخْتِلَافَ، فَلَمَّا غَشِيَ النَّاسَ ظُلْمَةُ خَطَايَاهُمْ، صَارُوا إِمَامَيْنِ: دَاعٍ إِلَى الله تَبَارَكَ وتَعَالَى ودَاعٍ إِلَى النَّارِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَطَقَ الشَّيْطَانُ، فَعَلَا صَوْتُه عَلَى لِسَانِ أَوْلِيَائِه، وكَثُرَ خَيْلُه ورَجْلُه [19]، وشَارَكَ فِي الْمَالِ والْوَلَدِ مَنْ أَشْرَكَه، فَعُمِلَ بِالْبِدْعَةِ وتُرِكَ الْكِتَابُ والسُّنَّةُ، ونَطَقَ أَوْلِيَاءُ الله بِالْحُجَّةِ، وأَخَذُوا بِالْكِتَابِ والْحِكْمَةِ، فَتَفَرَّقَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَهْلُ الْحَقِّ وأَهْلُ الْبَاطِلِ، وتَخَاذَلَ وتَهَادَنَ أَهْلُ الْهُدَى، وتَعَاوَنَ أَهْلُ الضَّلَالَةِ حَتَّى كَانَتِ الْجَمَاعَةُ مَعَ فُلَانٍ وأَشْبَاهِه، فَاعْرِفْ هَذَا الصِّنْفَ.

وصِنْفٌ آخَرُ، فَأَبْصِرْهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ نُجَبَاءُ [20] والْزَمْهُمْ حَتَّى تَرِدَ أَهْلَكَ فَـ ﴿..إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ الزمر:١٥.

لَهُمْ [21] عِلْمٌ بِالطَّرِيقِ، فَإِنْ كَانَ دُونَهُمْ بَلَاءٌ فَلَا تَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ دُونَهُمْ عَسْفٌ مِنْ أَهْلِ الْعَسْفِ وخَسْفٌ ودُونَهُمْ بَلَايَا تَنْقَضِي، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى رَخَاءٍ [22]. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ إِخْوَانَ الثِّقَةِ ذَخَائِرُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ولَوْلَا أَنْ تَذْهَبَ بِكَ الظُّنُونُ عَنِّي [23] لَجَلَيْتُ لَكَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْحَقِّ غَطَّيْتُهَا، ولَنَشَرْتُ لَكَ أَشْيَاءَ مِنَ الْحَقِّ كَتَمْتُهَا، ولَكِنِّي أَتَّقِيكَ وأَسْتَبْقِيكَ، ولَيْسَ الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَتَّقِي أَحَداً فِي مَكَانِ التَّقْوَى، والْحِلْمُ لِبَاسُ الْعَالِمِ فَلَا تَعْرِيَنَّ مِنْه. والسَّلَامُ.

شرحُ عبارات الرّسالة

(١) عَزَبَ: أي بَعُد.

(٢) جمع عُصبَة، وهي ما بين العشرة إلى الأربعين من الرّجال.

(٣) أي جعلوا القَيّم على الكتاب الذين لا يَعلمونه، وألزموا أنفسَهم اتّباعهم

(٤) بمعنى أنّهم جعلوه ميراثاً يرثه كلّ سفيه جاهل أو صبيّ غير عاقل.

(٥) الصّدور والورود كنايتان عن الإتيان للسّؤال والرّجوع بالقبول، أي أصبحت الأمّة تأخذ معالم دينها عن الرّجال عوضاً عن الله تعالى.

(٦) لفظ العصيان هَهنا مجاز عن ترك الأَولى والأفضل، وليس المراد منه اجتراحُ المعصية، فإنّها محالٌ على الانبياء.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ الأحزاب:٦٧.

(٨) الطَّبع، بالتّحريك، هو الرَّين، والطَّمَع معروف.

(٩) الضّمير لأشباه الأحبار والرّهبان.

(١٠) أي بتكليف العلماء إيّاهم بالأحكام الشّرعية والاتّباع للحقّ ورفض الباطل.

(١١) أي خَوَنَة.

(١٢) الضّمير للجهّال.

(١٣) أي فارقت الجماعة والكثرة والسّائدَ المعمولَ به.

(١٤) الجهّال يرمون العلماء بالنّفاق لأنّهم يُطالبونهم بالدّليل في ما يعدّه الجُهّال من ضروريّات الدّين.

(١٥) أطاعوهم مكرَهين.

(١٦) هذه الفئة الثّالثة تدّعي أن الخلاف بين الطّائفتَين، طارئٌ لم يكن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

(١٧) أي أنّ الأمّة فارقت الشّريعة البيضاء واضحةَ المعالم التي تركها رسول الله صلّى الله عليه وآله.

(١٨) بمعنى: متميّزٌ ليلُها من نهارها، كناية عن الحقّ والباطل.

(١٩) رَجله: أعوانه.

(٢٠) في بعض النُّسَخ: تَحيا بدل نُجباء.

(٢١) الضّمير للصّنف الآخر الّذين أمرَه بملازمتِهم.

(٢٢) المقصود: لا تُبالِ بالبلاء النّازل بك نتيجة التزام طريق أئمّة الهدى، واعلم أنّ الجور والهوان الذي يلحق بك جرّاء اتّباعك لهم، ينقضي ثمّ تصير إلى سعة ورفاهيّة.

(٢٣) أي تُنزلَني فوق المنزلة التي أرادها اللهُ تعالى.

«مسرحيّة المُوصل الدّاعشيّة»*

أهداف وارتدادات

العميد د. أمين حطيط

مختصر مقال للعميد المتقاعد د. أمين حطيط، يحلّل «مسرحيّة الموصل الدّاعشيّة»، كما وصَفها، بأهدافها وتداعياتها، أو فقُل إرتداداتها على محوَر المقاومة في «منطقة الوصل بين قطبَيه الإيرانيّ والسّوريّ»، وفق تعبيره.

قد يظنّ البعض أنّ «غزوة الموصل الدّاعشيّة» الّتي آلت إلى سيطرة التّنظيم التّكفيريّ الإرهابيّ على محافظة نينوى العراقيّة، وما أعقبها من تمدُّدٍ في محافظتَي صلاح الدّين وديالى، قد يُرى في هذا الأمر إنجازٌ عسكريّ يستوجب إدراجه في «سجلّ الأعمال العسكريّة الخارقة»، خاصّة وأنّ المجموعة المسلّحة الّتي وُصفت بأنّها مهاجمة كانت صغيرة العدد جدّاً بحيث لا تتجاوز الـ ٥٠٠ عنصراً، تحرّكت في مقابل ٢٥ ألف جنديّ ورجل أمن وشرطيّ عراقيّ، كانوا ينتشرون في المنطقة المستهدفة. كما أنّ الظّنّ ذاك قد يتطوّر إلى القول بأنّ هناك مرحلة جديدة فتحت أبوابها في المنطقة لإعادة رسم خرائط دولها، خاصّة وأنّ التّنظيم الإرهابيّ ذاك سارع إلى نشر خريطة أحلامه في دولته المستقبليّة، مظهراً بأنّها ستقوم على أراضي ستّ دول عربيّة (لبنان، سورية، العراق، الكويت، الأردن، فلسطين) خريطة جاءت بمثابة إنذار إلى هذه الدّول بأنّ الإرهاب يتحضّر لطرق أبوابها مستفيداً ممّا يدّعي أنّه حقّقه من إنجازات في سورية والعراق.. فأين الحقيقة من ذلك؟

المسرحيّة بإعدادٍ تركيّ، وتمويلٍ سعوديّ، وبضوء أخضر أميركيّ.

تؤكّد الوقائع أنّه لم يجرِ في الموصل معركة أو مواجهة، فالأمر برمّته خُطِّط له محلّياً وإقليميّاً ودوليّاً بشكلٍ تآمريٍّ محُكَم، ونفّذته عناصر رسميّة عراقيّة، مدنيّة وعسكريّة، خانت قَسَمها وسلّمت مواقعها لبضعة مئاتٍ من المسلّحين يعملون تحت عنوان «داعش»، وفقاً لخطّةٍ أعدّها ضبّاط من جيش صدّام حسين، وبإشرافٍ تركيٍّ مباشر، وتمويلٍ سعوديٍّ سخيّ، وعلمٍ لا بل ضوءٍ أخضر أميركيّ مقنّع. فالموصل سُلِّمت تسليماً، وكانت المنطقة مسرحاً لأبشع مسرحيّة تآمريّة استعراضيّة انقلابيّة، شاءها أصحابها لتكون ردّاً على محوَر المقاومة في منطقة الوصل بين قطبَيه الإيرانيّ والسّوريّ، لكبح اندفاعه الصّاعد وحصاده لمكاسب في السّياسة والميدان، وقد رأوا في عمليّة الموصل ضربةً ملائمة لقطع الطّريق على تنامي إنجازات ذاك المحور في حربه الدّفاعيّة الّتي يخوضها في مواجهة المشروع الصّهيو-أميركيّ، الّذي يستهدف المنطقة برمّتها. وبالتّالي ينبغي أن نُسقِط فكرة القوّة والقدرة غير العاديّة لتنظيم داعش الإرهابيّ، وننظر للأمر بمنظورٍ واقعيٍّ.

الأهداف

بعد هذا التّأكيد، وخلافاً لظاهر الأمور، نجد أنّ أميركا هي القائد الرّئيسيّ في العملية، قادتها ومارست النّفاق المعهود في سلوكها متظاهرة بعدم علمها بها واستنكارها لها. ويخطئ مَن يظنّ بأنّ أميركا كانت بعيدة عن المسألة، خاصّة وأنّ اثنين من حلفائها هم مَن أداروها وموّلوها،

* نقلاً عن «شبكة هجر الثقافية».

وبالتّالي إنّ المثلّث المذكور بالقيادة الأميركيّة إتّكأ على الدّاعشيّين والضّبّاط الصّدّاميّين لتوجيه ضربة في العراق، تتردّد تداعياتها في إيران، فتجبرها على إعادة الانتشار الدفاعيّ على حدودها، وتمنعها من الاستمرار في تعهّد وتوسيع الفضاء الاستراتيجيّ لمحور المقاومة، كما تمنعها من استثمار نجاحها في إدارة الملفّ النّوويّ الّذي بات يقترب من نهايات تناسبها..

أمّا الهدف الثّاني من العمليّة (يعني خاصّة السّعوديّة وتركيا)، فهو يستهدف العمليّة السّياسيّة العراقيّة التي كانت أدّت في الانتخابات الأخيرة إلى تأكيد قدرة السيّد نوري المالكي والمكوّن السّياسيّ الّذي ينتمي إليه، قدرتهم على تشكيل حكومة قادرة على الحكم وتخرج من حالة التّعطيل والشّلل. وترى السّعوديّة وتركيا في قيام حكومة الأغلبيّة السّياسيّة الوطنيّة الّتي يسعى إليها المالكي والتّحالف الوطنيّ، من شأنه أن يقطع الطريق على أيّ نفوذٍ لهما في العراق وخروجه كليّاً من الفضاء الاستراتيجيّ الحيويّ لأيٍّ منهما.

والهدف الثّالث يتعلق مباشرةً باستراتيجيّة أميركا و«إسرائيل» في نشر الفوضى وتسعير الاقتتال العرقيّ الطائفيّ المذهبيّ، خاصّة بين السّنّة والشّيعة. ونلاحظ كيف أنّ التّنظيم التّكفيريّ الدّاعشيّ سارع إلى إصدار بيانٍ استفزازيٍّ يهدِّد بهدم المقامات والعتبات المقدّسة في العراق، وهو يعني الشّيعة بشكلٍ صريح.

أمّا الهدف الرّابع فيتّصل بسورية الّتي أنزلت بالجماعات الإرهابيّة أشدّ الهزائم والخسائر، فشاءت الجماعة الإرهابيّة الدّاعشيّة أن تحجب بمسرحيّتها تلك مشهدها الكئيب، وتصنع لنفسها جرعةً ترفع معنويات إرهابيّيها، بعد أن تهاوت نتيجة الإنجازات البالغة الأهمّيّة الّتي حقّقتها سورية في الوجوه السّياسيّة والعسكريّة والأمنيّة.

ارتدادات وتداعيات

بعد هذا التّشريح لنوايا المخطِّط والمنفِّذ وأهدافهما، نعود إلى النّتائج والتّداعيات الّتي سبّبتها العمليّة، ونتوقّف عند الأهمّ منها كالتّالي.

* يقظة عراقيّة وطنيّة وردّة فعل شبه جامعة، اتّسمت بالوطنيّة الّتي تجاوزت الخطوط الطّائفيّة والمذهبيّة، وكان مهمّاً جداً أن تتلاقى المرجعيّة الدّينيّة للمسلمين الشّيعة مع جماعة العلماء المسلمين السّنّة في موقفٍ واحدٍ رافضٍ للفكر الإرهابيّ.

* دفع السّلطة العراقيّة إلى تجاوز عوائق مزمنة كانت تعترض طريقها في بناء القوّة العسكريّة الدّفاعيّة الّتي تحمي الدّولة والحُكم في صيغة ما بعد الاحتلال الأمريكي، والسّير في اتّجاه تشكيل الجيش الرّديف واللّجان الشّعبيّة على غرار ما اعتمدت سورية، ونجحت في مواجهتها للإرهاب وحماية المواطنين.

* إيقاظ الوعي لدى بعض المخدوعين أو المغرَّر بهم من العراقيّين الّذين كانوا ضحيّة الإعلام الخارجيّ المحرِّض على الانقسام الطّائفيّ والمذهبيّ في العراق، حيث تبيّن لهؤلاء أنّ الإرهاب لا يميِّز بين مذهبٍ وآخر، ولا يراعي أحد.

* إنشاء ميدان عراقيّ سوريّ تكامليّ لمحاربة الإرهاب، ما سيقود بشكلٍ أو بآخَر وبتشجيعٍ ودعمٍ إيرانيّ، إلى تنامي التّنسيق بين البلدين في حربهما تلك، الأمر الّذي سيخفِّف من أعباء سورية ويسرِّع إنجاز المهمّة، والخروج من الأزمة.

* تنمية مخاوف دول المنطقة الّتي شملتها الخريطة الدّاعشيّة من الإرهاب القادم إليها، ووضع هذه الدّول أمام مسؤولياتها في الدّفاع عن أمنها ومواطنيها، خاصّة في الكويت والأردنّ.

* تشكّل دعم علنيّ دوليّ عارم للحكومة العراقيّة في حربها ضد الإرهاب الدّاعشيّ، وغياب أيّ صوت علنيّ داعم لتلك الجماعات، بما في ذلك مَن شاركها العملية مثل السّعودية وتركيا (باستثناء البحرين الّتي كانت النّشاز الوحيد دوليّاً).

* وأخيراً، لا بدّ من التّوقّف عند العامل الكرديّ الّذي يتوزّع الأدوار من أجل جمع المكاسب لدويلته في كردستان العراق، لكنّهم سيجدون أنفسهم في وضعٍ حرجٍ بعد انقشاع الغبار، ما سيضطرّهم للعودة إلى السّلطة المركزيّة العراقيّة طلباً للمساعدة.

قد تكون «مسرحيّة الموصل الدّاعشيّة» أحدثت صدمةً أخافت البعض للوهلة الأولى، لكنّها في منتهى الأمر كانت صدمة تحوّلت إلى فرصة تتيح للمستهدَفين منها سدّ الثّغرات في بنيتهم ومكوّناتهم، دون أن يكون لدى الفاعلين والمشاركين فُرَصاً حقيقيّة لتحقيق أهدافهم من العمليّة، لا بل قد يحصل عكس ما رَموا إليه، أمّا ما يقال عن خرائط وتقسيم هنا أو هناك، فإنّه يبقى أمراً غير قابل للتّنفيذ في ظلّ موازين القوى الدّوليّة القائمة؛ حيث أثبت المحور العامل من أجل استقرار المنطقة وأمنها – محور المقاومة – قدرته على منعه، وقدرته على استعادة الأمن والاستقرار رغم حجم التّضحيات الّتي فرضها الحريق العربيّ باليد الأجنبيّة.

«كَتَبَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِب»

نُسخة من المُصحف الشّريف، بخطّ أمير المؤمنين عليه السلام

من ذخائر «العتبة الرّضويّة المُقدّسة»

الصّورة المُرفقة هي لأحدى صفحات أجزاء من المُصْحَف الشّريف (من سورة هود إلى سورة الكهف) مكتوبة بخطّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، ومحفوظة في «مكتبة العتبة الرّضوية المُقدّسة» في مدينة مشهد الإيرانيّة.

وقد كتب الشّيخ بهاء الدّين العامليّ على ظهر هذا المُصْحَف بخطّ يده، ما يلي:

«هذا الجزء من القرآن المجيد - الذي هو بشريف خطّ سيّد الأوصياء، وحُجَّة الله على أهل الأرض والسّماء، نفسِ الرّسول، وزوج البتول، وأبي السّبطَيْن، وإمام الثّقلَيْن، والمخصوص باختصاص ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ..﴾، المُعزّز بإعزاز: «مَن كنتُ مَولاه فعَلِيٌّ مَولاه»، سلامٌ من الرّحمن نحو جنابه، فإنَّ سلامي لا يليقُ ببابِه - وقفٌ على الحضرة المُنَوّرة، المُقَدّسة المُطَهّرة، الرّضيّة الرّضويّة، على ساكِنِها ألفُ صلاة وسلام وتحيّة "..." وكان ذلك في شهر جمادى الأولى سنة ١٠٠٨ من الهجرة.

حرّره تراب أقدام خدّام العتبة المقدّسة الرّضويّة

بهاء الدّين محمّد العامليّ عُفي عنه».

***

وقد ذكر هذا المُصْحَف، السّيّد محسن الأمين، رحمه الله، في (أعيان الشّيعة) عند تعداده المصاحف المنسوبة إلى خطوط الأئمّة من أهل البيت عليهم السّلام، فقال:

«جزءٌ من القرآن المجيد مَنسوبٌ إلى خطّه الشّريف [أمير المؤمنين عليه السّلام] من أوّل سورة (هود) إلى آخر سورة (الكهف) «..» رأيناه في خزانة الكُتب الشّريفة الرّضويّة في ١٢ ربيع الثّاني ١٣٥٣، عند تشرُّفِنا بزيارة مشهد الرّضا عليه السّلام؛ مكتوبٌ على الجلد الرّقيق الّذي لا يفترق كثيراً عن الكاغد، بخطٍّ كوفيٍّ غير مُنقّط، وعليه نقَط بالحُمرة مُدوّرة، هي علاماتٌ على الشّكل "..." فَلِلكَسرة نقطةٌ تحت الحرف، وللفتحة نقطةٌ فوقَه، وللضّمّة نقطةٌ أمامه، وإذا كان في وسط الكلمة توضَع النّقطة بجانبه، وللتّنوين نقطتان فوقَه للمنصوب، وتحتَه للمخفوض، وأمامَه للمرفوع، أمّا الحرف السّاكن فليس عليه علامة "..." وهذا بعينه تنقيطُ المَصاحِف الّتي رأيناها، وهو يُؤيِّد أنّها بخطوطهم عليهم السّلام. وفي آخره في سطرَين هكذا: (**كتبَه عليُّ بن أبي طالب**).

وجِلدُه مُذَهَّب، موضوعٌ في صندوقٍ مُذهَّب، كِلاهما في غاية الإتقان "..." عدد أوراقه ٦٨، سطور كلّ صفحة ١٥، طوله ٣٤ سانتيماً، عرضه ٢٣ سانتيماً، قُطره ٣ سانتيمات».

ثمّ أَوْرَدَ السّيّد الأمين، ما كتبه الشّيخ بهاء الدّين العامليّ على ظهر المُصْحَف.

***

يُشار إلى أنّ الآيات التي تظهر في هذه الصّفحة المعروضة، هي من سورة النّحل، الآية ٧٨، من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ..﴾ إلى الآية ٨١ (باستثناء الكلمة الأخيرة منها): ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ..﴾.

دوائر ثقافيّة

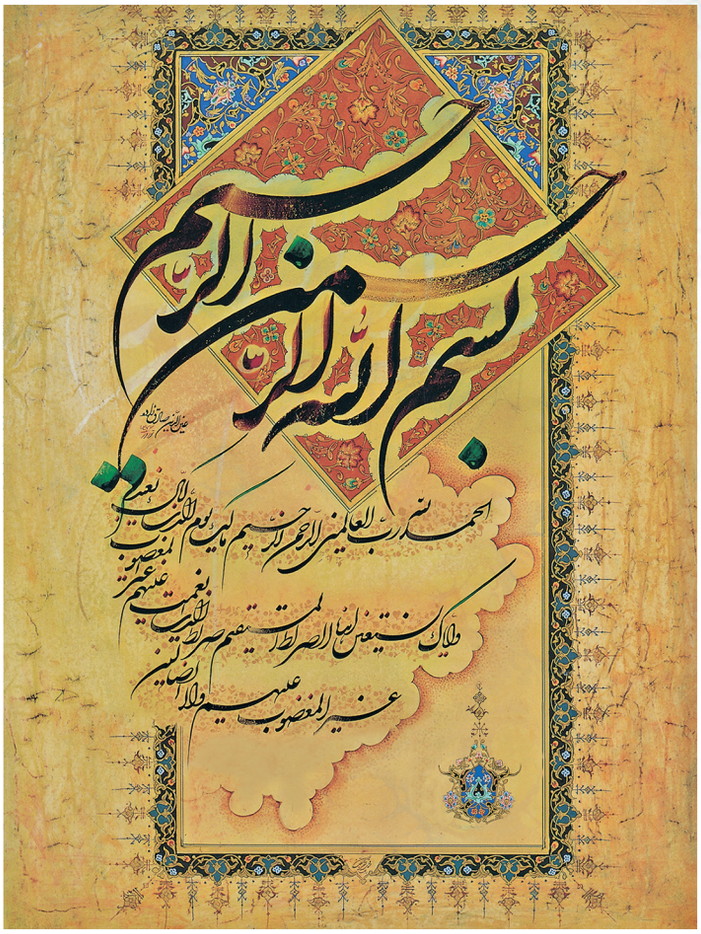

موقف	أقسام الإمساك في الصّيام	السّيّد حيدر الآمليّ قدس سره
فرائد	البدن، أعظم أغلال الرّوح	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	«أميركا والإبادات الثّقافيّة»	قراءة: سلام ياسين
بصائر	شهادة أمير المؤمنين عليه السلام	تنسيق: «شعائر»
مصطلحات	الورَع	إعداد: «شعائر»
مصطلحات	الاستعمار	رفيق جويجاتي
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة

﴿..إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾

أقسامُ الإمساك في الصّيام

الفقيه العارف السّيّد حيدر الآمليّ قدس سره

فصّلَ الفقيه العارف السّيّد حيدر الآملي في تفسيره (المحيط الأعظم)، الكلامَ على أصناف الإمساك المحمود في الصّيام، موزِّعاً إيّاها على الجوارح والجَنان، وفرَّع على كلٍّ منهما عدّة عناوين، وقد اخترنا منها الثّلاث الأُوَل في إمساك الجوارح، ثمّ ختمَ رحمه الله بالإشارة إلى أنّ الجَوارحَ آلاتٌ للقلب، لا غير، وأنّ الغاية من كفِّها هو خشوعُه وخضوعه للباري تعالى، وهو التّقوى الذي شُرِّع لأجل تحقُّقه الصّيام.

الإمساك الأوّل هو إمساك اللّسان عن فضول الكلام وعن كلّ ما يخالف رضا الله تعالى وإرادتَه من الأوامر والنّواهي، فالله تعالى أمرَ السّيّدة مريم عليها السلام، في صومِها، بالإمساك عن الكلام: ﴿..فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ مريم:٢٦. ويُعلَم صدقُ هذا أيضاً من قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا..﴾ مريم:٢٥-٢٦. فَهذا أَمرٌ بالأكل والشّرب، وذاك أمرٌ بالسّكوت عن فضول الكلام، فعرفنا أنّ أعظم الصَّوم: السّكوتُ عن فضول الكلام، ولو لم يكن كذلك، ما قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «**مَن صَمتَ نجا**».

والحكمةُ في ذلك أنّ صمت الظّاهر من القول باللّسان سببٌ لنُطق الباطن والقولِ بالجَنان، ولهذا عندما سكتت مريم عليها السلام عن القول باللّسان، نطقَ عيسى عليه السلام في المَهد بالبيان، وأنّه خليفة الرّحمن، فافهم جدّا فإنّه دقيق.

إمساك البصرُ

إمساكُ البصر: ويُراد به كفّه عن مشاهدة المحرّمات والمنهيّات مطلقاً، وعن المحلَّلات والمباحات إلّا بقدر الضّرورة، لأنّ الورع والتّقوى ليسا في اجتناب المحرّمات والمنهيّات فقط، بل التّحرّز عن المباحات إلّا بقدر الحاجة والضّرورة، وإلى هذا المعنى أشار الحقّ تعالى في قوله: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ..﴾ النّور:٣٠، لأنّ غضَّ الأبصار لازمٌ لحفظ الفروج في الأغلب، فمَن لم يشاهد الشيءَ لم تطلبه نفسه، ولا يكون له مَيلٌ إليه، فغَضُّ الأبصار له دخلٌ عظيم في حفظ الفروج الّتي هي مادّة كلّ فساد وسببُ كلّ شرّ. قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ المؤمنون:١، إلى قوله

> **صمتُ اللّسانِ عن فضول الكلام، مقدّمةٌ لنُطق الجَنان.**

عزّ وجلّ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ..﴾ المؤمنون:٥-٦.

إمساكُ السّمع عن اللّغو

وأمّا الإمساكُ الثّالث، فكَفُّه عن الاستماع إلى ما حرّم الله تعالى عليه، وعلى المكلَّفين مطلقاً، كالغِيبة للمسلم واستماع التّغنّي بالحرام، واستماع كلامِ أهل الضّلال، والفَسَقة من أهل البِدَع، ممّا يكون سببَ انحرافه عن طريق الحقّ، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ..﴾ الأنعام:٦٨، ونحوها من الآيات.

مرجعُ كلّ حِسّ، هو الفؤاد

قال تعالى: ﴿..إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ الإسراء:٣٦. فالفؤاد، وإن لم يكن داخلاً في الحسّ الظّاهر، لكن الكلّ يرجع، في الحقيقة، إليه، لأنّ الحواسّ [الجوارح] ليس لها شعورٌ بنفسها، بل هي آلاتٌ للمعبَّر عنه بـ «الفؤاد»، أو بـ «العقل»، أو بـ «الرّوح»، فإنّها الشّاعر بالحقيقة. لأنّ حاسّة البصر – على سبيل المثال – عاجزةٌ بنفسها عن معرفة أنّ الشّمسَ أكبر من الأرض بكذا مقدار، فإنّ من الكواكب ما يكون حجمَه أضعافَ الأرض، فتَراه الباصرةُ بقدر القرص أو التِّرس، وتتوهّم أنّه كذلك، وما ذلك إلّا لمحدوديّة قوّة إدراكها.

(بتصرّف)

فرائد

ابن التَّيِّهان، وذو الشّهادتَين

«ابنُ التَّيِّهان، بالياء المنقوطة باثنتَين تحتها، المشدّدة المكسورة، وقبلَها تاء منقوطة باثنتَين فوقها، ذكرَه ابنُ أبي الحديد، وجوَّز فتحَ الياء أيضاً. والمضبوطُ في أكثر النُّسَخ بالياء السّاكنة، وفتح التّاء وكَسْرِها معاً.

وفي القاموس: وتيّهان مشدّدة الياء، ويُكسَر، وهو أبو الهيثم، واسمُه مالك.

وقال ابنُ أبي الحديد: الصّحيح أنّه أدركَ صفِّين وشهدَها مع عليٍّ عليه السلام. وقيل: تُوفِّي في زمنِ الرّسول صلى الله عليه وآله.

وذو الشّهادتين هو خزيمة بن ثابت، وقصّته مشهورة، يُكنّى أبا عمارة، شهدَ بدراً وما بعدَها من المشاهد، وشهد صفِّين مع عليٍّ، عليه السلام، فلمّا قُتلَ عمّار، قاتلَ حتّى قُتِلَ».

(المجلسيّ، بحار الأنوار)

وابن التَّيِّهان هو الّذي يقول أمير المؤمنين فيه، وفي نظائره: «**أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ..**».

.. فَإذا دَخَلَ، فَهُوَ المَأْثورُ

«..عن عبد الله بن جعفر الحميريّ، قال: حدّثني محمّد بن الفضل البغداديّ، قال: كتبتُ إلى أبي الحسن العسكريّ عليه السلام: جُعِلتُ فداكَ، يدخلُ شهرُ رمضانَ على الرّجل، فيَقعُ بقلبِه زيارةُ الحسين عليه السلام، وزيارةُ أبيك عليه السّلام ببَغداد. فيُقيم في منزله حتّى يخرجَ عنه شهر رمضان ثمّ يزورهم، أو يخرج في شهر رمضان ويُفطر؟

فكتبَ عليه السّلام: **لِشَهْرِ رَمَضانَ مِنَ الفَضْلِ وَالأَجْرِ ما لَيْسَ لِغَيْرِهِ مِنَ الشُّهورِ، فَإِذا دَخَلَ فَهُوَ المَأْثورُ**».

(الشّيخ الطّوسيّ، تهذيب الأحكام)

البَدن، أعظَمُ أغلالِ الرُّوح

«فصل: فإذاً، فَاعْلَمَن أنّ الحقَّ المتَّضِحَ لأُولي البصائر العقليّة وضوحاً لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيه، ومن خَلفِه، وعن يمينِه، ولا عن شمالِه، إنّ البدن – وإنْ كان لا مندوحةَ عنه في اقتناصِ العلوم، واصطيادِ المعارف – فهو بغَواشيه، وغواسقِه، وعوارضِه، وعلائقِه، أعظمُ أغلالِ الجَوهر».

(الفيلسوف الفقيه المحقّق الدّاماد، السّبع الشّداد)

المسلك الأخلاقيّ للعلّامة الطّباطبائيّ قدس سره

«الفرقُ الواضحُ الّذي كانَ يميّزُ العلّامة الطباطبائيّ عن الآخرين، هو أنَّ أخلاقيّاته كانت ناشئةً من رشَحَاتِ الباطن، وبصيرةِ الضّمير، وحُلولِ حقيقة السَّير والسُّلوك في باطنِ القلبِ والذِّهن، وتَمايُزِ عالَم الحقيقة والواقعيّة عن عالَم المجاز والاعتبار، والوصولِ إلى حقائقِ عوالمِ المَلَكوت. وفي الحقيقة، تنزّل مقامه المعنويّ في عالَم الصّورة وعالَم الطّبع والبَدن، وكانت معاشراتُه ومعاملاته وسائرُ أمُوره تقوم على ذلك الأصل.

أمّا مَسلَكُ غيره في الأخلاق، فقد كان ناشئاً من تَصحيح الظّاهر، ورعايةِ الأُمور الشّرعيّة والمراقبات البدنيّة، لعلّهم يفتحونَ بذلك نافذةً على الباطن، ويَجِدونَ طريقاً إلى جوار الحَضرة الأحديّة. رحمَ اللهُ الماضين».

(العلّامة الطّهرانيّ، الشّمس السّاطعة)

أطماعُ الدّول المُستعمِرة

«قرأتُ في ما قرأتُ، أنَّ لدى الدُّول الكبرى قنابلَ، الواحدة منها في طاقةِ مائة مليون طنّ من المُتفجّرات، وأنّها يُمكن أن تقتلَ في لحظات مائةً وعشرين مليون نسمة، وأنَّ سفنَ الفضاء تزوّدُ الطّائرات الحربيّة بِصُورٍ دقيقة للأهداف والمُنشآت الّتي يريد العدوّ تدميرَها، كما تصوِّرُ ثرواتِ الأرض الّتي يطمعُ بها أهلُ الاحتكار والاستغلال، ويدلُّنا هذا على كَذَب الدّعايات الّتي يُذيعها أصحابُ هذه المخترعات، بأنّ الغايةَ منها السّلم، ورفاهيّةَ الإنسان وسعادتَه، وحَمْلَه في رحلاتٍ ترفيهيّةٍ إلى القَمَر، والزُّهَرة».

(الشّيخ محمّد جواد مغنيّة، هامش التّفسير الكاشف)

(أميركا والإبادات الثّقافيّة..)
حقائق ووثائق في تاريخها العنصريّ*

قراءة: سلام ياسين

الكتاب: (أميركا والإبادات الثّقافيّة.. لعنة كنعان الإنكليزيّة)

المؤلّف: منير العكش.

النّاشر: دار رياض الرّيّس للكتب والنّشر، بيروت ٢٠٠٩م.

كتاب (أميركا والإبادات الثّقافيّة.. لعنة كنعان الإنكليزيّة) للدّكتور منير العكش، يتناول نشوء الولايات المتّحدة الأميركيّة كدولةٍ ونظامٍ على مبدأ احتلال الأرض، واستبدال شعبها الأصليّ بشعبٍ آخر، في إطار نظريّةٍ عنصريّةٍ تُشَرعِن إبادة الآخَر جسداً، وثقافةً، وكياناً اجتماعياً باسم الدِّين والحضارة، في إطار الفكر المنفعيّ الرّأسماليّ، الّذي طبّقه المهاجرون الإنجليز على كافّة المستوطنات الّتي أقاموها في العالم.

يقدِّم الكتاب - وهو ليس الأوّل في هذا المجال للدّكتور العكش، أستاذ الإنسانيّات واللّغات الحديثة، ومدير الدّراسات العربيّة في كلّيّة الفنون والعلوم بـ «جامعة سفك» بولاية بوسطن الأميركيّة - لمحة تاريخيّة للإبادة الجماعيّة بحقّ الهنود الحمر، ويكشف الأسس الأيديولوجيّة والثّقافيّة الّتي اعتمدها المهاجرون الأنجليز الأوائل، تنفيذاً مباشراً لفكرة «شعب الله المُختار»، القادم إلى مجاهل العالم، حاملاً مشعلَي الحضارة والتّمدُّن، معتبراً السّكّان الأصليّين «مجموعة كنعانيّة» لا تستحقّ سوى الموت بوجهَيه الثّقافيّ والماديّ، كما فعل اليهود في فلسطين، لإقامة دولة «إسرائيل».

الكتاب يضمّ العديد من الوثائق التّاريخيّة، وخارطة تُبيِّن انتشار المستعمرات البريطانيّة وتوزُّعها في العالم. واللّافت للنّظر أنّه يتناول وثائق تاريخيّة تُبيِّن على لسان أصحابها الطّريقة المنهجة الّتي اتّبعها المستوطنون في القضاء على الهنود الحُمر لتثبيت احتلال الأرض وفق مبدأ «أرض بلا شعب»، بما أنّ الهنود الحمر، وتبعاً «للأيديولوجيا الاستعماريّة الإنجليزيّة»، ليسوا شعباً، وإنّما مجرد حيوانات تعيش بلا أخلاقٍ، وبهمجيّةٍ بربريّةٍ لا يمكنها أن تقدِّم سوى الخراب.

الثّوابت التّاريخيّة

ويعرض د. العكش - وهو سوريّ بالمولد، فلسطينيّ بالاختيار كما يقول - الثّوابت التّاريخيّة الخمسة الّتي رافقت نشوء أميركا وتأسيسَها، بل إنّ المُتابع للسّياسات الأميركيّة يرى أنّها لا تزال مستمرّة، وإنّما بأدواتٍ مختلَقة، وهي:

١ - المعنى «الإسرائيليّ» لأميركا.

٢ - عقيدة الاختيار الإلهيّ والتّفوُّق العرقيّ والثّقافيّ.

٣ - الدّور الخلاصيّ للعالم.

٤ - التّوسُّع اللّانهائيّ.

٥ - حقّ التّضحية بالآخَر.

> «اللّغة والدِّين هما خطّ الدّفاع الأخير للهنود الحُمر، ولا بدّ من القضاء عليهما».

هذه هي الأُسُس الفكريّة والثّقافية الّتي يطرحها الكتاب وبالتّفصيل لولادة بلاد العمّ سام، منذ اكتشاف كريستوف كولومبس العالم الجديد، حيث يحتفل الأميركيّون بهذا المستكشف بأنّه الرّجل الّذي قدّم للبشريّة تجربةً إنسانيّةً قامت على مبادئ الحرّيّة والدّيمقراطيّة، مُتناسين أنّ هذه القوّة الأعظم في العالم بالمعايير الجيوبولوتيكيّة الحاليّة، نشأت وترعرعت وقَويت على أجساد الهنود الحمر سكّان القارّة الأصليّين، الّذين حُرِموا حتّى حقّ الاحتفاظ بهويّتهم الثّقافيّة ومجتمعاتهم، ليتحوَّلوا بنظر المبشّرين بالحضارة الإنكلوساكسونيّة إلى مجرّد فائضٍ تاريخيّ.

ويقدّم الكتاب عدّة وثائق تاريخيّة تعطي القارئ فكرةً عن هويّة أميركا الحقيقيّة، الأمر الّذي يعيد طرح الأسئلة المهمّة

* نقلاً عن صحيفة «النّهار» الكويتيّة، باختصار وتصرّف.

حول الطّبيعة الفكريّة، والعقليّة الأخلاقيّة، الّتي قامت عليها «المؤسّسات الدّيمقراطيّة» في الولايات المُتّحدة.

من هذه الوثائق، فقرة وردت في إحدى محاضر جلسات الكونغرس الأميركيّ في القرن التّاسع عشر، تقول: «يجب مساعدة الحضارة على إبادة الهنود، كما أمر الله يشوع أن يبيد الكنعانيّين الّذين لم يكونوا يختلفون عن هنود اليوم، ثمّ إنّه عوقب على تقاعسه عن الانصياع لأمر الله».

هذه الوثيقة بمنزلة تنظير متقدّم لِشَيطنة الآخَر، عبر إطلاق صفة «الكنعانيّ» عليه، استحضاراً لما يُروَّج له عن الخلاف التّاريخيّ بين اليهود والكنعانيّين.

ويشرح د. العكش، في كتابه، مفهومَ «الكَنعنة» كسلاحٍ اعتمده المهاجرون الإنجليز في كلّ بلاد العالم الجديد، ومنها أستراليا ونيوزيلندا من أجل إبادة شعبٍ واستبدالِه بآخر.

القنبلة الثّقافيّة

«اللّغة والدِّين هما خطّ الدّفاع الأخير للهنود، ولا بدّ من القضاء عليهما»، بهذه العبارة الّتي قالها مُؤسِّس «مدارس الهنود الحمر» في أميركا الكابتن ريتشارد هنري برات، يقدِّم الفصل السّادس من الكتاب الآليّة التّنفيذيّة لِكَنعنة الآخر، انطلاقاً من القاعدة المعروفة بأنَّ اللّغة والدِّين هما من المكوِّنات الحضاريّة والوجوديّة لأيِّ أُمّة، فالتّوالي الجيليّ لأُمّةٍ ما قد يعطيها القدرة على البقاء المادّيّ، في حين أنَّ سَلْخَها عن هويّتها الثّقافيّة يجعلها غير قابلة للتّجديد والحياة والتّطوّر، وبالتّالي تصبح أكثر قابليّة للتّبعيّة والتّلاشي في ظلّ القوّة الأكبر والأقوى ثقافيّاً، حتّى لو كانت تمتلك حضارةً ما عبر التّاريخ.

وتحديداً - في ما يتعلّق بهذه الجزئيّة - يستعرض الكاتب القنبلة الثّقافيّة الّتي أُبيدَ بواسطتها الهنود الحمر روحيّاً، وتحوَّلوا معها إلى مجرّد ظلٍّ في إطار الجغرافيا والتّاريخ، وذلك بهدف احتلال أرضهم والاستفادة من ثرواتها العامرة، مع الإشارة إلى أنَّ فهم هذه القنبلة الثّقافيّة بمعناها المجازيّ الواسع - كما يشرحها الكتاب استناداً إلى أقوال مؤسِّسي صانعيها - تقدّم، وبطريقةٍ مباشرة، قراءةً ولو على المستوى الدّلاليّ فقط للتّركيبة البنيويّة للعقليّة الّتي ألقت بالقنبلة الذّرّيّة على ناغازاكي وهيروشيما في اليابان.

ويوضح الكتاب الهدف الّذي أُنشئت من أجله مدارس تعليم الهنود الحمر، كما يَرِد على لسان ويليام جونز، أحد مسؤولي «مكتب الشّؤون الهنديّة» - الّذي كان يعتبر بمنزلة المؤسّسة الرّاعية لمصالح الهنود، أو السّلطة الوطنيّة للهنود - بقوله إنّ الهدف من إنشاء هذه المدارس هو إبادةُ الهنديّ بمعناه الثّقافيّ، وخَلْقُ بديلٍ عنه يرضى بالأمر الواقع.

> «لا بدَّ للطّفل الهنديّ من أن يتعلّم كلمة (أنا) بدلاً من (نحن)، و(هذا لي) بدلاً من (لنا)...».

لذلك يقول الكتاب إنَّ اللّغة كانت من المحرّمات الأساسيّة على الهنود، باعتبارها محرِّكاً أساسيّاً لتطوّر الهويّة الثّقافية والنُّظم الاجتماعيّة، الّتي تجعل من المجتمع الهنديّ الأحمر يمتلك سلاح الاستمرار في التّصديّ للغزو الإنكلوساكسونيّ. كما يستعرض الكتاب شهادات لأطفال من الهنود الحمر، انتُزِعوا بقوّة السّلاح من أُسَرِهم إلى معازل خاصّة تجرِّدهم من كلِّ شيءٍ وأوّلها الاسم، حيث تحوَّلت الأسماء الهنديّة المُحاكية للطّبيعة إلى أسماء إنجليزيّة مسيحيّة، في أوّل خطوات الإبادة الثّقافيّة.

وباسمِ الحضارة والتّمدُّن التي ساقها المُستوطنون الحالمون بـ «إسرائيل الله»، استناداً إلى مبادئ البيورتانيّين (الأطهار كما كانوا يطلقون على أنفسهم) وعقائدهم، المخلّصين للكنيسة البروتستانتيّة، كانت الإبادة الثّقافيّة مقدّمة لفكرة استبدال شعب بشعبٍ آخَر.

أمّا أنصار التّمدين، فكانوا يعلمون أنَّ اغتصاب هذه الأرض (أميركا) بغير الحرب، لا يتمّ إلّا بتفخيخ الثّقافة الهنديّة ذات البُنْيَة الاجتماعيّة المتماسكة، لتدمير نظام التّكاتُف الاجتماعيّ، وتقاسم الملكيّة العامّة، واستبدالِ دماغ الهنديّ بدماغٍ أبيض يؤمن بالملكيّة الخاصّة.

ويوثِّق المؤلِّف هذه المقولة بعبارة لمفوّض الشّؤون الهنديّة جورج مانبيبني، يقول فيها: «لا بدَّ للطّفل الهنديّ من أن يتعلّم كلمة (أنا) بدلاً من (نحن)، و(هذا لي) بدلاً من (لنا)... إلخ، ليتنازل طوعاً عن ما يملك».

وهنا يوضح الكتاب الفكرة المنفعيّة الّتي قامت عليها المستوطنات الأميركيّة الأولى عبر شَيطنة الآخَر، ومنْح المُسوّغات المدعومة دينيّاً وأخلاقيّاً ومؤسّساتيّاً، لإبادة هذا الآخَر وجوديّاً وثقافيّاً، من أجل السّيطرة عليه.

الوَعْدُ الحَقّ *

شهادةُ أمير المؤمنين عليه السلام

تنسيق: «شعائر»

منذ أن بزَغَ نورُ الإسلام ونورُ المصطفى محمّد، صلّى الله عليه وآله، كان الإمامُ عليّ بن أبي طالب، عليه السّلام، قرينَ الحقّ الّذي لا يفارقه، فبلغ في بصيرته أرقى الدّرجات، ووصل في يقينه إلى أعلى المقامات.. ولكنّه حُسِد؛ إذ كُلُّ مَوْهُوبٍ مَحْسُودٌ - كما قال هو سلامُ الله عليه.

لم يقفِ الأمر عند الحَسد، بل تفاقم حتّى تَحوّل إلى تفكيرٍ جادٍّ باغتيال تلك الشّخصيّة الإلهيّة المُتفرّدة، وكان الباطل دائماً يَكيدُ الحقَّ، كما هو دأب الشرّ يكيد دوماً الخيرَ، ويتحيّن الفرصة للغدر وللقتل؛ لأنّ علياً عليه السلام قد مُلئ خيراً، ولأنّ الحقّ تجسّد فيه حتّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عَلِيٌّ مَعَ الحَقِّ، وَالحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ»، ودعا له، ودعوته بالغةٌ مستجابة: «اللَّهُمَّ أَدِرِ الحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ».

وكأنّ الإمام علياً عليه السلام صار مُتَّبعاً والحقُّ تابعٌ له، وكأنّه، سلام الله عليه، صار أوضحَ من الحقّ، أو أنّه أصبح هو الحقّ في أجلى مصاديقه.. حتّى أنّ الحقّ الّذي يطلبُه النّاس لا بدّ لهم أن يعرفوه من خلال عليٍّ، سلامُ الله عليه، لأنّ الحقّ أصبح - بدعوةٍ نَبويّةٍ مُستجابة - يدور مع عليٍّ حيثما دار عليٌّ، عليه السلام.

ومن هنا أخذ الباطل يجنّد أهله ويُثير في دفائنهم كلَّ حقدٍ وحسدٍ وغِلٍّ وثأرٍ، ليكونوا جادّين غير مُتردّدين في اغتيال الحقّ الّذي تجسّد في الإمام عليٍّ عليه السلام وتمثّل فيه. والإثارةُ لا بدّ منها، والحَسدُ أحدُ المُثيرات المُؤثّرة، حتّى تأتي السّاعة المناسبة!

لمّا نزل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ العنكبوت:١-٢، قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «عَلِمْتُ أَنَّ الفِتْنَةَ لا تَنْزِلُ بِنا وَرَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنا، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ! ما هَذِهِ الفِتْنَةُ الّتي أَخْبَرَكَ اللهُ تَعالى بِها؟ فَقالَ: يا عَلِيُّ! إِنَّ أُمَّتي سَيُفْتَنونَ مِنْ بَعْدي؛ فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، أَوَ لَيْسَ قُلْتَ لي يَوْمَ أُحُدٍ: "..." أَبْشِرْ؛ فَإِنَّ الشَّهادَةَ مِنْ وَرائِكَ؟ فَقالَ لي: إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ؟ فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، لَيْسَ هَذا مِنْ مَواطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِن مَواطِنِ البُشْرى وَالشُّكْرِ».

وتستمرّ البشائر وافدةً على الإمام عليّ عليه السلام، أنّه المظلوم بعد النّبيّ، صلى الله عليه وآله، وأنّه لم يكن ظالماً يوماً لأحدٍ قطّ - حاشاه وألف حاشاه - وأنّه لا بدّ يوماً أن يُغتال عاجلاً أو آجلاً، قَصُر الزّمن به أم طال، ولكن: على أيّة حال، وكيف وأين ومتى؟!

يروي لنا الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله خطب مُستقبِلاً شهرَ رمضان، ذاكراً فضائل هذا الشّهر، وبعد فقرات وعبارات من خطبته الشّريفة، قام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فقال: يا رسول الله، ما أَفْضَلُ الأَعْمالِ في هَذا الشَّهْرِ؟ فقال صلّى الله عليه وآله: يا أبا الحَسَنِ، أَفْضَلُ الأَعْمالِ في هذا الشَّهْرِ الوَرَعُ عَنْ مَحارِمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وهنا ينفجر النّبيّ صلى الله عليه وآله بالبكاء، فيسأله الإمام عليّ عليه السلام: «يا رَسولَ اللهِ، ما يُبْكيكَ؟!»، فقال ووجهه يتلألأ بالدّموع، وصوته الحزين يصل إلى مسامع المسلمين في المسجد: «يا عَلِيُّ! أَبْكي لِما يُسْتَحَلُّ مِنْكَ في هَذا الشَّهْرِ، كَأَنّي بِكَ وَأَنْتَ تُصَلّي لِرَبِّكَ.. وَقَدِ انْبَعَثَ أَشْقى الأَوّلينَ وَالآخِرينَ، شَقيقُ عاقِرِ ناقَةِ ثَمودَ، فَضَرَبَكَ ضَرْبَةً عَلى قَرْنِكَ، فَخَضَّبَ مِنْها لِحْيَتَكَ».

وهنا كان للإمام عليّ عليه السلام سؤاله الأوحد: «**يا رَسولَ اللهِ! وَذَلِكَ في سَلامَةٍ مِن دِيني؟**»، فقال صلّى الله عليه وآله يبشّره أيضاً: «**في سَلامَةٍ مِنْ دِينِكَ**».

* * *

وتقترن البشارة بعَرض الظُّلامة وبيان المأساة الّتي ستحلّ بأهل البيت النّبويّ ثمّ بالمسلمين؛ إذ سيُحرَمون من ذلكم الوجود الإلهيّ الشّريف على الأرض، بعد أن كان فرصةً عظمى لهم لأن يتنعّموا بعلومه وحِكَمه وأنفاسه القُدسيّة العابدة لله تبارك وتعالى. وفي (حِلْية الأولياء) يروي مؤلّفُه الحافظ أبو نعيم الأصفهانيّ، بسنده عن أبي برزة، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ

* نقلاً عن الموقع الإلكترونيّ لشبكة الإمام الرّضا عليه السلام.

الله تعالى عهِدَ إليَّ عَهْداً في عليٍّ، فقُلْتُ: يا ربِّ بيِّنْهُ لي، فقالَ: اسْمَعْ، فقُلْتُ: سَمِعْتُ، فقالَ: إنَّ عليّاً رايةُ الهُدى، وَإمامُ أَوْلِيائي، ونورُ مَنْ أَطاعَني.. وَهُوَ الكَلِمَةُ التي أَلْزَمْتُها المُتَّقينَ. مَنْ أَحَبَّهُ أَحَبّني، وَمَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَني، فَبَشِّرْهُ بِذَلِكَ.

فَجاءَ عَلِيٌّ [والحديث للنبيّ صلى الله عليه وآله] فَبَشَّرْتُهُ، فقالَ: يا رَسولَ اللهِ! أَنا عَبْدُ اللهِ وَفي قَبْضَتِهِ، فَإِنْ يُعَذِّبْني فَبِذَنْبي، وَإِنْ يُتِمَّ لِيَ الّذي بَشَّرْتَني بِهِ.. فَاللهُ أَوْلَى بِهِ.

قال رسولُ الله، صلى الله عليه وآله: قُلْتُ: أَللَّهُمَّ اجْلُ قَلْبَهُ، وَاجْعَلْ رَبيعَهُ الإيمانَ؛ فَقالَ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ بِهِ ذَلِكَ. ثُمَّ إنَّهُ رَفَعَ إِلَيَّ أَنَّهُ سَيَخُصُّهُ مِنَ البَلاءِ بِشَيْءٍ لَمْ يَخُصَّ بِهِ أَحَداً مِنْ أَصْحابي؛ فَقُلْتُ: يا رَبِّ! أَخي وَصاحِبي، فَقالَ: إنَّ هَذا شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ، إِنَّهُ مُبْتَلى.. وَمُبْتَلى بِهِ!».

وفي (تاريخ بغداد) للخطيب البغداديّ، و(كنز العمّال) للمتّقي الهنديّ، عن عليٍّ عليه السلام، قال: «بَيْنا رَسولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آخِذٌ بِيَدي وَنَحْنُ نَمْشي في بَعْضِ سِكَكِ المَدينَةِ.. فَمَرَرْنا بِحَديقَةٍ، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ! ما أَحْسَنَها مِنْ حَديقَةٍ! قالَ: لَكَ في الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْها.

حَتّى مَرَرْنا بِسَبْعِ حَدائِقَ، كُلُّ ذَلِكَ أَقولُ: ما أَحْسَنَها! وَيَقولُ: لَكَ في الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْها. فَلَمّا خَلا لَهُ الطَّريقُ اعْتَنَقَني ثُمَّ أَجْهَشَ باكِياً، قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ ما يُبْكيكَ؟! قالَ: ضَغائِنُ في صُدورِ أَقْوامٍ لا يُبْدونَها لَكَ إِلّا مِنْ بَعْدي. قُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ! في سَلامَةٍ مِنْ دينِي؟ قالَ: في سَلامَةٍ مِنْ دِينِكَ».

ونقلت عائشة، قالت: «رأيتُ النّبيَّ صلّى الله عليه وآله التزمَ عليّاً وقبّله، ويقول: بِأَبي الوحيدُ الشّهيد!».

* * *

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على يقينٍ ممّا سيجري عليه، وقد فوّض أمرَه إلى بارئه، ولم يتجاوز حدود الله تعالى؛ فكم روَوا أنّه، عليه السلام، قرأ لابن ملجَم المراديّ هذا البيت [لعمرو بن معد يكرب الزّبيديّ]:

أُريـدُ حَـيـاتَـهُ وَيُريـدُ قَتْلي ... عَذيرَكَ من خَليلِكَ مِنْ مُرادِ

وقد سمعه النّاس يقول مشيراً إليه: «أَمَا إِنَّ هَذا قاتِلي»، فقالوا له: فما يمنعك منه [أي مِن معاقبته]؟! قال: «إِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْني بَعْدُ».

أجَل، لم يتجاوز فيقيم حدّاً أو قصاصاً قبل الجناية، وكان يعلم بمنيّته الّتي اختارها الله تعالى له: في أشرف البقاع.. المسجد، وفي أشرف الشّهور.. شهر رمضان، وفي أشرف اللّيالي.. ليلة القدر، وفي أشرف الحالات.. السّجود، وقد اشتهر الحديث الشّريف: «أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ ساجِدٌ».

وقد حلّت تلك اللّيلة الّتي وُعِد بها، فأكثرَ، عليه السّلام، الخروجَ والنّظرَ إلى السّماء.. هكذا يذكر ابن حجر في (الصّواعق المحرقة)، مُضيفاً: فلمّا كانت اللّيلة الّتي قُتل في صبيحتها، جَعَل يقول: «وَاللهِ ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ، وَإِنَّها اللّيلةُ الّتي وُعِدتُ». فلمّا خرج وقتَ السَّحَر ضرَبَه ابن ملجَم الضّربةَ الموعود بها!

وقد تقدّم للشّهادة مرّاتٍ وكرّات، وتمنّاها خاتمةً طيّبةً حتّى أراح خاطرَه الشّريف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وبَشّره بها. فإذا تقدّم لها في موعدها الحقّ، قال، عليه السّلام، مُتوجّهاً بروحه القدسيّة إلى الله تبارك وتعالى: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا في المَوْتِ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا في لِقائِكَ». فإذا هبط السّيف الظّالم على رأسه الشّريف صاح مؤذّناً في الأزَل والأبَد: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ. لكنّ جبرئيل هتف مرهوباً بين الأرض والسّماء: تَهَدَّمَتْ وَاللهِ أَرْكانُ الهُدى!

«أَللّهُمّ أَدِرِ الحَقَّ مَعَهُ حَيثُ دَار». بهذه الدّعوة النبويّة أصبحَ عليٌّ عليه السلام مُتَّبَعاً، وأصبحَ الحَقُّ تابعاً له.

أَذَّن عليٌّ عليه السلام في الأَزَل والأبَد: فُزْتُ وَربِّ الكَعبة، لكنّ جبرئيل هتف مرهوباً: تَهَدَّمَتْ وَاللهِ أَرْكَانُ الهُدى!

مصطلحات

الوَرَع

الكَفُّ عن المحرّمات والأغراض الدّنيويّة

إعداد: «شعائر»

كلامٌ منتخَبٌ باختصار من مصادر متعدّدة، في معنى مصطلح «الوَرَع»، وأقسامه، ومُسَبِّباته وما يترتّب عليه، وفي كَونه جُنَّةً دون بلاءات الدّنيا، وعقوبات الآخرة، وأنّه مرادِفٌ للتّقوى واجتناب الشُّبُهات.

وردت عدّة تفسيرات لمصطلح الورع، منها:

١- «الورَعُ، في الأصل، الكَفُّ عن المحارم والتّحرُّج منها، يُقال وَرِعَ الرّجلُ يَرِع، بالكسر فيهما، وَرَعاً وورعةً، فهو وَرِع: إذا كفَّ عمّا حرّم اللهُ انتهاكَه، ثُمّ استُعملَ في الكفّ المطلق.

والمُوارعة: المُناطقة والمُكالمة. ولعلّ منه الحديث على بعض النّسَخ: ..**وَمَأْواه** - يعني العلم - **المُوارَعَةُ**».

(مجمع البحرين، الشّيخ الطّريحيّ)

٢- «الورَع هو التّجنّبُ عن المباحات لئلّا يقعَ في الشُّبُهات».

(جواهر الكلام، الشّيخ النّجفي)

٣- «الورَع هو الكفُّ عن المحرّمات والأغراض الدّنيويّة وزَهراتها وشُبهاتها وعن الطّمع والحرص».

(شرح أصول الكافي، المازندرانيّ)

٤- «الورع هو التّحرّز عمّا يضرّ عاجلاً أو آجلاً، فهو جُنّةٌ دونَ أيّ بليّةٍ وعاهةٍ في الدّنيا، ودون أيّ عذابٍ وعقوبةٍ في الآخرة».

(منهاج البراعة، الهاشميّ الخوئيّ)

منشأُ الورع، وما يترتّب عليه

«منشأُ الورَع العِلمُ بحقارة الدّنيا وما فيها، وجلالةِ قَدْر الآخرة والجنّة ونعيمِها، وإطالةُ الفكر في أحوال المبدأ والمعاد.

والعبادةُ إذا اقترنت بهذه الفضيلة صارت خيراً مَحضاً يترتّب عليها ثمراتُها، وهي التّقرُّب إلى الله والوصول إليه تعالى الله، وإن فارقتْ عنها بقيَ العابدُ محبوساً في سجن الدّنيا، ومغلولاً بأغلال زهراتها، ومقيّداً بقيود شهواتها، ولا خيرَ في عبادة لا تُنجي صاحبَها عن هذه المزلّة والجَهالة، ولا تدفعُ عنه هذه الخسّة والرّذالة».

(شرح أصول الكافي)

أقسامُه

الوَرَعُ على أقسام:

١- فمنه ما يُخرِجُ المكلّفَ عن الفسق، وهو المُوجِبُ لقبول الشّهادة، ويُسمّى **ورعَ التّائبين**.

٢- ومنه ما يخرجُ به عن الشُّبهات، فإنَّ مَن رَتَعَ حول الحِمَى يوشِك أن يدخلَ فيه، ويُسمّى **ورعَ الصّالحين**.

٣- ومنه تَرْكُ الحلال الذي يتخوّف انجرارُه إلى المحرّم، ويُسمّى **ورعَ المتّقين**. وعليه حُمل قول رسول الله ﷺ: «**لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ بَأْس..**»، مثل تَرْك الكلام عن الغير مخافةَ الوقوع في الغيبة.

٤- ومنه الإعراض عن غير الله خوفاً من ضَياع ساعةٍ من العمر في ما لا فائدةَ فيه، ويُسمّى **ورعَ الصّدّيقين**.

(مجمع البحرين)

التّلازم بين الورع والتّقوى

«الوَرَعُ، بأَحَد إطلاقيه، هو الاحتياطُ والتّنزُّه عن الحرام: فإن الورع قد يفسَّر بملَكة التّنزّه والاجتناب عن مال الحرام، أكْلاً وطَلَباً وأخْذاً واستعمالاً، وقد يفسَّر بكفّ النّفس عن مُطلَق المعاصي، ومَنْعها عمّا لا ينبغي.

ثمّ الظّاهر أنّ التّقوى مرادفةٌ للورَع، فإنّ لها أيضاً تفسيرَيْن: أحدهما: الاتّقاء عن الأموال المحرّمة، وقد أُطلقت التّقوى في بعض الأخبار على هذا المعنى. وثانيهما: مَلَكةُ الاتّقاء عن مطلَق المعاصي، خوفاً من سَخَط الله، وطلباً لرضاه تبارك تعالى».

(جامع السعّادات، الشيخ النّراقي)

الاستعمار*
تسويقُ مزاعم التّفوّق العرقيّ والحضاريّ

رفيق جويجاتي

يعني مصطلح «الاستعمار» في مفهومه اللّغويّ المألوف، وضعاً يقومُ في أرضٍ دخلتها زمرةٌ من الأجانب سِلماً أو عنوةً، فعاشت فيها واهتمّت بعمارتها واستغلالها، في كَنَف البلد الأصليّ لتلك الزّمرة وبحمايته، وعقدت مع سكّانها الأصليّين علاقاتٍ تتّسم بالتّسلّط وإنكار حقوقهم الطّبيعيّة.

يفترض مفهوم الاستعمار توافرَ عناصر ثلاثة:

١- هجرة ما، بأعدادٍ قليلة أو كثيرة، إلى أراضٍ أخرى بقصد عمارتها أو استغلال خيراتها.

٢- بقاء المهاجرين موالين للوطن الأمّ الّذي تركوه، وخاضعين لقوانينه لا لقوانين الأرض الّتي هاجروا إليها.

٣- شمول الوطن الأمّ إيّاهم بالرّعاية والحماية.

وقد توسّعَ تعبير الاستعمار وتعريف المُستعمرات مع مرور الزّمن، ليدلّ على أنواعٍ شتّى من هذه الظّاهرة، ففي حين كان يشير إلى إقامة محميّات عسكريّة، كجَبل طارق، تقيمها دولةٌ على أرضٍ ليست في الأصل لها، أصبح يشمل مناطق واسعة الأرجاء ممتدّة الحدود القارّيّة، مثل كندا، وأستراليا.

أهدافُ الاستعمار

تباينت الأهدافُ الّتي يرمي إليها الاستعمار، من عسكريّةٍ استراتيجيّة، إلى اقتصاديّةٍ صرفة، ومنها ما رافق نشوء الدّولة الأمّة، تعزيزاً لمكانتها الدّوليّة، وسعياً إلى السّيطرة العالميّة، كما فعلت إسبانيا والبرتغال، ثمّ تبعتهما فرنسا وبريطانيا، ونهجت في النّهاية الولايات المتّحدة الأميركيّة هذا النّهج.

ومع اشتداد حدّة التّزاحم على تملُّك المستعمرات، وبروز السّياسة الاستعماريّة عنصراً من المقوّمات الأساسيّة لعددٍ من الدّول الأوروبيّة، اتّسعت المقاصد الاستعماريّة من مجرّد السّعي إلى إغناء البلد الأمّ، بأيّ وسيلة مُمكنة، إلى نوازع التّوسّع والهيمنة، وتأكيد مزاعم التّفوّق العرقيّ، أو الحضاريّ، أو التّقنيّ، أو كلّ ذلك معاً.

فلقد عُدّت المُستعمرات في الأصل، تجاريّةً كانت أم استغلاليّة، زراعيّةً أم استيطانيّة، مسخَّرةً لَمنفعة البلد الأمّ (المستعمِر) حصراً، ونشأ على هذا الأساس ما يُشبه ميثاقاً استعماريّاً، يحدّد نظاماً للتّجارة والتّعامل، قائماً على الحصر والاحتكار، ويحرّم دخولَ المنتجات الأجنبيّة، غير منتجات البلد الأمّ إلى المستعمرة، ويحصر النّقل بين البلد الأمّ والمستعمَرة ببحريّة الدّولة الاستعماريّة، كما يحصر تصدير ما تنتجه المستعمرة إلى البلد الأمّ، فيجعل للبلد الأمّ معاملة الدّولة الأَوْلى بالرّعاية. أمّا المستعمَرة فإنّها لا تستطيع أن تصنع ما تحتاج إليه إلّا ما فيه مصلحة الدّولة المستعمِرة، وتكون وارداتها حصراً عن طريق البلد الأمّ.

فلسفةُ الاستعمار الحديثة

تطوّر مفهوم الاستعمار مع نموّ الثّورة الصّناعيّة، وتوسُّع الرّأسماليّة، إلى مذهبٍ أشمل أُفُقاً وأعمق جذوراً، أوْجَزَ مراميه سنة ١٩١٢م الاقتصاديّ الفرنسي ألكسندر ميرينهاك، في كتابه (موجز التّشريع والاقتصاد الاستعماريّين) بقوله:

«الاستعمار هو إقامة الصّلة مع بلاد جديدة للانتفاع من مواردها المُتنوّعة، وتنميتها خدمةً للمصلحة القوميّة، وفي الوقت نفسه منح المجموعات السّكّانيّة البدائيّة حسناتِ الثّقافة الفكريّة والاجتماعيّة، والعلميّة، والأخلاقيّة، والفنيّة، والتّجاريّة، والصّناعيّة، المحرومة منها، ولا تتوافر هذه الشّروط إلّا عند العروق المتفوّقة»!

ولا يخفى أنّ هذا المفهوم يرمي إلى إضفاء الشّرعيّة على الاستعمار، وهو يحمل بين طيّاته بذورَ نهايته، لأنَّ الشّعوب الّتي فُرِض عليها الاستعمار بوصفها شعوباً مُتأخّرة، لا بدّ من أن تَستكمل عاجلاً أو آجلاً أسباب التّحلّل من رِبقة الهيمنة الأجنبيّة.

* نقلاً عن الموسوعة العربيّة (باختصار)

حِكم

الفاسقُ لا يُراقِبُ اللّٰه.. فَكيفَ يُراقِبُك؟

من مَواعظ لقمان الحَكيم

* يا بُنَيَّ، المُحْسِنُ تَكافَأَ بِإِحْسانِهِ، وَالمُسيءُ يَكْفيهِ مَساوِئه، لَوْ جَهَدْتَ أَنْ تَفْعَلَ بِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَفْعَلُهُ بِنَفْسِهِ ما قَدَرْتَ عَلَيْهِ.

* يا بُنَيَّ، عَلَيْكَ بِصَلَواتِكَ الّتي فُرِضَتْ لَكَ، فَإِنَّ مَثَلَ الصَّلاةِ مَثَلُ السَّفينَةِ في البَحْرِ، فَإِنْ سَلِمَتْ سَلِمَ مَنْ فيها، وَإِنْ هَلَكَتْ هَلَكَ مَنْ فيها.

* يا بُنَيَّ، مُعَادَاةُ المُؤمِنِ خَيْرٌ مِنْ مُصَادَقَةِ الفَاسِقِ.. [أي: خيرٌ لك أن يُعاديك مؤمن، من أن يُصادقَك فاسق، والسّبب في الموعظة الآتية]

* يا بُنَيَّ، المُؤْمِنُ تَظْلِمُهُ وَلا يَظْلِمُكَ، وَتَطْلُبُ عَلَيْهِ فَيَرْضَى عَنْكَ؛ وَالفاسِقُ لا يُراقِبُ اللّٰهَ، فَكَيْفَ يُراقِبُكَ؟!

* يا بُنَيَّ، بادِرْ بِعَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُحضُر أَجَلُكَ، وَقَبْلَ أَنْ تُسَيَّرَ الجِبالُ سَيْراً، وَتُجْمَعَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ، وَتُغَيَّرَ السَّماءُ وَتُطْوى، وَتُنَزَّلَ المَلائِكَةُ صُفوفاً خائِفينَ..

(الاختصاص، الشّيخ المفيد)

لغة

(ر م ض)

* الرَّاءُ وَالْمِيمُ وَالضَّادُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ عَلَى حِدَّةٍ فِي شَيْءٍ، مِنْ حَرٍّ وَغَيْرِهِ.

* فالرَّمَضُ والرَّمْضاءُ شِدَّةُ الحَرِّ. ورَمِضَ يَومُنا، يَرْمَضُ رَمَضاً اشْتَدَّ حَرُّهُ، وأَرْمَضَ الحَرُّ القَوْمَ: اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ.

* والرَّمَضِيُّ مِنَ السَّحابِ وَالمَطَرِ: ما كانَ في آخِرِ القَيْظِ وأَوّلِ الخَرِيف، فَالسَّحابُ رَمَضِيٌّ وَالمَطَرُ رَمَضِيٌّ، وإِنَّما سُمِّيَ رَمَضِيّاً لِأَنَّهُ يُدْرِكُ سُخونَةَ الشَّمْسِ وَحَرَّها.

* وَالرَّمَضُ: حَرُّ الحِجارَةِ مِنْ شِدَّة حَرِّ الشَّمْسِ. وَأَرْضٌ رَمِضَةُ الحِجارَةِ.

* والرَّمَضُ شِدَّةُ وَقْعِ الشَّمْسِ عَلَى الرَّمْلِ وَغَيْرِهِ، والأَرضُ رَمْضاءُ. ورَمِضَ الإِنْسانُ رَمَضاً مَضى على الرَّمْضاءِ، والأَرضُ رَمِضةٌ. ورَمِضَ الرَّجُلُ يَرْمَضُ رَمَضاً إِذا احْتَرَقَتْ قَدماهُ في شِدَّةِ الحَرِّ. والرَّمَضُ: حُرْقَةُ الغَيْظِ، وقد أَرْمَضَه الأَمرُ ورَمِضَ له. والإِرْماضُ كلُّ ما أَوْجَعَ.

* وارْتَمَضَتْ كَبِدُه فسَدَتْ. وَيُقَالُ ارْتَمَضَ بَطْنُهُ: فَسَدَ، كَأَنَّ ثَمَّ دَاءً يُحْرِقُهُ.

* وارْتَمضْتُ لفلانٍ حَزِنْتُ لَهُ.

* وَرَمَضانُ مِنْ أَسْماءِ الشُّهورِ؛ قال ابْنُ دُرَيْدٍ: لَمّا نَقَلُوا أَسْماءَ الشُّهورِ عَنِ اللُّغَةِ القَديمةِ سَمّوْها بِالأَزْمِنَةِ الّتي هي فيها، فَوافَقَ رَمَضانُ أَيّامَ رَمَضِ الحَرِّ وَشِدَّتِهِ، فَسُمِّيَ بِهِ. وَشَهْرُ رَمَضانَ مَأْخوذٌ مِنْ رَمِضَ الصّائِمُ يَرْمَضُ إِذا حَرَّ جَوْفُه مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ. قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ..﴾ البقرة: ١٨٥.

(لسان العرب، لابن منظور؛ ومقاييس اللّغة لابن فارس، بتصرّف)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ

«أقدِم، فإنّ أمامَك خيرٌ لك ممّا أنتَ فيه..»

«قال حبيب بن عمرو: دخلتُ على سيّدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام، وعندَه الأشراف من القبائل وشرطة الخميس، وما منهم أحدٌ إلّا وماء عينيه يترقرق على سوادها حزناً لأمير المؤمنين عليه السلام، ورأيتُ الحسن والحسين عليهما السلام ومن معهما من الهاشميّين، وما تنفّس منهم أحدٌ إلّا وظننتُ أنّ شظايا قلبه تخرج مع نَفَسه.

فعند ذلك يئس النّاس من أمير المؤمنين عليه السلام، وقام لهم بكاء وعويل، فسكّتهم الحسن عليه السلام، فسكتوا، وصاروا ينشجون نشيجاً خفيفاً، إلّا الأصبغ بن نباتة شرقَ بعبرته وبكى بكاءً عالياً، فأفاق أمير المؤمنين من غَشوته، فقال: **لا تَبْكِ، فَإِنَّها وَاللهِ الجَنَّةُ**، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، وأنا أعلم، واللهِ، أنّك تصير إلى الجنّة، وإنّما أبكي لفراقك يا سيّدي.

قال حبيب بن عمرو: فما أحببتُ أنّ الأصبغ يتكلّم بهذا الكلام مع أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: لا بأسَ عليك يا أبا الحسن، فإنّ هذا الجرح ليس بضائر، وما هو بأعظم من ضربة عمرو بن عبد ودّ، فإنّ البَرَد لا يزلزل الجبل الأصمّ، ولفحةَ الهجير لا تجفّف البحر الخضمّ، واللّيثُ يَضرى إذا خُدش! فنظر إليَّ نظرةَ رأفةٍ ورحمة، وقال: **هَيْهَاتَ يا ابْنَ عَمْرٍو، نَفَذَ القَضاءُ، وَأُبْرِمَ المَحْتومُ، وَجَرى القَلَمُ بِما فيهِ، وَإِنِّي مُفارِقُكَ**. فسمعتْ أمُّ كلثوم كلامه فبكت، فقال لها أمير المؤمنين: **يا بُنَيَّةُ، لَوْ رَأَيْتِ مِثْلَ ما رَأَيْتُ، لَما بَكيتِ عَلى أَبيكِ**.

قال حبيب، فقلت له: وما الّذي ترى يا أمير المؤمنين؟ قال: **يا حَبيبُ، أَرَى مَلائِكَةَ السَّماواتِ، وَالنَّبِيّينَ بَعْضَهُمْ في أَثَرِ بَعْضٍ، وُقوفاً إِلَيَّ يَتَلَقَّوْنَني، وَهذا أَخي مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، جالِسٌ عِنْدي يَقولُ: أَقْدِمْ فَإِنَّ أَمامَكَ خَيْرٌ لَكَ مِمّا أَنْتَ فيهِ...**».

(مختصَر عن الأنوار العلويّة للنّقديّ)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

المُوصِل

المُوصِل: تَقعُ في الجانب الغربيّ من دِجلة، وسمِّيت بهذا الاسم لأنّها وَصَلت بين الفرات ودجلة، وشُرْبُ أهلِها من ماء الدّجلة.

وهي مدينةٌ عتيقةٌ ضخمة، عليها سُوران وثيقان، وهي من المَرافق الحربيّة، فتحها المسلمون سنة ١٨ للهجرة، وفي أعلى البلد قلعةٌ عظيمةٌ قد رُصَّ بناؤها رصّاً، ويفصلُ بينها وبين البلد شارعٌ متّصلٌ ممتَدٌّ من أعلى البلد إلى أسفلِه، ودجلةُ شرقيّ البلد متّصلةٌ بالسُّور، وأبراجُه في مائها، وللبلد رَبَضٌ كبيرٌ [فضاء واسع] فيه المساجد، والحمّامات، والخانات، والأسواق.

وفي المدينة مدارسُ للعلم نحو السّتّ أو أزيَد، قد بُنيت على دجلة، فتلوح كأنّها القصور، ولها مارستان [مشفى للمرضى]. وبهذه المدينة مشهدُ جِرجيسَ النّبيّ. وكان جرجيسُ من الأنبياء الّذين كانوا في الفترة بين عيسى عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله، وهو من أهل فلسطين، بَعَثَهُ اللهُ تعالى إلى مَلِك المُوصل يدعوه إلى الإسلام.

وإذا عبَرْتَ دجلة، نحو الميل، ظهر لك «تَلُّ التّوبة»، وهو التّلُّ الّذي وقفَ عليه يونس عليه السلام بقومِه، ودعا ودعَوا حتّى كَشف اللهُ عنهم العذاب، وبمقربةٍ منه، على قدر الميل أيضاً، العينُ المباركةُ المنسوبة إليه عليه السّلام، ويُقال إنّه أمَرَ قومَه بالتّطهُّر منها وإظهار التّوبة، ثمّ صعدوا إلى التّلّ داعين، وفي هذا التّلّ بناءٌ عظيمٌ هو رباط، وقريبٌ من هذا الرّباط خَرابٌ عظيم، يُقال إنّه كان مدينةَ نينوى، مدينةَ يونس عليه السلام.

(المصدر: الرّوض المعطار في خبر الأقطار، لمحمّد الحميَريّ المتوفّى سنة ٩٠٠ للهجرة)

ما عُبِدَ اللّهُ تعالى بمِثل السّجود

* قصيدة للفقيه النّوعيّ السّيّد بحر العلوم قدس سره

«..وإذا أَرَدْتَ أنْ يَحشرَكَ اللهُ مَعِي، فَأَطِلِ السُّجُودَ بَيْنَ يَدَي اللهِ الوَاحِدِ القَهَّار». رسول الله صلى الله عليه وآله

قصيدةٌ لآية الله السّيّد مهدي بحر العلوم قدس سره، وردت في منظومته الفقهيّة (الدّرّة النّجفيّة)، تحت عنوان: «سائر أنواع السّجود»، سبقَتها أبياتٌ في أحكام السّجود وسُنَنِه.

اسْجُدْ فَذاكَ غايَةُ الخُضوعِ ... للهِ خَيْرُ عَمَلٍ مَشْروعِ
ما عُبِدَ اللهُ بِما قَدْ عُبِدا ... مِنْ طاعَةٍ مِثْلِ السُّجودِ أَبَدا
وَمُنْتَهى عِبادَةِ الأَنامِ ... سُجودُهُمْ للهِ بِالإِعْظامِ
أَقْرَبُ ما كانَ إِلَيْهِ مَنْ عَبَدَ ... وَهُوَ عَلى الوَجْهِ لِوَجْهِهِ سَجَدَ
أَشَدُّ الاغْمالِ عَلى إِبْليسِ ... تَشْتَدُّ مِنْهُ حَسْرَةُ الخَسيسِ
أَطِلْ وَأَكْثِرْ تُجْزَ بِالإِطالَة ... بَعْثاً مَعَ المَبْعوثِ بِالرِّسالَة
وَأَنَّها شَريطَةٌ مِنْهُ عَلى ... تَحَمُّلِ الجَنَّةِ عَمَّنْ سُئِلا
وَهُوَ شِعارُ العِتْرَةِ الأَطْيابِ ... وَأَنَّها لَسُنَّةُ الأَوّابِ
إِكْثارُهُ يَحُطُّ بِالأَوْزارِ ... حَطَّ الرِّياحِ وَرَقَ الأَشْجارِ
أَكْرَمَنا اللهُ بِهِ مَحَطَّة ... وَحَطَّ عَنّا إِصْرَ بابِ حِطَّة
بِهِ يُباهي رَبُّنا الجَليلُ ... وَمِنْهُ نالَ الخِلَّةَ الخَليلُ
يَسْعَى أَمامَ السّاجِدينَ نورُ ... وَفي الأَساريرِ لَهُ ظُهورُ
آيَتُهُمْ في الحِسِّ وَالشُّهودِ ... سيماهُمْ مِنْ أَثَرِ السُّجودِ
وَيُعْرَفونَ بِسُجودِهِمْ غَدا ... إِذْ غَيْرُهُمْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَسْجُدا
أَعْظِمْ بِهِ مِنْ عَمَلٍ بَسيطِ ... بِفَضْلِ كُلِّ طاعَةٍ مُحيطِ
لَيْسَ لَهُ شَرْطٌ وَلا كَيْفِيَّة ... غَيْرَ مَسيسِ مَسْجِدٍ بِنِيَّة
وَاسْجُدْ إِذا تَجَدَّدَتْ لَكَ النِّعَمُ ... أَوْ صُرِفَتْ بِرَحْمَةٍ مِنْكَ النِّقَمُ
وَكُلَّما ذَكَرْتَ شَيْئاً مِنْهُما ... مِمّا مَضى وَعَهْدُهُ تَقَدَّما
وَكُلَّما وُفِّقْتَ للفَرائِضِ ... وَغَيْرِها للمُسْتَفيضِ النّاهِضِ
بِالكُلِّ تَشْكُرُ بِالجَميعِ المُنْعِما ... وَتَسْتَزيدُ بِالشُّكْرِ مِنْهُ النِّعَما
وَاسْمُ سُجودِ الشُّكْرِ لِلْكُلِّ اسْتَقَرْ ... لَكِنَّها في الخَمْسِ بَيْنَها اشْتَهَرْ
يَجْزي لَهُ واحِدَةٌ وَالأَفْضَلُ ... ثِنْتانِ، بِالتَّعْفيرِ، فصلٌ يَحْصُلُ
يُعَفِّرُ الخَدَّ أَوِ الجَبينا ... مُقَدِّماً مِنْ ذَلِكَ اليَمينا
والخَدُّ أَوْلى وبِهِ نَصٌّ جَلا ... وفي الجَبينِ قد أَتَى مُحْتَمِلا
وَسُنَّ في هذا افْتِراشُ الأَذْرُعِ ... وَمَسُّهُ بِصَدْرِهِ لِلْمَوْضِعِ
وَبَعْدَ رَفْعِ الرَّأْسِ مَسْحُ المَسْجِدِ ... فَوَجْهُهُ مِنْ جانِبَيْهِ بِاليَدِ
يَدْعو عَلى الأَحْوالِ كُلِّها بِما ... فُصِّلَ فيها مِنْ دُعاءٍ رُسِما

إصدارات عربية

الكتاب: حوار الأديان في القرآن الكريم

المؤلّف: الشّيخ عارف هنديجاني فرد

النّاشر: «جمعيّة القرآن الكريم للتّوجيه والإرشاد»، بيروت ٢٠١٤

عن «جمعيّة القرآن الكريم للتّوجيه والإرشاد» في بيروت، صدر كتاب (حوار الأديان في القرآن الكريم – إشكاليّة الحوار وآفاق التّواصل)، لمؤلّفه الشّيخ عارف هنديجاني فرد.

محور الكتاب هو أهمّيّة الحوار كمبدأ ومفهوم قرآنيّ، حيث يتكشّف من خلال الخطاب الإلهيّ مع جميع الكائنات، خصوصاً مع الإنسان، الّذي هو خليفة الله في أرضه، والّذي استحقّ أن يكون موضوعاً لخطاب ربّه تعالى.

يحتوي الكتاب على ثلاثة فصول، تهدف للتّقريب بين الملل، وإظهار الحقائق الدّامغة من دون مواربة، فهو يتحدّث عن الإنسان وخلافته في الأرض، والحوار ومنطقه، وأصالة الحوار وعالميّة الإسلام، وحوار الأديان في القرآن، وعناوين أخرى مرتبطة بهذا المضمون.

الكتاب: فيوض الرّحمن في محاضرات شهر رمضان

المؤلّف: السّيّد عبد الكريم السّيّد علي خان المدني

النّاشر: «دار الزّهراء»، بيروت ١٩٨٢م

كتاب (فيوض الرّحمن في محاضرات شهر رمضان)، من جزأين، للسّيّد عبد الكريم السّيّد علي خان المدنيّ، صدر، في طبعته الأولى، في بيروت سنة ١٩٨٢م.

مادّة الكتاب هي محاضرات ألقاها المؤلّف في حسينيّة مدينة بعقوبة بالعراق، ثمّ جمعها وحرّرها سنة ١٣٦٥ هجريّة (١٩٤٥م).

يتضمّن الجزء الأوّل ثماني عشرة محاضرة، تتناول بالتّفصيل عناوين أساسيّة ومتفرّعاتها، كالصّوم، والصّلاة ، والزّكاة، والحجّ، وتحريم الخبائث..

الجزء الثّاني، في ستّ عشرة محاضرة، خُصّص للحديث عن مولى المتّقين وأمير المؤمنين عليه السّلام «لِتَعلُّق بعض ليالي الشّهر الشّريف بذلك المقام الرّفيع».

يمتاز الكتاب، بحُسن التّبويب، وتذييله بفهرس تفصيليّ هو أقرب إلى كشّاف موضوعيّ، يُعين على تتبُّع المفاهيم الجزئيّة التي تناولها السّيّد المؤلّف في محاضراته.

الكتاب: معالم النّهج – نهج الإمام الخمينيّ: الأسس والمعالم

المؤلّف: الشّيخ علي الماحوزي

النّاشر: «دار البصائر»، بيروت ٢٠١٣م

صدر عن «دار ومكتبة البصائر» كتاب (معالم النّهج – نهج الإمام الخمينيّ: الأُسس والمعالم) للشّيخ علي الماحوزي، وهو يتضمّن كلماتٍ أُلقيت على مجموعات من الشّباب والجامعيّين، في **البحرين**.

في تعريفه بالكتاب، يقول المؤلّف: «هذه الشّذرات البسيطة هي مضامين من وحي خطّ الإمام الخمينيّ قدس سره، ونَهجِه، ارتأيتُ طباعتها كونها من **(بحرين الولاية)** كما أطلق عليها سماحة الإمام القائد، ولأنّها تجربة شخصيّة من بداية مرحلة الشّباب».

قدّم للكتاب سماحة الشّيخ حسين كوراني، وجاء في التّقديم: «بالرّغم من كثرة ما صدر من كتابات حول فهم الإمام الخمينيّ للإسلام، وسعة انتشار كُتبه، فإنّ الحاجة ما تزال شديدة إلى تدريس كُتبه ووصاياه، وشرَحها والتّعريف به وبفكره قدس سره "..." ولدى اطّلاعي على جانبٍ ممّا كتبه الأخ العزيز الشّيخ علي الماحوزي، وجدته لوناً من الكتابة المفيدة للشّباب، عامراً بالإخلاص والمصداقيّة، جديراً بالعناية والتّشجيع».

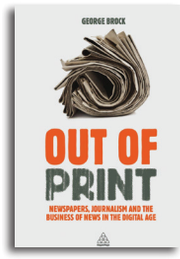

الكتاب: Out of Print «نفاد النُّسَخ المطبوعة»

المؤلّف: جورج بروك

النّاشر: «Kogan Page»، لندن ٢٠١٣م

مدير «مدرسة الصّحافة العليا» في «جامعة لندن»، جورج بروك، يقدّم كتاباً عن «الصّحف والصّحافة وقطاع الإعلام في العصر الرّقميّ»، عنوانه (نَفاد النّسخ المطبوعة)، يتحدّث فيه عن أنّ الصّحافة المكتوبة تواجه تحدّياتٍ كُبرى في زمن الثّورة الرّقميّة، وهي باتت تخسر الكثير من رصيدها أمام سَطوة وسائط الاتّصال الأحدث، وفي طليعتها الصّفحات الالكترونيّة، ومواقع التّواصل الاجتماعيّ.

ويخلُص بروك إلى أنّ تحوّل المستثمرين إلى توظيف أموالهم في قطاعات إعلاميّة أخرى أدّى إلى تراجع الصّحافة المكتوبة، فهي في تراجع مستمرّ منذ ظهور المذياع، فالتّلفاز، وصولاً إلى عصر التّواصل الحديث وأدواته التي تكاد تطيح بكلّ ما سَبقها.

الكتاب: Les Empires Coloniaux «**الإمبراطوريّات الاستعماريّة.. في القرنَين التّاسع عشر والعشرين**»

المؤلّف: بيير سينغارافيلو مع آخرين

النّاشر: «بوانتس»، باريس ٢٠١٤

يحدث للمرّة الأولى في فرنسا، أن يجتمع عددٌ من المؤرّخين والباحثين الفرنسيّين والأجانب، لإنجاز عملٍ جماعيٍّ حول الإمبراطوريّات الاستعماريّة، تحت إشراف المؤرّخ الفرنسيّ، بيير سينغارافيلو، أستاذ التّاريخ الحديث في جامعة السّوربون. يحمل العمل عنوان «الإمبراطوريّات الاستعماريّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين».

ويحدّد هذان القرنان، على أساس أنّهما شهِدا عملية تشكّل وتحلّل الإمبراطوريّات الأوروبّيّة الاستعماريّة الكبرى.

ونقطة الانطلاق الّتي يؤكّد عليها في مجال دراسة الإمبراطوريّات الاستعماريّة، هو أنّ الحدث الاستعماريّ، رغم تحلُّل تلك الإمبراطوريّات واندثارها، ما تزال آثاره فاعلة في الأحداث الجارية في العديد من المناطق. ثمّ إنّ الكثير من البلدان الّتي تعتقد أنّها تخلّصت تماماً من وصاية الماضي، تراه ماثلاً أمامها في الواقع، كما يبدو من افتقارها إلى نموذجٍ سياسيٍّ، أو إلى ما تعاني منه من صعوباتٍ اقتصاديّة، أو عدم تمكّنها من بروز دورها على المسرح الدّوليّ.

الكتاب: PLUS NOIR DANS LA NUIT

«أكثر ظلاماً في اللّيل»

المؤلّف: دومينيك سيمونو

النّاشر: «Calmann-Levy»، باريس ٢٠١٤

عرفت فرنسا في عام ١٩٤٨م، حركة إضراب كبيرة أطلقها عمّال المناجم. وإلى تلك الصّفحة من التّاريخ الاجتماعيّ الفرنسيّ، تعود الصّحافيّة دومينيك سيمونو، في كتابها الّذي يحمل عنوان «أكثر ظلاماً في اللّيل»، إذ تشرح فيه الظّروف التي أحاطت بذلك الإضراب، وقمعه بأدوات وحشيّة.

ردّ السلطات الفرنسيّة على ذلك الإضراب كان عنيفاً، حيث نشرت ٨٠ ألف عنصر من قوّات الجيش والشّرطة، رابطوا في مواقع لا تبعد سوى كيلومترات قليلة عن مناجم الفحم، من أجل التّدخّل سريعاً لقمع أيّة حركة احتجاج. وذلك ما حصل بالفعل.

وما تؤكّده المؤلّفة هو أنّ الأحكام القضائيّة الّتي صدرت بحقّ عمّال المناجم كانت «غير إنسانيّة»، وهذه نتيجة خلصت إليها بعد جولات تقصّي واستقصاء، شملت أيضاً الاستماع إلى شهادات سبعة من عمّال المناجم السّابقين، وإلى زوجاتهم، ومن ثمّ وصف حياتهم والمسارات الّتي عرفتها منذ عام ١٩٤٨، وحتّى هذه الأيام.

«نور الإسلام»

(١٧١-١٧٢)

في العدد الجديد من مجلّة «نور الإسلام» الّتي تصدر عن «مؤسّسة الإمام الحسين عليه السّلام الخيريّة الثّقافيّة»، نقرأ مواضيع متعدّدة، منها حسب الأبواب:

- **الافتتاحيّة**: «حديقة الأرواح في الشّهور المعظّمة رجب وشعبان ورمضان».
- **عقيدة وقرآنيّات**: «دور الإمامة» للسّيّد حسين نجيب محمّد.
- **أحيوا أمرنا**: «الإمام عليّ بن الحسين عليه السّلام: واضع مداميك المدرسة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة» بقلم د. أليس كوراني.
- **أعلام وشخصيّات**: «جعفر الطّيّار، شبيه رسول الله صلّى الله عليه وآله» للسّيّد صدر الدّين شرف الدّين.
- **كلامكم نور**: «قراءة في دعاء الصّباح -٢» للدّكتور يحيى الشّامي.
- **قضيّة ورأي**: «المهدويّة وفكرة الحوار بين الأديان» للشّيخ حاتم إسماعيل.
- **أسرة ومُجتمع**: «كيف تكون طموحاً» للسّيّد علاء الفاضلي.
- **قراءة في كتاب**:«تاريخ جبل عامل» بقلم د. باسمة شامي بزّي.

كما يتضمّن العدد مجموعة من المواضيع الأُسَريّة والثّقافيّة، وترجمة إنكليزيّة لعددٍ من الأبواب.

«صدى الجراح»

(٤١)

عن «مؤسّسة الجرحى» في لبنان، صدر العدد الجديد من مجلّة «صدى الجراح»، وفيها:

- «نبضُ الجراح قوّة» للسّيّد أمين ترحيني.
- «الجراح تحفظ الحياة وتبني الذّات» بقلم الشّيخ نزار سعيد.
- «جرحى في ضيافة الله» عن الجريح باسم قانصو بقلم عماد عواضة.
- تحقيق حول بلديّة مدينة النّبطيّة.
- «قصّة شهداء مليخ».

كما يغطّي العدد أنشطة المؤسّسة في المناطق اللّبنانيّة، ويتضمّن باقة من الأخبار المحلّيّة والدّوليّة لمؤسّسات تعنى بنشاطات ذوي الاحتياجات الخاصّة.

«تحوّلات مشرقيّة»

(٣)

صدر العدد الثّالث من «تحوّلات مشرقيّة»، وهي فصليّة فكريّة ثقافيّة، تُعنى بشؤون المشرق والمنطقة.

تحت عنوان «مئويّة الحرب العالميّة الأولى ١٩١٤-٢٠١٤»، نقرأ:

- «الوجه الثّقافيّ المشرقيّ في الحرب الأولى» للباحث لؤي زيتوني.
- «في وداع الماضي والمستقبل» بقلم نجيب نصير.
- «انعكاسات نتائج الحرب العالميّة الأولى على المشرق» بقلم علوان نعيم أمين الدّين.

ومن الدّراسات الّتي وردت في هذا العدد:

- «ثورات مستباحة» للباحث الأستاذ محمود حيدر.
- «الفرديّة والنّزعة الفرديّة مقابل محبّة الآخر» بقلم حيدر حاج إسماعيل.

كما تضمّن العدد الجديد مقالات في مواضيع أدبيّة والعمران الاجتماعيّ.

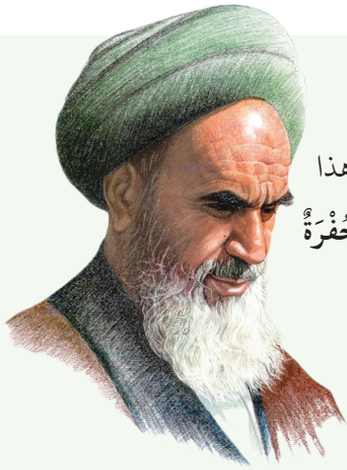

ظهورُ الأعمال عند الاحتضار

لا بدّ أن تعرف أنّ عالم برزخ كلّ شخص هو أنموذجٌ من نَشْأَتِه يوم القيامة، تنفتحُ منه على هذا العالم كُوَّةٌ من الجنّة أو النّار، كما في النّبويّ الشّريف: «**الْقَبْرُ إِمّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرانِ**».

فالإنسانُ يشاهدُ، عند سَكَرات الموت والاحتضار، صوَر أعماله وآثارَها، ويسمعُ من ملَك الموت بشارةَ الجنّة أو الوعيد بالنّار.

وكما أنّ هذه الأمور تنكشفُ عليه قليلاً، كذلك تنكشفُ عليه الآثارُ الّتي تركَتْها أعمالُه وأفعالُه في قلبِه، من النّورانيّة، وشَرِح الصّدر ورحابته... أو أضدادها، من الظّلام، والكدُورة، والضّغط، وضِيق الصّدر؛ فإنْ كان من أهل الإيمان والسّعادة، يستعدّ قلبُه عند معاينة البَرزخ لمشاهدة التّفَحات اللّطيفة اللُّطفيّة والجمال، وتظهر فيه آثارُ تجلّيات اللُّطف والجمال، وتشتعلُ في قلبه جذوةُ الاشتياق إلى جمال المحبوب...

وإنْ كان من أهل الشّقاء، والجُحود، والكفر، والنّفاق، والأعمال القبيحة، والأفعال السّيّئة، انكشف عليه - بقدر نصيبه من دار الدّنيا، وما وفّره واكتسَبه لنفسه منها، من آثار السّخط الإلهيّ والقهر - نموذجٌ من دار الأشقياء، فيدخلُ الذّعرُ والهَلَعُ في نفسه بدرجةٍ لا يكون عندَه شيءٌ أبغض من التّجلّيات الجلاليّة والقاهريّة للحقّ المتعال، وتستولي عليه من جرّاء هذا البغض والعداوة الشّديدين، الضّغوطُ، والظّلامُ، والصّعاب، والعذابات الّتي لا يعرف حجمَها أحدٌ إلّا الذّات الحقّ المقدّس، وهذه المِحن تكون لمَن كان من الجاحدين، والمنافقين، ومن أعداء الله وأعداء أوليائه في هذه الدّنيا...

إنّ الحياة الدّنيويّة كانت ستاراً ملقًى على عيوبنا، وحجاباً على وجهِ أهل المعارف، وعندما يُزاح هذا السّتار، ويُخترَق هذا الحجاب، يرى الإنسانُ أنموذجاً ممّا أعدَّه لنفسه، وممّا كان فيه. إنّ الإنسان لا يرى في العوالم الأخرى من العذاب والعقاب إلّا ما وفّره وهيّأه في هذه الدّنيا، ولا يشاهد في العالَم الآخر إلّا صورةَ ما أنجزه في هذا العالم من الأعمال الصّالحة، والخُلُق الحسن، والعقائد الصّحيحة....

فلا بدّ أن نعلم بأنّنا إذا تعلّقنا بالحقّ المتعال وأوليائه، ووضعنا في رقابنا حبلَ طاعة الذّات المقدّس، وجعلنا اتّجاه القلب إلهيّاً وربّانيّاً، لظهرتْ أمامنا حين النّزع الحقائقُ بعينِها في صوَرٍ بهيّة.

وعلى العكس، إذا كانت قلوبنا ذات صِبغة دنيويّة، وانصرافٍ عن الحقّ، فمن الممكن أن تُبذَر فيها شيئاً فشيئاً بذورُ عداوة الحقّ والأولياء، وتشتدّ هذه العداوة، حين المعاينة، فتظهر آثارُها الغريبة الموحشة.

إذاً، من الأمور المهمّة السّعيُ في سبيل تطوير حالة القلب، وجَعْلِها إلهيّة، وتوجيهِها نحو الحقّ المتعال وأوليائه ودار كرامته، ويتمّ هذا قطعاً بواسطة التّفكّر في آلاء الذّات المقدّس ونعمائه، والمحافظة على طاعتِه وعبادته. ولكن يجب أن لا يعتمدَ الإنسانُ على نفسه ومساعيه، بل يستعينُ بالله على ذلك في جميع الأحوال، وخاصّةً في حالات الخَلوة مع الله بكلِّ تذلّلٍ وتضرّعٍ وبكاءٍ، ويطلب منه أن يُلقيَ حبَّه في قلبه، ويُضيئه بنور محبّته ومعرفته، ويُخرجَ حبّ الدّنيا، وما عدا الله تعالى، من قلبه.